كتاب

انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان

لمؤلفه

الشيخ محمد عثمان عبده البرهانى

شيخ الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية

غفر الله له ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه آمين

٣ ـ مطبوعات برهانية

الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية

الخرطوم ص.ب ـ ١١١٤ ـ ت : ٤١٤١٣

كتاب

انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان

لمؤلفه

الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني

شيخ الطريقة البرهانية
الدسوقية الشاذلية

٣ ـ مطبوعات برهانية

الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية

الخرطوم ص . ب ـ ١١١٤ ـ ت ٤١٤١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الذى انفرد فى ملكوته بعزته القاهرة وجبروته المكتمل فى تنزيهه عن الشبه والضد • والصلاة والسلام على نبيه الكريم سيدنا محمد ، صلاة متجددة بديموميته ، فاللهم صل على الذات المحمدية ، اللطيفة الاحدية ، شمس سماء الاسرار ، ومظهر الأنوار ، ومركز مدار الجلال ، وقطب فلك الجمال ، صلاة تليق بمن انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم ، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بذهر جماله مونقه ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، ولا شىء الا بهمنوط ، اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ، صلاة تليق بك منك اليه كما هو أهله • اللهم انه سرك الجامع الدال عليك ، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك •

وأحمده حمدا بقدر مكانة النبى الكريم لديه ، وأسأله ، به منك اليه ، أن يجعل من هذا الكتيب مساهمة حية فى احياء القلوب ، وارتواء المشارب ، واهتداء العقول ، وتغذية الأرواح ، وتمزيق الهوى ، ودفع الهمم الى السير فى دربه ، والأشباع من مناهله الكريمة الفياضة الجياشة ، بكل ما هو شريف وحكيم وكريم •

وبعد : فهذه مجموعة آراء وأفكار لمشايخ أجلاء ، لهم مكانتهم السامية فى مجال التصوف والعلوم • ودورهم الذى قاموا به فى خدمة الأمة الاسلامية عامة ، والعربية بصفة خاصة ، وعندما نقول التصوف ، فأننا نعنى به الجمع ما بين اليقين والحقيقة ، وما بين العبادة وتجلياتها ، والشريعة وعلومها الظاهرة ، وهى فيض لكل من

يود الأرتواء من منهل عذب ، ولكـــل من يود الادراك ، ويطرق دروب ومشارب التصوف الاسلامى على منهج واضح ، وأسس متينة قوية مستندة على دعائم الشريعة ، خالية من الزيف ، والتهريج الرخيص ، والأباطيل ، والاعتماد على المظاهر الخداعـــة المطلية بثـــوب الدين والتقوى وهماً ، واتباع هوى يبطل الـــحق ويحق الباطل من التلبيس والدجل والنفاق •

لقد عشـــنا في زمن كثر فيه الدجـــل ، وإنخـــدع فيه العوام وغير العوام ، انخدع فيه العامـــة بتزويق الكـــلام من أنصـــاف العلماء ، وانخدع فيه انصاف العلماء لهوى العوام من ما يقال له « الكرامات » تمزيقـــا لأكرم صـــفات الأولياء ، وتحقيرا للتصـــوف ، واتباعا فى حقيقة الأمر للشيطان ، وقد ساعد على ذلك الوهابية بأسمائهم المختلفة التى تدوى على الألسنة (تارة بأنصار السنة وحينا بالأخوان المسلمين الخ •••) ونحن لا تخدعنا مثل هذه الاسماء ، طالما المنهل واحد ، وهو الوهابية الضالة المضـــلة ، الممعنة فى البعد والأبتعاد ، وابعاد كل من تستطيع عن حظيرة الدين الذى يقوم ويعتمد على صـــحة العقيدة ، ولا عقيدة لمن لا عقيدة له فى سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وآله الكرام ، وأصـــحابه والتابعين ، وتابـــع التابعين لهم ، وورثته الأبرار ، فى الحقيقة والشريعة •

ولكنا ثقة فى الأمة الاسلامية ، لا نشك فى أنها أشد حرصا على اتباع أمور دينها ، والتمسك بتراث عباداتها ، وان المعين الوحيد لها فى تحقيق ذلك هو التصوف الاسلامى ، وأنها قادرة على التمييز بين الخبيث والطيب ، والـــعقيدة وصـــلاحها ، وأباطـــيل وتزييف الذين يهاجمونها أو يدعون السير فى منهجها والله نسأل التوفيق والسداد •

محمد عثمان عبده البرهانى

الخرطوم فى يوم الخميس ١٠ صفر ١٣٩٠ هـ
الموافق ١٦/٤/١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل أهل البيت ومزاياهم

على العموم أو خصوص اثنين فأكثر

قال الله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا الموده فى القربى •

قال فى المواهب : المراد بالقربى من ينسب الى جده الأقرب عبد المطلب أ هـ •

وقال فى الصواعق : المراد بأهل البيت والآل وذوى القربى فى كل ما جاء فى فضلهم مؤمنو بنى هاشم والمطلب أ هـ •
وكان الثلاثة العترة فالألفاظ الاربعة بمعنى واحد كما فى المواهب •

وقال ابن عطية قريش كلها عندى قربى ، وان كانت تتفاضل ، وخير الأقوال أوسطها ؛ وينافيه ما روى الطبرانى وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس ، أنها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين نزلت فيهم الآية قال : على وفاطمة وأبناهما ، الا أن يجعل هذا الحديث ونحوه من باب (الحج عرفه) والاستثناء فى الاية : والمعنى لا أسألكم عليه أجرا أبدا ، ولكن أسألكم أن تودونى فى ذوى القربى •

وفى الآية تفسير آخر ، وهو : أن المعنى ولكن أسألكم أن تودونى وتكفوا عنى أذاكم ، بسبب ما بينى وبينكم من القرابة ، ولا بطن من قريش الا له عليه الصلاة والسلام قرابة بهم ، فالقربى على كل بمعنى القرابة مع تقدير مضاف على الاول (وقال عز وجل) انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا • أراد بالرجس الذنب ، وبالتطهير التطهير من المعاصى ، كما فى البيضاوى •
روى من طرق عديدة صحيحة (أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين ، قد أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذ ، ثم لف عليهم كساء ، ثم تلا هذه الآية • انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وفي رواية (اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم ، انك حميد مجيد) •

وفي رواية أم سلمه قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه من يدي ، فقلت وأنا معكم يا رسول الله ، فقال : انك من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على خير •

وفي رواية لها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها ، اذ جاءت فاطمة ببرمة ، بضم فسكون قدر من حجر ، فيها خزيرة ، نجاء معجمة مفتوحة فزاي مكسورة فتحتيه ساكنة ، فراء : ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة لكن أرق منها فوضعتها بين يديه ، فقال : أين ابن عمك وابناك فقالت في البيت ، فقال ادعيهم ، فجاءت الى علي وقالت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنت وابناك ، فجاء علي وحسن وحسين ، فدخلوا عليه ، فجعلوا يأكلون من تلك الخزيرة ، تحت الكساء ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) •

وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أدرج معهم جبريل وميكائيل ، وفي رواية أنه أدرج معهم بقية بناته وأقاربه وأزواجه ، وفي رواية أن ذلك الفعل كان في بيت فاطمة ، وفي حديث حسن أنه ستر العباس وبنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار ، وأنه أمن على دعائه أسكفة الباب ، وحوائط البيت ، ثلاثا وقد أشار المحب الطبري الى أن هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم • وبه جمع بين الاختلاف في هيئة اجتماعهم • وما ستراهم به وما دعا به لهم ، وفي المجموعين ، ومحل الجمع ، وكونه قبل نزول الآية أو بعدها • وروى أحمد

والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نزلت هذه الآية فى خمسة ، فىّ ، وفى على ، وحسن ، وحسين ، وفاطمة •) وروى ابن أبى شيبه وأحمد والترمذى وحسنه ، وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يمر ببيت فاطمة اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة أهل البيت ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) •وفى رواية ابن مردوية عن أبى سعيد الخدرى (أنه صلى الله عليه وسلم جاء أربعين صباحا ، الى باب فاطمة يقول ، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمكم الله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) •

وفى رواية عن ابن عباس ، سبعة أشهر • وفى رواية لابن جرير وابن المنذر والطبرانى ، ثمانية أشهر • وروى مسلم والنسائى عن يزيد بن أرقم قال (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال : اذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا) فقيل ليزيد بن أرقم من أهل البيت ؟ قال أهل البيت من حرم الصدقة بعده ، قيل ومن هم ؟ قال آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس • وفى الصواعق ، أن المراد بالبيت فى الآية ، ما يشمل بيت نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، وبيت سكناه ، فتشمل الآية أزواجه عليه الصلاة والسلام • وهو ما ذكره الزمخشرى والبيضاوى • ويدل عليه ما قبل الآية ، وما بعدها ، وما يوهم خلاف ذلك ، من الاحاديث المتقدمة تقدم الجواب عنه فافهم •

ونقل القرطبى عن ابن عباس فى قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أنه قال رضى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار ، وأخرج الحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال (وعدنى ربى فى أهل بيتى ، من أقر منهم بالتوحيد ، ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم وأخرج تمام والبزار والطبرانى وأبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم قال (ان فاطمة أحصنت فرجها ، فحرم الله

ذريتها على النار) وفى رواية (فحرمها الله وذريتها على النار) وأخرج الديلمى مرفوعا (انما سميت فاطمة فاطمه لأن الله فطمها ومحبيها عن النار) • وأخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات أنه صلى الله عليه وسلم قال لها (ان الله غير معذبك ولا أحد من ولدك) • وأخرج الثعلبى فى تفسير قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا) عن جعفر الصادق أنه قال : نحن حبل الله • وأخرج بعضهم عن الباقر فى قوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أنه قال أهل البيت هم الناس • وأخرج السلفى عن محمد ابن الحنفية فى قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًا) أنه قال لا يبقى مؤمن الا وفى قلبه ود ، لعلى وأهل بيته • وذكر النقاشى فى تفسيره أنها نزلت فى على • وعن زيد بن أرقم (قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول ربى عز وجل ، يعنى الموت فأجيبه ، وانى تارك فيكم ثقلين ، كتاب الله ، فيه الهدى ، والنور ، فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به ، وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى • رواه مسلم وفى رواية (أنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى) والثقل محرك كما فى القاموس ، وهو كل شىء نفيس مصون • ومعنى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى شأن أهل بيتى • ولفظ رواية الامام أحمد (انى أوشك أن أدعى فأجيب وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله ، حبل ممدود من الارض الى السماء ، وعترتى : أهل بيتى وان اللطيف الخبير ، أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيامة ، فانظروا بما تخلفوننى فيهما) وفى رواية (حوضى ما بين بصرى وصنعاء عدد آنيته عدد النجوم ، ان الله سائلكم كيف خلفتمونى فى كتاب الله وأهل بيتى) وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، أنه صلى الله عليه وسلم قال (يا أيها الناس ارقبوا محمداً فى أهل بيته) رواه البخارى أى احفظونى فيهم فلا

تؤذوهم • وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحبوا الله لما يغذوكم به ، وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بحبى) رواه الترمذى والحاكم وصححه على شرط الشيخين • وأخرج الحاكم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (خيركم خيركم لأهلى من بعدى) وأخرج ابن سعد والملا فى سيرته أنه صلى الله عليه وسلم قال (استوصوا بأهل بيتى خيرا ، فانى أخاصمكم عنهم غدا ، ومن أكن خصيمه أخصمه الله ، ومن أخصمه الله أدخله النار •)

وروى جماعة من أصحاب السنن عن عدد من الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك) وفى رواية غرق وفى أخرى زج فى النار ، وفى أخرى عن أبى ذر زيادة وسمعته يقول (اجعلوا أهل بيتى منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس ولا تهتدى الا بالعينين) وصح أن بنت أبى لهب لما هاجرت الى المدينة قيل لها لن تغنى عنك هجرتك أنت بنت حطب النار فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم •

فاشتد غضبه ثم قال على المنبر (ما بال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى ألا ومن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله) أخرجه ابن أبى عاصم والطبرانى وابن أبى عاصم والطبرانى وابن منده والبيهقى بألفاظ متقاربة • وأخرج الطبرانى والدارقطنى مرفوعا (أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى ، ثم الاقرب بالاقرب ، من قريش ثم الانصار ، ثم من آمن بى واتبعنى من اليمن ، ثم سائر العرب ، ثم الاعجام ، ومن أشفع له أولا أفضل) ولا تنافى بين هذا ، وبين ما رواه البزار والطبرانى وغيرهما (أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف) فان هذا ترتيب من حيث البلدان وذاك من حيث القبائل فيحتمل أن المراد البداءة فى قريش بأهل المدينة ، ثم مكة ، ثم الطائف ، وكذا فى الانصار ، فمن بعدهم •

وروى الطبرانى وابن عساكر أنه صلى الله عليه وسلم قال (أنا وفاطمة والحسن والحسين نجتمع ومن أحبنا يوم القيامة نأكل ونشرب حتى يفرق الله بين العباد) . وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : (يرد الحوض أهل بيتى ومن أحبهم من أمتى كهاتين السبابتين) ويشهد له خبر (يحشر المرء مع من أحب) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال الزموا مودتنا أهل البيت فانه من لقى الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذى نفسى بيده لا ينفع عبدا عمله الا بمعرفة حقنا) وصح (أن العباس شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تفعل قريش من تعبيسهم فى وجوههم ، وقطعهم حديثهم ، عند لقائهم فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه وقال : والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله) وفى رواية صحيحة أيضا (ما بال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لقرابتهم منى) .

وفي أخرى (والذى نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ولرسوله أيرجون شفاعتى ولا ترجونها بنو عبد المطلب) .

وروى الديلمى والطبرانى وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقى مرفوعا أنه صلى الله عليه وسلم قال (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وتكون عترتى أحب اليه من عترته ، وأهلى أحب اليه من أهله ، وذاتى أحب اليه من ذاته) .

وروى أبو الشيخ عن على كرم الله وجهه قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا حتى استوى على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال رجال يؤذوننى فى أهل بيتى ، والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحبنى ، ولا يحبنى حتى يحب ذريتى ، ولذلك قال أبو بكر رضى الله عنه صلة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من صلة قرابتي وروى أحمد مرفوعا (من أبغض أهل البيت فهو منافق) .

وعن أبى سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال (لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله النار) رواه الحاكم وصححه على شرطا الشيخين •

وعن أبى سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال (اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى) رواه الديلمى •

وعن على رضى الله تعالى عنه أنه قال لمعاوية رضى الله تعالى عنه اياك وبغضنا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد الا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار) رواه الطبرانى فى أوسطه وعن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم أرزق من أبغضنى وأهل بيتى كثرة المال والعيال) رواه الديمى •

قال ابن حجر : كفاهم أن يكثر مالهم ، فيطول حسابهم ، وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم ، ولا يشكل هذا بالدعاء لأنس بمثل ذلك لأن نعمة فى حقه يتوصل بها الى كثير من الامور المطلوبة بخلافه فى حق مبغضهم • وأخرج الديلمى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال : (نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة ، أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى) •

وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حسن وحسين (اللهم أحبهما وأحب من يحبهما) •

وأخرج الترمذى عن أسامة (أنه صلى الله عليه وسلم أجلس الحسن والحسين يوما على فخذيه ، وقال هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما) • وأخرج الترمذى عن أنس (أنه صلى الله عليه وسلم سئل أى أهل بيتك أحب إليك ؟ فقال الحسن والحسين) • وروى الطبرانى فى الكبير وابن أبى شيبه أنه صلى الله عليه وسلم قال فيهما اللهم انى أحبهما فأحبهما وأبغض من أبغضهما • وروى من طرق عديدة صحيحة أنه صلى الله عليه وسلم قال (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) • وفى رواية (الا

ابنى الخاله عيســـى ابن مريم ويحى بن زكريا) • وفى رواية (وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا ما كان منمريم بنت عمران) • وفى رواية (وأبوهما خير منهما) • وروى ابن عساكر وابن منده •

عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (انها أتت بابنيها فقالت يارسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا ، فقال : أما حسن فله هيبتى وسؤددى وأما حســين فله جراءتى وجودى) • وفى رواية (أما الحسن فقد نحلته حلمى ، وهيبتى ، وأما الحسين نحلته نجدتى وجودى) • وعن أنس أنه صــلى الله عليه وســلم قال (الحســن والحسين هما ريحانتاى من الدنيا) رواه النسائى والترمذى وقال صحيح • وروى ابن أبى شيبه وأحمد والاربعة عن بريده رضى الله تعالى عنه قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، اذ جاء الحسن والحسين ، عليهما قميصــان أحمران ، يمشيان ويعثران ، ويقومان ، فنزل صلى الله عليه وسلم فحملهما ، واحد من ذا الشق ، وواحد من ذا الشق ، ثم صعد المنبر فقال : صدق الله العظيم أموالكم وأولادكم فتنة ، انى نظرت الى هذين الغلامين ، يمشيان ويعثران ، فلم أصبر فقطعت كلامى ونزلت اليهما) •

وروى أحمد والترمذى عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم (من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة) • قال ابن حجر ومعنى المعيه هنا القرب والشهود ، لا معية المكان والمنزلة • انتهى ولا ينافى ذلك قوله فى درجتى لأمكان حملة على أن المعنى كان قريبا منى ، مشاهد الى حال كونه فى درجتى • وذكر الفخر الرازى أن أهل بيته صــلى الله عليه وسلم ساووه فى خمسة أشياء • فى الصلاة عليه وعليهم ، فى التشهد ، وفى السلام ، يقال فى التشهد ســلام عليك أيها النبى ، وقال تعالى ســلام على آل يس ، وفى الطهارة قال تعالى طه ، أى يا طاهر ، وقال تعالى ويطهركم تطهيرا • وفى تحريم الصداقة وفى المحبة قال تعالى : فاتبعونى يحببكم الله • وقال تعالى قل لا أسألكم

عليه أجرا الا المودة فى القربى • ومما نسب الى الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى قدس سره :

رأيت ولائى آل طه فريضة　　على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى　　بتبليغه الا المودة فى القربى

ومما قاله الامام اللغوى أبو عبد الله محمد بن على ابن يوسف الانصارى الشاطبى لربينا بن اسحق النصرانى •

عدي وتيم لا أحاول ذكرهم　　بسؤولكنى محب لهاشم
وما يعترينى فى على ورهطه　　اذا ذكروا فى الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم　　وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم أنى لأحسب حبهم　　سرأ فى قلوب الخلق حتى البهائم

وقال امامنا الشا فعى رضى الله تعالى عنه :

يا راكبا قف بالمحصب من منى　　واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى　　فيضا كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد　　فليشهد الثقلان انى رافضى

قال البيهقى انما قال الشافعى ذلك من نسبة الخوارج له الى الرافضة حسدا وبغيا ولبعضهم •

هم القوم من أصفاهم الود مخلصا　　تمسك فى أخراه بالسبب الاقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا　　محاسنهم تحكى وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى　　وطاعتهم وودهم تقوى

فالزم يا أخى محبتهم ومودتهم ، واحذر عداوتهم وأن تقع فيهم بشىء ، مخافة أن تقع فيما تقدم من الوعيد • (واعلم) أن المحبة المعتبره الممدوحة هى كما تزعمه الشيعة والرافضة ، من محبتهم مع مجانبتهم للسنة لا تفيد مدعيها شيئا من الخير ، بل تكون عليه وبالا وعذابا فى الدنيا والآخرة ، على أن هذه ليست محبة فى الحقيقة ، اذ حقيقة المحبة الميل الى المحبوب ، وايثار محبوباته ومرضياته على

فالزم يا أخى محبتهم ومودتهم ، واحذر عدواتهم وأن تقع فيهم محبوبات النفس ومرضياتها ، والتأدب بأخلاقه وآدابه ومن محبته

فى الحقيقة • اذ حقيقة المحبة الميل الى المحبوب ، وايثار محبوباته ومرضياته على محبوبات النفس ومرضياتها ، والتأدب بأخلاقه وآدابه ومن ثم قال على كرم الله وجهه لا يجتمع حبى وبغض أبى بكر وعمر أى لأنهما ضدان لا يجتمعان • وأخرج الدار قطنى مرفوعا (يا أبا الحسن) أما أنت وشيعتك فى الجنة ، وأن قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الاسلام ثم يلفظونه ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية ، لهم نبذ يقال لهم الرافضة ، فاذا أدركتهم فقاتلهم فانهم مشركون) • قال الدار قطنى ولهذا الحديث عندنا طرقات كثيرة (تنبيه) علم من الأحاديث السابقة وجوب محبة أهل البيت ، وتحريم بغضهم التحريم الغليظ ، وبلزوم محبتهم صرح البيهقى والبغوى ، بل نص عليه الشافعى فيما حكى عنه من قوله :

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

أى كاملة أو صحيحة على قول مرجوح للشافعى • (وقد ورد فى فضل قريش مطلقا أحاديث) منها ما أخرجه الامام أحمد ومسلم عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (الناس تبع لقريش فى الخير والشر) • ومنها ما أخرجه الامام أحمد والترمذى والحاكم عن سعد : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من يرد هوان قريش أهانه الله) ومنها ما أخرجه البخارى فى الأدب ، والحاكم والبيهقى عن أم هانىء : أنه صلى الله عليه وسلم قال : (فضل الله قريشا بسبع خصال ، لم يعطها أحدا قبلهم ، ولا يعطيها أحدا بعدهم ، فضل الله قريشا بأنى منهم ، وأن النبوة فيهم ، وأن الحجابة فيهم ، والسقاية فيهم ، ونصرهم الله على الفيل ، وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم ، وأنزل فيهم سورة من القرآن ، لم يذكر فيها أحدا غيرهم ، لايلاف قريش) • وفى رواية للطبرانى اسقاط أنى منهم • وذكر أن الخلافة فيهم •

وروى الشيخان عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال (الناس

تبع لقريش ، مسلمهم تبع لمسـلمهم ، وكافرهم تبع لكافرهم ، وان الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية ، خيارهم فى الاسـلام ، اذا فقهوا) • وفى رواية (يا أيها الناس لا تذموا قريشـا فتهلكوا ، ولا تخلفوا عنها فتضلوا ، ولا تعلموها وتعلموا منها ، فانها أعلم منكم ، لولا أن تبطر قريش لأعلمتها بالذى لها عند الله عز وجل •

(بيان مزايا أهل البيت التى اختصوا بها رضى الله تعالى عنهم)

فمنها تحريم الصدقة عليهم ، لكونها أوساخ الناس ، وتعويضهم خمس الخمس من الفيء والغنيمة • وقصر مالك وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنهما تحريمهما على بنى هاشم • وقال الشافعى وأحمد رضى الله تعالى عنهما : بتحريمها على بنى هاشم وبنى المطلب • وروى عن أبى حنيفة جوازها لبنى هاشم مطلقا وقال أبو يوسف تحل من بعضهم لبعض ، ومذهب أكثر الحنفية والشافعية وأحمد جواز أخذهم صدقة النفل • وهو رواية عن مالك • وروى عنه حل أخذ الفرض دون التطوع ، لأن الذل فيه أكثر • ومنها الاصطلاح على اطلاق الاشراف عليهم دون غيرهم ، قال الجلال السيوطى رحمة الله فى رسالته الزينبية ، اسم الشرف يطلق فى الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت ، سواء كان حسنيا أو حسينيا ، أم علويا من ذرية محمد بن الحنفية ، أو غيره من أبناء على ابن أبى طالب ، أم جعفريا ، أم عقيليا ، أم عباسيا • ولهذا تجد تاريخ الحافظ الذهبى مشحونا فى التراجم بذلك • يقول الشريف العباسى ، الشريف العقيلى ، الشريف الجعفرى ، الشريف الزينبى ، فلما ولى الخلافة الفاطميون بمصر قصرروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين • فقط واستمر ذلك بمصر الى الآن • وقال الحافظا بن حجر فى كتاب الألقاب : الشريف ببغداد لقب لكل عباسى ، وبمصر لقب لكل علوى ا هـ • ولا شك أن المصطلح القديم أولى وهو اطلاقه على كل علوى وجعفرى وعقيلى وعباسى كما صنعه الذهبى ، وكما أشار اليه الماوردى من أصحابنا ، والقاضى أبو يعلى القراء من الحنابلة • كلاهما فى الاحكام السلطانية • ونحوه قول ابن مالك فى الالفية • وآله المستكملين الشرفاء ، وقد يقال على اصطلاح أهل مصر ، الشريف أنواع عام لجميع أهل البيت ، وخاص بالذرية ، فيدخل فيه الزينبيون ، وجميع

أولاد بناته ، وأخص منه هو شرف النسـبة ، وهذا مختص بذرية الحسن والحسين ا هـ •

وسيأتى عند ذكر السيدة زينب الكلام على العلامة الخضراء ان شاء الله تعالى • ومنها أنه يطلب أكرامهم ، وتوفيرهم ، وايثارهم ، والتجاوز عن مساويهم ، واعتقاد أن فاسقهم سـيهديه الله تعالى • كل ذلك لأجل قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم • كما دل على بعض ذلك ما تقدم من الاخبار ، وعلى بعضـه قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) • وقوله صلى الله عليه وسلم (يا بنى عبد المطلب انى سألت الله لكم ثلاثا ، أن يثبت قائمكم ، وأن يهدى ضالكم ، وأن يعلم جاهلكم) • الحديث رواه الحاكم وصححه • وفى خبر حسن (ألا ان عيبتى وكرشى أهل بيتى والانصار ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) • أى فى غير الحدود وحقوق الآدميين • والمراد بكونهم عيبته وكرشه ، أنهم موضع سره ومعدن معارفه ، تشبيها بالعيبة التى هى اسـم لما يجوز نفيس الامتعة • والكرش الذى هو اسم لمستقر الغذاء الذى به النمو وقيام البنيه • وأخرج الدار قطنى أن الحسن جاء الى أبى بكر وهو على منبر رسول الله صـلى الله عليه وسلم • فقال : انزل عن مجلس أبى ، فقال صدقت انه مجلس أبيك • ثم أخذه وأجلسه فى حجره وبكى • فقال على أما والله ما كان على رأيى • فقال أبو أبكر صدقت ومـا اتهمتك ووقع نحو ذلك للحسين مع عمر • فانظر يا أخى عظم محبة الصديق وكمـال توقيره لآل البيت وعـدم تكدره مما قاله الحسن رضى الله عنهما وقد صرح العلماء بأنه ينبغى اكرام سكان بلده صلى الله عليه وسلم • وان تحقق منهم ابتداع أو نحوه رعاية لحرمة جواره صلى الله عليه وسلم •

فما بالك بذريته الذين هم بضعة منه ، ولو كان بينهم وبينـه وسائط • وقد روى فى قوله تعالى : وكان أبوهما صالحا ، أن الأب الذى حفظا من أجله كرامة له كان سابعا أو تاسعا •

وعن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ٠ قال أتيت عمر ابن عبد العزيز فى حاجة لى ، فقال لى اذا كانت لك حاجة فأرسل أو اكتب بها ، فانى أستحى من الله أن يراك على بابى ٠ وحكى عن بعضهم ، قال : كنت أبغض أشراف المدينة بنى حسين لتظاهرهم بالرفض فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام تجاه القبر الشريف ، فقال : يا فلان باسمى ، مالى أراك تبغض أولادى ؟ فقلت حاشا الله ما أكرمهم ، وانما كرهت ما رأيت من تعصبهم على أهل السنة ، فقال فى مسئلة فقهية أليس الولد العاق يلحق بالنسب ؟ فقلت بلى يا رسول الله ، فقال هذا ولد عاق ٠ فلما انتبهت صرت لا ألاقى من بنى حسين أحد الا بالغت فى اكرامه ٠ فينبغى أن الفاسق من أهل البيت ، وأن كان يبغض من حيث فعله ، يحب ويحترم من حيث قرابته منه صلى الله عليه وسلم وجاء فى بعض الطرق تحريمهم على النار ٠

وأعلم أن مقتضى الاحتياط أن تحب وتحترم المنسوب اليه صلى الله عليه وسلم من حيث قرابته منه ، وان طعن فى نسبة كما قاله الشعرانى وغيره ٠ لاحتمال بطلان الطعن وصحة النسب ، فى الواقع ، بل محبته واحترامه من حيث قرابته أبلغ فى رعاية جانبه عليه الصلاة والسلام ، من محبة واحترام من لا طعن فى نسبة فافهمه ٠ ومنها انتفاعهم بنسبهم له صلى الله عليه وسلم ، وانتفاع من صاهرهم بمصاهرتهم يوم القيامة ٠ اذ أن مصاهرتهم مصاهرة له صلى الله عليه وسلم وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر (ما بال أقوام يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع يوم القيامة بلى ان رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة وانى أيها الناس فرط لكم على الحوض) ٠ وصح أن عمر ابن الخطاب خطب لنفسه أم كلثوم بنت فاطمة من أبيها على بن أبى طالب ، فاعتل بصغرها ، وبأنه حابسها لولد أخيه جعفر ، فألح عليه عمر ثم صعد المنبر فقال : أيها الناس والله ما حملنى على الالحاح على على فى ابنته الا أنى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول (كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم

القيامة الا سببى ونسبى وصهرى فأمر بها على فزينت وبعث بها اليه فلما رآها قام وأجلسها فى حجرة فقبلها ودعا لها فلما قامت أخذ بساقها وقال لها قولى لأبيك قد رضيت فلما جاءت قال لها ما قال لك فذكرت له جميع ما فعله وما قاله ، فأنكحها اياه فولدت له زيدا ، مات رجلا •
قال ابن حجر وتقبيلها وضمها على وجه الاكرام ، لانها لصغرها لم لم تبلغ حدا يشتهى حتى يحرم ذلك ، ولولا صغرها ما بعث بها أبوها • لذلك قال ابن الصباغ وكان ذلك فى سنة سبع عشرة من الهجرة ، ودخل بها فى ذى القعده من السنة المذكورة وكان صداقها أربعين ألف درهم •

(تنبيه) لا ينافى ما فى هذه الاحاديث من نفع الانتساب اليه صلى الله عليه وسلم ما فى احاديث أخر من حثه لأهل بيته على خشية الله تعالى وطاعته ، وأن القرب اليه يوم القيامة انما هو بالتقوى ، وأنه لا يغنى عنهم من الله شيئا • كالحديث الصحيح أنه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين ، دعا قريشا فاجتمعوا ، فعم وخص وطلب منهم أن ينقذوا أنفسهم من النار • الى أن قال يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يابنى عبد المطلب ، لا أملك لكم شيئا غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها ، أى سأصلها بصلتها • وكالحديث الذى رواه أبو الشيخ ، يا بنى هاشم ليأتين الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على ظهورهم ، وتأتون بالدنيا على ظهوركم ، لا أغنى عنكم من الله شيئا • وكالحديث الذى رواه البخارى فى الأدب المفرد (ان أوليائى يوم القيامة المتقون • وان كان نسب أقرب من نسب لا يأتى الناس بالاعمال ، وتأتون تحملونها على رقابكم فتقولون يا محمد فأقول هكذا وهكذا وأعرض فى كلا عطفية) • وكالحديث الذى أخرجه الطبرانى (ان أهل بيتى هؤلاء ، يرون انهم أولى الناس بى وليس كذلك : ان أوليائى منكم المتقون ، من كانوا وحيث كانوا) • وكالحديث الذى أخرجه الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال • سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول (ان آل بنى فلان ليسوا بأوليائى ، أن ولى الله وصالحو المؤمنين) •

زاد البخارى (لكن لهم رحما سأبلها ببلالها) • ووجه عدم المنافاة كما قاله المحب الطبرى ، أنه صلى الله عليه وسلم ، لا يملك لأحد شـــيئا لا نفعا ولا ضرا ، لكن الله عز وجل يملكه نفع أقاربه ، بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة ، فهو لا يملك الا ما يملكه له مولاه كما أشار اليه بقوله غير أن لكم رحما ســأبلها ببلالها وكذا معنى قوله لا أغنى عنكم من الله شيئا • أى بمجرد نفسى من غير ما يكرمنى به الله ، من نحو شفاعة ، أو مغفرة ، وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف ، والحث على العمل ، والحرص على أن يكونوا أولى الناس حظا فى تقوى الله وخشيته ، ثم أومأ الى حق رَحِمِهِ لادخال نوع طمأنينة عليهم ، وقيل هذا قبل علمه بنفع الانتساب اليه ، وبأنه يشفع فى ادخال قوم الجنة بغير حساب ، ورفع درجات آخرين ، واخراج آخرين من النار ، نعم يستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق ، أوليائى منكم المتقون • وقوله انما ولى الله وصالحو المؤمنين ، أن نفعا رحمه وقرابته ، وان لم ينتف لكن ينتفى عنهم بسبب عصيانهم وولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه ، بارتكابهم ما يسوؤه صلى الله عليه وسلم ، عند عرض اعمالهم عليه • ومن ثم يعرض صلى الله عليه وســـلم عمن يقول له منهم فى القيامة يـــا محمد كما فى الحديث المتقدم •

وقد قال الحسين بن الحسن السبط لبعض الغلاة فيهم « ويحكم أحبونا لله فان أطعنا الله فأحبونا وان عصينا الله فأبغضونا ، ويحكم لو كان نافعا بقربة من رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب اليه منا ، والله انى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين ، وأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين • وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى (يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين) • كذا فى الصداعق • وفى طبقات المناوى حكاية هذا الكلام عن الحسن السبط نفسه ، وزيادة أبيه وأمه بعد قوله من هو أقرب اليه منا ، فلعل القول تعدد • واعلم أنه لا ينبغى

لمنسوب اليه صلى الله عليه وسلم أن يتكل على ما ذكر لأنه انما ثبت لمن هو فى الواقع متصل به عليه الصلاة والسلام ومن آل بيته ومن أين تحقق ذلك لقيام احتمال زلل بعض النساء وكذب بعض الاصـــول فى الانتساب وان كانا خلاف الظاهر ، على أن المأثور عن أكابر آل البيت شدة خشيتهم من الله تعالى ، وعظم خوفهم مـ نعذابه ، وكثرة تأسفهم على أدنى تقصير وقع منهم رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم • ومنها أن وجودهم أمان لأهل الارض ، أخرج جماعة كلهم بسند ضـــعيف أنه صلى الله عليه وسلم قال (النجوم أمان لأهل السماء وأهل البيت أمان لأمتى) وفى رواية ضـــعيفة (أهل بيتى أمان لأهل الارض فاذا هلك أهل بيتى جاء أهل الارض من الآيات ما كانوا يوعدون) • وفى أخرى لأحمد (اذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء واذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الارض) •

وفى رواية صـــححها الحاكم على شرط الشيخين (النجوم أمان لأهل الارض من الغرق ، وأهل بيتى أمان لأهل الارض من الاختلاف) • وقد يشـــير الى هذا المعنى قوله تعـــالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) • أقام أهل بيته مقامه فى الامان لأنهم منه وهو منهم كما ورد فى بعض الطرق • ومنها أنهم أول من يدخل الجنة • روى الثعلبى عن على كرم الله وجهه قال (شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس • فقال لى أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة ، أنا وأنت والحسن والحسين ، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا ، وذريتنا خلف أزواجنا) • وروى الطبرانى عن أبى رافع أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى (أنا أول أربعة يدخلون الجنة ، أنا وأنت والحسن والحسين وازواجنا خلف ذرياتنا ، وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا) •

قال موسى بن على بن الحسين بن على وكان فاضلا عن أبيه عن جده ، انما شيعتنا من أطاع الله وعمل أعمالنا • وما يتراءى من التنافى بين هاتين الروايتين فى مرتبتى الازواج والذرية يمكن دفعه بحمل بعض كل منهما على كذا وبعضه الآخر على كذا والله أعلم • وأخرج

أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال (يا معشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت الا بكم) • وروى الطبرانى عن على أنه صلى الله عليه وسلم قال (أول من يرد على الحوض أهل بيتى ومن أحبنى من أمتى) • لكن هذا ضعيف والذى صح (أول من يرد على الحوض فقراء المهاجرين) •

وبفرض صحة الاول يحمل على أن أولئك أول من يرد بعد هؤلاء كما قاله ابن حجر • هذا وقد ورد فى حق أبى بكر أنه أول من يدخل الجنة • وكذا فى حق عمر • وقد يدفع التنافى بأن الاول على الحقيقة هو صلى الله عليه وسلم وأولية ما عداه نسبية • ومنها ان محبتهم تطول العمر وتبيض الوجه يوم القيامة • وبضـــد ذلك بغضهم كما فى خبر أورده فى الصواعق أنه صلى الله عليه وسلم قال (من أحب أن ينســأ) أى يؤخر أجله (وأن يمتع بما خول له فليخلفنى فى أهلى خلافة حسنة ، فمن لم يخلفنى فيهم بتر عمره ، وورد على يوم القيامة مسودا وجهه)• ومنها أنهم أشرف الخلق نسبا • أخرج الامام أحمد بســـند جيد عن العباس •

(أنه صلى الله عليه وسلم صـــعد المنبر فقال من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم • أنا محمد بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، ان الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقـــه ، وجعلهم فرقتين فجعلنى فى خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا) •

وأخرج أحمد والمحاملى وغيرهما عن عائشـــة رضى الله عنها أنها قالت قال صلى الله عليه وسلم (قال جبريـــل قلبت مشـــارق الارض ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم) • ومنها أن من صنع مع أحد منهم معروفا كافأه النبى صـــلى الله عليه وسلم يوم القيامة • روى الديلمى مرفوعا (من أراد التوسل وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة ، فليصل أهل بيتى ويدخل السرور عليهم) •

ومنها أن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه صلى الله عليه وسلم ، وينسبون اليه نسبـــه صـــحيحة • أخرج الطبرانى مرفوعا (ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب) • وأخرج الطبرانى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال (كل بنى أم ينتمون الى عصبة الا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم) • وفى رواية صحيحة (كل بنى أنثى عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فانى أنا أبوهم وعصبتهم) •

وهذه الخصوصية لاولاد فاطمة فقط دون أولاد بقية بناته فـــلا يطلق عليه صـــلى الله عليه وسلم أنه أب لهم ، وأنهم بنوه ، كما يطلق ذلك فى أولاد فاطمة • نعم يطلق عليهم انهم من ذريته رنسله وعقبه • وسيأتى لهذا المقام زيادة كلام عند ذكر زينب بنته صلى الله عليـــه وسلم • ومنها أن منهم مهدى آخر الزمان أخرج مســـلم وأبو داود والنسائى وابن ملجـــه والبيهقى وآخرون (المهدى من عترتى من ولد فاطمة) • وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه (لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله فيه رجلا من عترتى ى • وفى رواية (رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جورا) •

وفى رواية لمن عدا الأخر لا تذهب الدنيا ولا تنقضى حتى يملـــك رجل من أهل بيتى يواطىء اســـمه اسمى) • وفى رواية لأبى داود والترمذى (لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى ، يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما) •

واخرج الطبرانى (المهدى منا يختم الدين به كما فتح بنا) • وأخرج الحاكم فى صـــحيحه (يحـــل بأمتى فى آخر الزمان بلاء شـــديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه ، حتى لا يجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلا من عترتى أهل بيتى ، يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، يحبه ساكن الارض وساكن السماء ، وترسل السماء قطرها ، وتخرج الارض نباتها لا يمسكن شـــيئا يعيش فيهم سبع ســـنين أو

ثمانيا أو تسعا يتمنى الاحياء الاموات مما صنع الله بأهل الارض من خير) •

وروى الطبرانى والبزار نحوه وفيه (يمكث فيهم سبعا أو ثمانيا فأن أكثر فتسعا) •

وفى رواية لابى داود والحاكم (يملك بسبع سنين أو تسعا فيجيء اليه الرجل فيقول له يا مهدى اعطنى فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله) وأخرج أحمد ومسلم يكون فى آخر الزمان خليفة يحثى المال حيثا ولا يعده عدا) •

وأخرج أبو نعيم (ليبعثن الله رجلا من عترتى أفرق الثنايا أجلى الجبهة أى انحسر الشعر عن جبهتـــه (يملأ الارض عدلا يفيض المال فيضا) • وأخرج الرويانى والطبرانى وغيرهما (المهدى من ولد وجهه كالكوكب الدرى اللون لون عربى والجسم جسم اسرائيلى) أى طويل (يملأالارض عدلا كما ملئت جورا يرضى لخلافته أهل الســماء وأهل الارض) •

وورد أيضا فى حليته أنه شاب أكحل العينين ، أزرج الحاجبين ، أقنى الأنف كث اللحيـــة ، على خده الايمن خـــال ، وعلى يده اليمنى خال) • وتقدم تفسير غريب ذلك فى الكلام على لحيته صلى الله عليه وسلم • وأخرج الطبرانى مرفوعا (يلتفت المهدى وقد نزل عيسى عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء ، فيقول المهدى تقدم فصل بالناس ، فيقول عيسى انما أقيمت الصلاة لك ، فيصلى خلف رجل من ولدى) • الحديث وفى صحيح ابن حبان فى أمامة المهدى نحوه وصـــح مرفوعا (ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدى تعالى صل بنا ، فيقول لا انما بعضكم أئمة على بعض ، تكرمة الله لهذه الأمة) • وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة فيأتيه ناس من آهل مكة فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليهم بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء ، بين مكـــة والمدينة ، فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال أهل

الشام وعصـــائب أهل العراق فيبايعونه) • الحديث فعلم منه ومن أحاديث أخر أنه يخرج من المشرق من بلاد الحجاز ، والقول بأنه يخرج من المغرب لا أصل له ، كما نبه عليه العلقمى •

وأخرج ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال (لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتى يملك جبل الديلم والقسطنطينيه) • زاد فى روايات ورومية ومروية • وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها والمهدى وسطها) •

والمراد بالوسط ما قبل الآخر وأخرج أحمد والماوروى أنه صـــلى الله عليـــه وسلم قال (أبشروا بالمهدى رجـــل من قريش من عترتى ، يخرج فى اختلاف من الناس وزلزال ، فيملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض ، ويقسم المال بالســوية ، ويملأ قلوب أمة محمد غنى ، ويســعهم عدله ، حتى أنه يأمر مناديا فينادى من له حاجة الى فما يأتيه أحد الا رجل واحد ، يأتيه فيسأله فيقول ائت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول أنا رسول المهدى أرسلنى اليك لتعطينى ، فيقول أحث فيحثى حتى لا يستطيـــع أن يحملـــه ، فيلقى حتى يكون قدر ما يســـتطيع أن يحمله فيخرج به فيندم ، فيقول أنا كنت أجشع أمة محمد نفسا ، كلهم دعى الى هذا المال فتركه غيرى فيرد عليه فيقول انا لا نقبل شيئا أعطيناه فيلبث فى ذلك ستا أو سبعا أو ثمانيا أو تسع سنين ولا خير فى الحيلة بعده) وروى أبو داود فى سننه أنه من ولد الحسن ، وكأن سره ترك الخـــلافة لله عز وجل شفقة على الأمة ، فجعل الله القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة اليه من ولده ليملأ الارض عدلا ، ورواية كونه من ولد الحسين واهية • وجاء فى روايات (انه عند ظهوره ينادى فوق رأســـه يملك الارض شرقها وغربهـــا ، وأن الذين يبايعونه أولا بين الركن والمقام بعدد أهل بدر ، ثم يأتيه أبدال الشـــام ونجباء مصر وعصـــائب أهل المشرق وأشباههم ، ويبعث الله اليه جيشا من خراسان برايات سود

ثم يتوجه الى الشام ، وفى رواية الى الكوفة) . والجميع ممكن ، وأن الله تعالى يمده بثلاثة آلاف من الملائكة . وأن أهل الكهف من اعوانه . قال السيوطى وحينئذ فسر تأخيرهم الى هذه المدة اكرامهم بشرف دخولهم فى هذه الامة أ هـ .

أى واعانتهم للخليفة الحق وأن على مقدمة جيشه رجلا من تميم ، خفيف اللحية يقال له شعيب بن صالح ، وأن جبريل على مقدمة جيشه ، وميكائيل على ساقتة ، وأن السفيانى يبعث اليه من الشام جيشا فيخسف بهم بالبيداء فلا ينجو منهم الا المخبر ، فيسير اليه السفيانى بمن معه فتكون النصرة للمهدى ، ويذبح السفيانى . وهو كما فى المسائل الظريفة للشيخ المجد ولى ، رجل من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفيان ، ضخم الهامة بوجهه أثر الجدرى ، وبعينه نكتة بيضاء ، يخرج من ناحية دمشق ، وعامة من يتبعه من كلب ، يفعل الافاعيل ، ويقتل قبيلة قيس ، وأن المهدى يستخرج تابوت السكينة من غار انطاكية ، وأسفار التوراة من جبل بالشام ، يحاج بها اليهود فيسلم كثير منهم ، وأنه يكون بعد موت المهدى القحطانى ، رجل من أهل اليمن ، يعدل فى الناس ، ويسير فيهم المهدى يمكث مدة ثم يقتل . وجاء فى رواية تفضيل المهدى على أبى بكر وعمر بل على بعض الانبياء .

قال فى العرف الوردى فى أخبار المهدى وتأويلة بمثل ما أول به حديث (ان من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدا منكم) وحاصلة أن أفضليته من جهة زيادة صبره فى شدة الفتن ، وزيادة الكروب لاتفاق الروم عليه ، ومحاصرة الدجال له ؛ لا من جهة زيادة الثواب والرفعة عند الله تعالى ا هـ .

وأما حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يزداد الأمر الا شدة ولا الدنيا الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدى الا عيسى ابن مريم فمتكلم فيه . وعلى الجزية وأهلاكه الملل المخالفة لملتنا . كما صحت به الاحاديث . أولا مهدى معصوما الا هو . وخبر ابن عدى (المهدى من ولد العباس عمى) فى اسناده وضاع .

وما صح عند الحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (منا أهل البيت أربعة ، منا السفاح ، ومنا المنذر ، ومنا المنصور ، ومنا المهدى) • المراد بأهل البيت فيه ما يشمل جميع بنى هاشم ، وتكون الثلاثة الأول من نسل فاطمة • فلا أشكال • وعلى تقدير أن المراد أن الاربعة من ولد العباس ، يحمل المهدى فى كلامه على ثالث خلفاء بنى العباس ، لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية ، لما أوتيه من العدل التام والسيرة الحسنة ، ولأنه صح أن اسم المهدى يوافق اسمه صلى الله عليه وسلم ، واسم أبيه اسم أبيه • والمهدى هذا كذلك • قال فى الصواعق الاظهر أن خروج المهدى قبل نزول عيسى • وقيل بعده • وقد تواترات الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم بخروجه ، وأنه من أهل بيته ، وأنه يملأ الارض عدلا ، وأنه يساعد عيسى على قتل الدجال بباب لد ، بأرض فلسطين ، وأنه يؤم هذه الأمة ، ويصلى عيسى خلفه • وأكثر الروايات متفقة على تحقيق ملكه سبع سنين • والشك فى الزيارة الى تمام تسع ، وفى رواية تحقق ست كما تقدم كل ذلك فى بعض الآثار أنه يخرج فى وتر من السنين سنة احدى أو ثلاث أو خمس أوسبع أو تسع • وأنه بعد أن تعقد له البيعة بمكة يسير منها الى الكوفة ، ثم يفرق الجنود الى الأمصار • وأن السنة من سنيه تكون مقدار عشر سنين ، وأنه يبلغ سطانه المشرق والمغرب ، وتظهر له الكنوز ، ولا يبقى فى الارض خراب الا يعمره •

وقال مقاتل ابن سليمان ومن تبعه •

وقال الشيخ محى الدين فى الفتوحات : اعلموا أنه لا بد من خروج المهدى عليه السلام ، لكن لا يخرج حتى تمتلىء الارض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا ، وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ولد فاطمة رضى الله تعالى ، عنها جده الحسين بن على ابن أبى طالب ، ووالده الامام حسن العسكرى ابن الامام على النقى ، بالنون ابن الامام محمد التقى ، بالتاء ابن الامام على الرضا ، ابن الامام موسى الكاظم ، ابن جعفر الصادق ، ابن الامام محمد الباقر ، ابن الامام زين العابدين على ، بن الحسين ، بن الامام على بن ابى طالب رضى الله

تعالى عنهم • يواطىء اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبايعه المسلمون بين الركن والمقام ، يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخلق • بفتح الخاء وينزل عنه فى الخلق بضمها اذ لا يكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه ، أسعد الناس به أهل الكوفة ، يقسم المال بالسوية ، ويعدل به فى الرعية ، يمشى الخضر بين يديه • يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطىء ، له ملك يسدده من حيث لا يراه ، يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألفا من المسلمين ، يشهد الملحمة العظمى ، مأدبة الله بمرج عكا ، يعز الله به الاسلام بعد ذلك ، ويحييه بعد موته ، ويضع الجزية ، ويدعوا الى الله تعالى بالسيف ، فمن أبى قتل ، ومن نازعه خذل ، يحكم بالدين الخاص عن الرأى ، ويخالف فى غالب أحكامه مذاهب العلماء ، فينقبضون منه لذلك ، لظنهم أن الله تعالى ليحدث بعد أئمتهم مجتهدا ، وأطال فى ذكر وقائعه معهم ثم قال : واعلم أن المهدى اذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم ، وله رجال الهيون ، يقيمون دعوته وينصرونه ، هم الوزراء له ، يتحملون أثقال المملكة عنه ، ويعينونه على ما قلده الله ، ينزل الله عليه عيسى ابن مريم ، عليه الصلاة والسلام ، بالمنارة البيضاء شرقى دمشق ، متكئا على ملكين ، ملك عن يمينه ، وملك عن يساره ، والناس فى صلاة العصر ، فيتنحى له الامام عن مقامه ، فيتقدم فيصلى بالناس يؤم الناس بسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويقبض الله اليه المهدى طاهرا مطهرا ، وفى زمانه يقتل السفيانى عند شجرة بغوطة دمشق ، ويخسف بجيشه فى البيداء ، فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته • وقال فى محل آخر من فتوحاته قد استوزر الله تعالى للمهدى طائفة خبأهم الله تعالى له فى مكنون غيبة ، أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق ، وما هو أمر الله فى عباده ، فلا يفعل المهدى شيئا الا بمشاورتهم ، وهم على أقدام رجال من الصحابة ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وهم من الاعاجم ، ليس فيهم عربى ، لكن لا يتكلمون الا بالعربية ، لهم حافظ

من غير جنسهم ما عصى الله قط ، هو أخص الوزراء • ثم قال وهؤلاء الوزراء لا يزيدون عن تسعة ، ولا ينقصون عن خمسة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم شك فى مدة اقامته خليفة ، من خمس الى تسعة • للشك الذى وقع فى وزرائه • فلكل وزير معه اقامة سنة • فان كانوا خمسة عاش خمسا • وان كانوا سبعة عاش سبعا • وان كانوا تسعة عاش تسعا • ولكل سنة أحوال مخصوصة • وعلم يختص به وزيرها ، ويقتلون كلهم الا واحدا ، فى مرج عكا فى المأدبة الالهية التى جعلها الله مائدة للسباع والطيور والهوام • وذلك الواحد الذى يبقى لا أدرى هل هو ممن استثنى الله فى قوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) • أو هو يموت فى تلك النفخة ، وانما شككت فى مدة اقامة المهدى اماما فى الدنيا ، لأنى ما طلبت من الله تحقق ذلك أدبا معه تعالى • أن أسأله فى شيء من ذات نفسى ، ولما سلكت معه هذا الأدب ، قيض الله تعالى واحدا من أهل الله عز وجل ، فدخل على وذكر لى عدد هؤلاء الوزراء ، ابتداء وقال لى هم تسعة ، فقلت له ان كانوا تسعة فان بقاء المهدى لا بد أن يكون تسع سنين • وأطال فى بيان ذلك •

وقال فى محل آخر من فتوحاته انه يحكم بما ألقى اليه الملك الالهام من الشريعة • وذلك أنه يلهم الشرع المحمدى فيحكم به • كما أشار اليه حديث المهدى ، يقفو أثرى لا يخطيء ، فعرفنا صلى الله عليه وسلم أنه متبع لا مبتدع ، وأنه معصوم فى حكمه ، فعلم أنه يحرم عليه القياس مع وجود النصوص التى منحه الله اياها على لسان ملك الالهام ، بل حرم بعض المحققين القياس على جميع أهل الله • لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهودا لهم ، فاذا شكوا فى صحة حديث أو حكم رجعوا اليه فى ذلك ، فأخبرهم بالأمر الحق يقظة ومشافهة •

وصاحب هذا المشهد لا يحتاج الى تقليد أحد من الائمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أ هـ •

ولا يخفى أن ما ذكره من كون جده الحسين مناف لما مر من ترجيح رواية كون جده الحسن ، وأن ما ذكره من كون والده الحسن العسكرى ،

مناف لما مر فى بعض الروايات من كون اسم أبيه يواطىء اسـم أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن ما ذكره من كون المحقق فى مدة اقامته اماما خمس سنين ، مناف لما مر عن الصواعق أخذا من الاحاديث السابقة من كون المحقق ست سنين ، وأن ما ذكره من كونه يضع الجزية ويقتل من لم يسلم ، مناف لما مر من كون ذلك لعيسى • وأن ما ذكره من كون عيسى هو الذى يصلى بالناس حين ينزل ، مناف لمـا مر من كون الذى يصلى بهم حينئذ هو المهدى • ثم ما ذكره من أن عيسـى ينزل والناس فى صلاة العصر ، مناف لما فى السيرة الحلبية من أنه ينزل والناس فى صـلاة الفجر ، وفيها أنه يتزوج بامرأة من جذام ، قبيلة باليمن ويولد له ولدان ، يسمى أحدهما محمد ، والآخر موسى • وأن مدة مكثه سبع سنين على ما فى مسـلم • وبها تكون مدة حياته فى الارض أربعين • لتنبئـه وهو ابن ثلاثين سنة • ورفعـه وهو ابن ثلاث وثلاثين • وأنه يدفن عند نبينا صلى الله عليه وسلم • وأن ظهور المهدى بعد أن يخسف القمر فى أول ليلة من رمضان ، وتكسف الشمس فى النصـف منه • فان مثل ذلـك لم يوجد منذ خلق الله السـموات والارض اهـ •

وفى الكشف للحافظ السيوطى من طرق عديدة أن عيسـى يمكث بعد نزوله أربعين سنة • وفى الاعلام له أن عيسى انما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسـلم ، كما نص عليه العلماء ووردت به الاحاديث وانعقـد عليه الاجماع ، وأنه لا يصح أن يكون مقلدا فى حكمه مذهبا من المذاهب • ثم ذكر لمعرفته الشريعة المحمدية طرقا منها ، أنه يمكن أن يفهم جميع أحكام الشريعة من القرآن • من غير احتياج الى الحديث • كما فهمها منه نبينا صلى الله عليه وسلم لانطوائه على جميعها • وان قصرت أفهام الأمة عن فهم ما يفهمه صـاحب النبوة • ويدل على فهم نبينا جميعها منه قول الشـافعى رضى الله تعالى عنه جميع ما حكم به النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو مما فهمه من القرآن ، بل قوله صلى الله عليه وسلم (وانى لا أحل الا ما أحل الله فى كتابه ، ولا أحرم الا ما حرم الله فى كتابه) •

ومنها أن عيسى اذا نزل يجتمع به صلى الله عليه وسلم • فلا مانع من أن يأخذ عنه ما يحتاج اليه من أحكام شريعته ؛ وكم من ولى ثبت أنه اجتمع به يقظة ، وأخذ عنه • فعيسى أولى • ثم ذكر أنه بعد نزوله يوحى اليه بجبريل وحيا حقيقيا • وأطال فى الاحتجاج لذلك والرد على منكره هذا • ويجوز أن يكون طريق معرفته للأحكام الالهام ، نظير ما مر عن ابن عربى فى المهدى ، والله أعلم •

(فى مناقب الخلفاء الاربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى)
(رضى الله عنهم أجمعين)

الحمد لله الكريم الغفار الحليم الستار • مكور الليل على النهار ، وكل شىء عنده بمقدار ، حارت فى قضاياه العقول والافكار ، وتاه فى بيداء أبديته أولو البصائر والاعتبار • قهر الجبابرة بقهر عزته فهو الواحد القهار ، وكسر الاكاسرة بقوة سطوته فهو العظيم الجبار • كون الاكوان ودبر الزمان • فلا يحتاج الى أعوان وأنصار لا يقاد قدره ، ولا يستحق العبادة غيره • قد عم احسانه سائر الاماكن وجميع الاقطار • يعلم دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء • ولا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء • ولا فى قرار البحار • يعلم سر العبد عند مآله ومنقلبه ، ويطلع على ضميره عند قصده وطلبه (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) • فسبحانه من اله اصطفى واجتبى ، وانتقى وارتضى ، واختار (وربك يخلق ما يشاء ويختار) • واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم نبيه المنتخب رسولا ، واجتبى أبا بكر الصديق وخصه بالتصديق والهيبة والوقار •

وانتقى للصواب عمر بن الخطاب ، فحلا ذكره وطاب للبادين والحضار • وارتضى عثمان بن عفان لجمع القرآن ، فجمعه ما بين أخماس وأعشار واختار على ابن أبى طالب لتفريق الكتائب واظهار العجائب ، واشهار ذى الفقار ، فهم الذين نزل فى حقهم على لسان رسوله المختار (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) •

فأبو بكر مؤنسه فى الغار ، وعمر وزيره وأمينه على الاسرار ، وعثمان المقتول بيد العدوان شهيد الدار ، وعلى بن أبى طالب ابن عمه ووارث علمه الفارس الكرار •

فهؤلاء خلفاءه ووزراؤه الائمة الابرار • الذين وفوا للنبى صلى

الله عليه وسلم بعهودهم ، وقد جرت بسعودهم الاقدار • وتابعوه وبايعوه على ما يحب ويختار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الائمة الاخيار فى المعنى :

الطرف فى معناك حسار — يا من له أبدا يشار
كيف السلو وأنت فى — قلبى وان نأت الديار
قد خصك الله الكريم — بصحبة الشيخ الوقار
فهم أصحاب المصطفى — ما خاب من بهم استجار
والبر عثمان الذى — نال الشهادة والفخار
وحياة حبك لا سلو — ت ان سلوت على عار
يا أيها الهادى البشير — والهاشمى المستنار
وكذلك فى عمر الذى — عمر الشريعة بانتهار
وعلى البطل الرضا — مردى الطغاة بذى الفقار
فعليه صلى ربنا — ما ناح فى الصبح الهزار
وعلى الصحابة بعد — ما زمزم الحادى وسار

وروى أبو ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (من أدخل السرور على أصحابى فقد أدخل السرور على ، ومن أدخل السرور على فقد سر الله ، ومن سر الله كان حقا على الله أن يسره ويدخله الجنة) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة الا فى قلب مؤمن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى) • رضى الله عنهم أجمعين وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (أجىء يوم القيامة وأبو بكر عن يمينى ، وعمر عن شمالى ، وعثمان من ورائى ، وعلى بين يدى ، ومعه لواء الحمد ، وعليه شقتان ، شقة من السندس ، وشقة من الاستبرق • فقام اليه أعرابى فقال فداك أبى وأمى يا رسول الله ، على يستطيع أن يحمل لواء الحمد قال كيف لا يستطيع حمله وقد أعطى خصالا : صبرا كصبرى وحسنا كحسن يوسف وقوة كقوة جبريل وان لواء الحمد بيد على بن أبى طالب وجميع الخلائق يومئذ تحت لوائى) •

وروى عن بن أبى طالب رضى الله عنه قال ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى على ناقته الى دار الهجرة واعتق بـــلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا ، رحم الله عثمان تســـتحى منه الملائكة ، رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه أين دار) وفى المعنى :

هموا صحابة خير الخلق أيدهم   رب السماء بتوفيق وايثار

فحبهم واجب يشفى السقيم به   فمن أحبهمو ينجو من النار

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لأبى بكر رضى الله عنه (ياأبا بكر خلقنى الله عز وجل من جوهرة من نور فنظر اليها الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه فأوقفنى بين يديه فاستحييت منه فعرقت فسقط منى أربعة نقطات خلقك يا أبو بكر من أول نقطة وخلق عمر من الثانية وخلق عثمان من الثالثة وخلق على من الرابعة فنورك يا أبا بكر ونور عمر وعثمان وعلى من نورى) •

وقال صلى الله عليه وسلم (ان الله اختار أصحابى فى جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين ، فاختار من أصحابى أربعة ، أبا بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب) • رضى الله عنهم أجمعين • وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض عليكم حب الصلاة والزكاة والصـــوم والحج فمن أبغض واحداً منهم لم يقبل الله له صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجا ويحشر من قبره الى النار) •

وروى أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لحوضى أربعة أركان فأول ركن منها فى يد أبى بكر والثانى فى يد عمر والثـــالث فى يد عثمان والرابع فى يد على فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض عثمان لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه على فمن أحب أبابكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد كتب من المؤمنين ومن أحب عثمان فقد استنار بالنور المبين ومن أحب عليا فقد أحسن والله يحب المحسنين

ومن أحسن الظن فيهم فهو مؤمن ومن أساء الظن فهو منافق) •
وفى المعنى :

من أحسن الظن بالله الكريم وفى   رسوله كان مكتوبا من الشرفا
ومن أحب أصحاب المصطفى فله   جنات عدن يرى فى ظلها غرفا
ومن يكن باغضا فيهم فان له   نار الجحيم ويضحى باكيا أسفا
فهم نجوم الهدى فى كل مظلمة   والله حسبى فيما قلته وكفى

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه) قال (كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقبل أبو بكر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بالمواسى بماله ، مرحبا بالمؤثر على نفسه • ثم أقبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال مرحبا بالمفرق بين الحق والباطل ، مرحبا بمن أكمل الله به الدين وأعز به المسلمين • ثم أقبل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقال : مرحبا بصهرى وزوج ابنتى التى جمع به نورى السعيد فى حياته ، الشهيد فى مماته ، ويل لقاتله من النار • ثم أقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال : مرحبا بأخى وابن عمى ، والذى خلقت أنا وهو من نور واحد) • معاشر المسلمين هؤلاء لا يتفق حبهم الا فى قلب مؤمن ، ولا يتفرق الا فى قلب منافق ، فمن أحبهم أحبه الله • ومن أبغضهم أبغضه الله •
وفى المعنى أيضا :

حب النبى على الناس مفترض   وحب أصحابه نور ببرهان
من كان يعلم أن الله خالقه   لا يرمين أبا بكر ببهتان
ولا أبا حفص الفاروق صاحبه   ولا الخليفة عثمان بن عفان
ولا عليا أبا السبطين نعم فتى   وصى به الله فى سر واعلان
ركن الشريعة بحر العلم منتخب   والبيت لا يستوى الا بأركان
شاعت مناقبهم فى الناس كلهم   ما بين علم واحكام وتبيان
لا تستطيع العدا منه محاربة   ولو أتوه بأبطال وشجعان
فهم صحابة خير الخلق خصهم   رب العباد بجنات ورضوان
فمن أحبهم قد نال منزلة   عند الاله وجازاه باحسان
عليهم من سلام الله أطيبه   ما ناحت الورق فى أوراق وأغصان

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (دخلت الجنة فبينما أنا أطوف فى رياضها وبين أنهارها وأشجارها اذ ضربت بيدى الى ثمرة ، فأخذتها فانفلقت فى يدى أربع قطـــع ، فخرج من كل قطعة حورية ، لو أخرجت ظفرها لفتنت أهل السموات والارض ، ولو أخرجت كفها لغلب ضوءها ضوء الشـــمس والقمر ، ولو تبسمت لملأت ما بين السماء والارض مسكا من رائحتها ، فقلت للأولى لمن أنت ؟ قالت لأبى بكر الصديق ، فقلت أمضى الى قصر بعلك • فمضت • وقلت للثانية لمن أنت ؟ فقالت لعمر بن الخطاب ، فقلت أمضى الى قصر بعلك • فمضت • وقلت للثالثة لمن أنت ؟ فقالت للمخضب بدمه المقتول ظلما ، عثمان بن عفان ، فقلت لها أمضى الى قصر بعلــك فمضت • وقلت للرابعة لمن أنت ؟ فسكتت ثم قالت والله يارسول الله ان الله تعالى خلقنى على حسن فاطمة ولقد سمانى على اسمها وان الله تعالى زوجنى من على بن أبى طالب رضى الله عنه قبل أن يتزوج فاطمة بألفى عام) •

فهم خلفاء للنبى صلى الله عليه وسلم وأنصـــاره وأصحابه وهم حافون به يوم القيامة الى دار الكرامة •

فهم صحاب المصطفى وهم الخواص من الامم •
أهل المآثر والمفاخر والفتوة والكرم •
وبعدلهم سادوا الورى وبنورهم تجلى الظلم •
خلفاء أفضل شافع للخلق فى يوم الندم •
صلى عليه ربنا ما سح دمع وانسجم •
وعلى صحابته الكرام الطاهرين أولى الشيم •

وقيل ان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما ، كانا فى بعض أشغال النبى صلى الله عليه وسلم ، فأدركتهما صلاة العصر ، فقال عمر بن الخطاب لعثمان رضى الله عنهما ، تقدم فصـــل بنا فقال عثمان رضى الله عنه أنت أولى منى بالتقدم يا عمر ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمك وأثنى عليك، فقال عمر رضى الله عنه أنا لاأتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (نعم الرجل

عثمان صـــهرى وزوج ابنتى ومن جمع الله به نورى) • فقال عثمان رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (عمر أكمل الله به الاسلام) • فقال عمر رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وســلم يقول عثمان تستحى منه الملائكة • فقال عثمان رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمر كمل الله به الدين وأعز به المســلمين • فقال عمر رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عثمان يجمع القرآن ، وهو حبيب الرحمن • فقال عثمان رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فانى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم الرجل عمر يتفقد الارامل والايتام ، ويحمل لهم الطعام ، وهم نيام ، فقال عمر رضى الله عنه أنا لاأتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقك غفر الله لعثمان مجهز جيش العسرة • فقال عثمان رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فانى سمعت رسول الله صــلى الله عليه وسلم يقول فى حقك اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب ، وسماك رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق ، وفرق الله تعالى بك بين الحق والباطل • فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لهما وشــكرهما على حسن أدبهما بعضهما مع بعض :

طوبى لمن قلبــه باللــه مشــتغل ... يبكى النهار وطول الليــل يبتهــل
خوف الوعيــد وذكر النــار أذهله ... والدمع منه على الخدين ينهمــل
يهوى صحابــة خير الخلق كلهم ... فحبهم واجب يرجى بــه الأمــل
الله فضلهــم حقــــا وشرفهــم ... بالمصطفى وبه قد ضاعت السـبل
صلى عليـــه اله العــرش ثم على ... أهليه والصحب ما حنت له الابل

(وروى أبو هريرة رضى الله عنه) ان أبا بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما قدما يوما الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال على لأبى بكر رضى الله عنهما تقدم فكن أول قارع يقرع الباب ، والح عليه ، فقال أبو بكر تقدم أنت يا على ، فقال على

رضى الله عنه ما كنت بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه ، ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدى على رجل أفضل من أبى بكر الصديق • فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خير النساء لخير الرجال • فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فىحقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أراد أن ينظر الى صدر ابراهيم الخليل فلينظر الى صدر أبى بكر الصديق • فقال أبو بكر رضى الله عنه ، أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلىالله عليه وسلم ، من أراد أن ينظر الى آدم عليهالسلام ، والى يوسف وحسنه ، والى موسى وصلاته ، والى عيسى وزهده ، والى محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه ، فلينظر الى على • فقال على رضى الله عنه ، أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا اجتمع العالم فى عرصات يوم القيامة يوم الحسرة والندامة ينادى مناد من قبل الـحق عز وجل ، يا أبا بكر أدخل أنت ومحبوبك الجنة •

فقال أبو بكر أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وخيبر ، وقد أهدى اليه تمر ولبن ، هذه هى هدية من الطالب الغالب الى على ابن أبى طالب فقال على رضى الله عنه لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنت يا أبا بكر عينى •

فقالأبو بكررضىالله عنه : أنا لاأتقدم على رجل قال فىحقه رسول الله عليه وسلم ، يجىء على كرم الله وجهه على مركب من مراكب الجنة فينادى مناديا يا محمد كان لك فى الدنيا والد حسن ، وآخ حسن ، أما الوالد الحسن ، فأبوك ابراهيم الخليل ، وأما الأخ الحسن ، فعلى بن ابى طالب رضى الله عنه •

فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا كان يوم القيامة يجىء رضوان خازن الجنان بمفاتيح الجنة ومفاتيح النار ، ويقول يا أبا بكر ، الرب جل

جلاله يقرئك السلام ويقول لك هذه مفاتيح الجنة ومفاتيح النار ، ابعث من شئت الى الجنة وابعث من شئت الى النار • فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان جبريل عليه السـلام أتانى فقال لى ان الله عز وجل يقرئك السلام ، ويقول لك أنا أحبك وأحب عليا ، فسـجدت شكرا ، وأحب فاطمة ، فسجدت شكرا ، وأحب حسنا وحسـينا فسـجدت شكرا •

فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو وزن ايمان أبى بكر بايمان أهل الأرض لرجح عليهم •

فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجـل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، ان عليا يجىء يوم القيامه ومعه أولاده وزوجته على مراكب من البدن ، فيقول أهل القيـامة أى نبى هذا ، فينادى مناد هذا حبيب الله هذا على بن ابى طالب • فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، غدا يسمع أهل المحشر من ثمانية أبواب الجنة أدخل من حيث شئت أيها الصديق الأكبر •

فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقـه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين قصرى وقصر ابراهيم الخليل ، قصر على بن أبى طالب • فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان أهل السموات من الكروبيين والروحانيين والملاء الاعلى لينظرون فى كل يوم الى أبى بكر الصديق •

فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال الله تعالى فى حقه وحق أهل بيته (ويطعمون الطعام على حبه مسـكينا ويتيما وأسيرا) • فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال الله تعالى فى حقه (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) فنزل جبريل عليه السلام الى الصادق الامين ، من عند رب العالمين ، وقال

يا محمدا العلى الاعلى يقرئك السلام ، ويقول لك ان ملائكة السبع السموات ، لينظرون فى هذه الساعة الى أبى بكر الصديق والى على بن أبى طالب ، ويستمعون ما جرى بينهما من حسن الأدب وحسن الجواب من بعضهما لبعض ، فقم اليهما وكن ثالثهما ، فان الله تعالى قد حفهما بالرحمة والرضوان ، وخصهما بحسن الأدب والاسلام والايمان • فخرج النبى صلى الله عليه وسلم اليهما فوجدهما كما ذكر له جبريل فقبل النبى صلى الله عليه وسلم وجه كل احد منهما وقال : وحق من نفس محمد بيده لو أن البحار أصبحت مدادا والاشجار أقلاما وأهل السموات والأرض كتابا لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما :

من ذا يطيق بأن يحصى الثناء على   محمد وعلى الصديق صاحبه
وقد رقى عمر الفاروق منزلة   وحاز عزا وفخرا فى مراتبه
وحاز عثمان فضلا بالنبى وقد   أثنت جميع البرايا عن مناقبه
وذو الفقار على المرتضى فله   بحر من العلم يبدو من عجائبه
فهم ملاذ لمن خاف الحساب اذا   ضاقت عليه أمور فى مذاهبه
عليهم صلوات الله ما لمعت   فى الليل أنوار برق فى غياهبه

(وروى عن) من محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه ، قال : رأيت بمكة نصرانيا يدعى بالأسقف ، وهو يطوف بالكعبة فقلت ، ما الذى يرغبك عن دين أبائك ، فقال بدلت خيرا منه ، قلت فكيف كان ذلك ، فحكى لى أنه ركب فى البحر ، قال : فلما توسطنا فيه ، انكبت المركب ، فتعلقت على لوح ، فما زالت الامواج تدفعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر ، فيها أشجار كثيرة ، ولها ثمار أحلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وفيها نهر جار عذب ، قال فقلت الحمد لله على ذلك ، آكل من هذا الثمر ، وأشرب من هذا النهر ، حتى يأتى الله بالفرج ، فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسى من الدواب ، فعلوت شجرة ونمت على غصن ، فلما كان وسط الليل اذا بداية على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول بلسان فصيح ، لا اله الا الله العزيز

الجبار ، محمد رسول الله النبى المختار ، أبو بكر الصديق صاحبه فى الغــار ، عمر الفاروق فاتح الامصــار ، عثمان القتيل فى الدار ، على سيف الله على الكفار ، فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ، ومأواه النار وبئس القرار • ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد رسول الله الهادى الرشيد ، أبو بكر الموفق السديد ، عمر بن الخطاب سور من حديد ، عثمان الفضيل الشهيد ، على بن أبى طالب ذو البأس الشديد ، فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد • فلما وصلت الدابة الى البر اذ رأسها رأس نعامة ، ووجهها وجه انسان ، وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة ، فخفت على نفسى المهلكة ، فهربت منها ، فالتفتت الى وقالت قف • والا تهلك • فوقفت فقــالت لى ما دينك ؟ فقلت : النصرانية ، فقالت ويحك يا خاسر ارجع الى الحنيفية ، فانك قد حللت بفناء قوم من مســلمى الجن ، لا ينجو منهم الا من كان مســلما ، فقلت وكيف الاسلام ، قالت تشهد أن لا اله الا الله وان محمد رسول الله ، فقلتها فقالت اكمل اسلامك بالتراضى عن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان وعلى ، قلت ومن أتاكم بذلك ، قالت قوم منا حضروا عن رسول الله صــلى الله عليه وسلم ، فســمعوه يقول اذا كان يوم القيامة ، تأتى الجنة فتقول بلسان طلق الهى قد وعدتنى أن تشيد أركانى ، فيقول الجليل جل جلاله ، قد شــيدت أركانك بأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وزينتك بالحسن والحســين ، ثم قالت لى الدابة تريد المقام هنا أم الرجوع الى أهلك ؟ قلت الرجوع الى أهلى ، فقــالت أمكث مكانك حتى يجتاز بك مركب • فمكثت مكانى ونزلت الدابة البحر فما غابت عن عينى حتى مر على مركب وفيها ركاب • فأشرت اليهم فحملونى • فاذا فى المركب أثنى عشر رجلا كلهم نصــارى ، فأخبرتهم خبرى وقصصت عليهم قصتى فأسلموا كلهم فعلمت أن لهؤلاء الاقوام سرا عند الملك العلام • اذ ببركتهم حصل لى الاسلام • ونلت أعلى مقام :

قوم لهــم عند رب العرش منزلة   وحرمة وبشــارات واكـــرام

فازوا بصحبة خير الخلق واتصفوا بوصفه فهمـو للنـاس اعـلام
ففى أبى بكر الصديـق قد وردت آثار فضل لها فى الذكر أحكـام
وبعده عمـر الفاروق صاحبـه به تكمـل فى الآفـاق اسـلام
وهكذا البر عثمان الشـهيد لـه فى الليـل ورد وبالقرآن قـوام
ولـلامام على المرتضى منـح لـه احتـرام وأعزاز واكـرام
هم الصحابة للهادى بهم وضحت طرق الهدى وعلى الخيرات قد داموا
عليهم من سـلام اللـه أطيبه ما أفطر الناس يوم الشك أو صاموا

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصـحبه وسلم • من كتاب الروض الفائق فى المواعظ والرقائق لمؤلفه الشيخ شعيب الحريفيشى صفحة ٢٦٣ ـ طبعه عبد الحميد أحمد حنفى •

تعريف الصحابى وعدد الصحابة وطبقاتهم رضى الله عنهم

ذكر الامام القسطلانى فى المواهب وغيره : ان الصحابى هو من صحب النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين أو رآه ولو ساعة وهو مؤمن به ومات على ذلك قال رحمه الله تعالى : والصحابة ثلاثة أصناف •

الاول : المهاجرون ـ الثانى : الانصار ـ الثالث : من أسلم يوم الفتح •

قال ابن الاثير فى جامع الاصول : والمهاجرون أفضل من الانصار وهذا على سبيل الاجمال وأما على سبيل التفصيل فان جماعة من سباق الانصار أفضل من جماعة متأخرى المهاجرين وانما سباق المهاجرين أفضل من سباق الانصار • ثم هم بعد ذلك متفاوتون ، فرب متأخر فى الاسلام أفضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن أبى رباح • قال القسطلانى وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيبا على طبقات •

الطبقة الاولى : قوم أسلموا بمكة أول المبعث وهم سباق المسلمين : مثل خديجة بنت خويلد وعلى بن أبى طالب وأبى بكر وزيد بن حارثة وبقية العشرة رضى الله عنهم •

الطبقة الثانية : أصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه حمل النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين على الذهاب الى دار الندوة فأسلم لذلك جماعة من أهل مكة •

الطبقة الثالثة : الذين هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من أذى المشركين منهم جعفر ابن أبى طالب وأبو سلمة بن عبد الاسد •

الطبقة الرابعة : أصحاب العقبة الاولى وهم سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة وأصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا عشر رجلا •

الطبقة الخامسة : أصـحاب العقبة الثالثة وكانوا سـبعين من الانصار ، منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة •

الطبقة السادسة : المهجرون الذين وصلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقباء قبل أن يبنى المسـجد وينتقل الى المدينة •

الطبقة السابعة : أهل بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم لعمر فى قصـة حاطب ابن أبى بلتعة (وما يدريك لعل الله أطلع على هذه العصـابة من أهل بدر فقال اعملوا ما شـئتم فقد غفرت لكم) رواه البخارى ومسلم •

الطبقة الثامنة : الذين هاجروا بين بدر والحديبية •

الطبقة التاسعة : أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة قال صـلى الله عليه وسلم لا يدخل النار ان شـاء الله من أصحاب الشجرة أحد) رواه مسلم •

الطبقة العاشرة : الذين هاجروا بعد الحديبيـة وقبل فتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص •

الطبقة الحادية عشر : الذين أسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير •

الطبقة الثانية عشر : صبيان أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم ورأوه يوم الفتح وبعده فى حجة الوداع وغيرها كالسائب بن يزيد •
انتهى كلام المواهب ، ونسب هذا التقسيم الى الحافظ ابى عبد الله الحاكم فى كتاب علوم الحديث • قال الامـام الزرقانى فى شرحه عليها • وقال ابن سعد : انهم خمس طبقات •

الأولى : البدريون •

الثانية : من أسلم قديما ممن هاجر عامتهم الى الحبشة وشهدوا أحدا فما بعدها •

الثالثة : ممن شهد الخندق فما بعدها •

الرابعة : مسلمة الفتح فما بعدها •

الخامسة : الصبيان والاطفال ممن لم يغزاه •

قال فى المواهب : وأما عدة أصحابه صلى الله عليه وسلم • فمن رام حصر ذلك رام أمرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من أسلم من أول البعثة الى أن مات النبى صـلى الله عليه وسـلم وتفرقهم فى البلدان والبوادى •

وقد روى البخارى ان كعب بن مالك رضى الله عنه : قال فى قصة تخلفه عن غزوة تبوك : واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ : يعنى الديوان لكن قد جاء ضبطهم فى بعض مشاهده كتبوك • وقد روى انه سار عام الفتح لمكة فى عشرة آلاف من المقاتلين والى حنين فى اثنى عشر ألفا والى حجة الوداع فى تسعين الفا • وقيل مائة ألف وأربعة عشر ألفا ويقال أكثر من ذلك حكاه البيهقى ، والى تبوك فى سبعين ألفا وقد روى انه صلى الله عليه وسلم قبض عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا والله أعلم بحقيقـة ذلك • انتهى كلام المواهب •

قال شارحها المذكور وجاء عن أبى زرعه الرازى أنه قيل له أليس يقال حديث النبى صلى الله عليه وسلم أربعة ألف حديث ؟ فقال ومن قال ذا ، فلق الله أنيابه ، هذا قول الزنادقة ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أعنى مائة ألف وأربعة عشر الفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه وفى رواية ممن رآه وسـمع منه له هؤلاء أين كانوا وأين سمعوا منه ؟ قال أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما والاعراب ومن شهد معه حجة الوداع ، كل رآه وسمع منه بعرفة •

قال ابن فتحون فى ذيل الاستيعاب • أجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سأله عن الرواة خاصة فكيف بغيرهم ؟ قال يعنى الحافظ • ابن حجر : ولم يحصل لجميع من جمع أسماء الصحابة العشر من أساميهم بالنسبة الى قول أبى زرعة هذا ، فان جميع ما فى الاستيعاب ثلاثة آلاف وخمسمائة وزاد عليه ابن فتحون قريبا من ذلك ، وبخط الحافظ الذهبى على التجربة : لعل الجميع ثمانية آلاف ان لم يزيدوا لم ينقصوا • قال يعنى الحافظ ابن حجر : ورأيت بخطه أيضا ان جميـع من فى (أسد الغابة) سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون نفسا •

وسبب خفاء أسمائهم ان أكثرهم أعراب وأكثرهم حضروا حجة الوداع ١ هـ . وعن الشافعى قبض صلى الله عليه وسلم عن ستين ألفا ثلاثون بالمدينة وثلاثون فى قبائل العرب وغيرها وعن أحمد : قبض صلى الله عليه وسلم وقد صلى خلفه ثلاثون ألف رجل وكأنه عنى بالمدينة فلا يخالف ما فوقه والله أعلم بحقيقة ذلك فان كل من قال شيئا انما حكاه على قدر تتبعه ومبلغ علمه أو أشـــار بذلك الى وقت خاص وحال ، فاذا لا تضـــارب بين كـــلامهم ١ هـ . وعن مالك مات بالمدينة نحو عشرة آلاف نفس من الصحابة . انتهى كلام الزرقانى رحمه الله تعالى .

القسم الأول فى نقل عبارات أكابر العلماء من أئمة المذاهب الاربعة

لقد استدلوا بها من الكتاب والسنة واجماع الأمة : على فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يجب فى حقهم من حسن الاعتقاد ولزوم سبيل السداد ورتبتهم بحسب أزمانهم •

الامام الطحاوى :

قال رحمه الله تعالى فى عقيدته : ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نفرط فى حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الحق لا نذكرهم الا بالجميل ، وحبهم دين وايمان واحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان • ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولا لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة ، ثم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم لعثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون • وان العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نشهد لهم بالجنة • كما شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير بن العوام وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة رضوان الله عليهم أجمعين •

ومن احسن القول فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه وذرياته فقد برىء من النفاق • وعلماء السلف السابقين والتابعين ومن بعدهم من اهل الخير والاثر واهل الفقة والنظر لا يذكرون الا بالجميل • ومن ذكرهم بالسوء فهو على غير السبيل • انتهت عبارة الامام الطحاوى فى عقيدته •

الامام الغـــزالى :

قال رحمه الله تعالى فى كتاب الاقتصـــاد فى الاعتقاد فى شرح عقيدة اهل السنة من الصحابة • والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم :
اعلم ان للناس فى الصحابة والخلفاء اسرافا فى اطراف • فمن مبالغ الثناء حتى يدعى العصمة للأئمة ، ومنهم متهجم على الطعن ، يطلق اللسان بذم الصحابة ، فلا تكونن من الفريقين واسلك طريق الاقتصاد فى الاعتقاد •

واعلم ان كتاب الله تعالى مشـــتمل على الثنــاء على المهاجرين والانصار ، وتواترت الاخبار بتزكية النبى صـــلى الله عليه وسلم اياهم بالفاظ مختلفة ، كقوله « اصـــحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » وكقوله « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم » وما من واحد الا ورد عليه ثناء خاص فى حقه يطول نقله فينبغى ان تستصحب هذا الاعتقاد فى حقهم ولا تســىء الظن بهم وما يحلى عن احوال تخالف مقتضى حســن الظن ، فاكثر ما ينقل مخترع وما ثبت نقلــه فالتأويل متطرق اليه ، ولم يجر ما لا يتســع العقــل لتجويز الخطأ والسهوفيه ، وحمل افعالهم على قصد الخير وان لم يصيبوه •

والمشهور من قتال معاوية مع على وسير عائشة رضى الله عنهم الى البصره ، فالظن بعائشـــة انها كانت تطلب تطفئة الفتنة ، ولكن خرج الامر من الضبط ، فأواخر الامور لاتبقى على وفق طلب أوائلها ، بل تخرج عن الضبط ، والظن بمعاوية انه كان على تأويل وظن فيما كان يتعاطاه ، وما يحكى سوى هذا من روايات الاحاد فالصحيح منه مختلط بالباطل ، والاختــلاق اكثره اختراعات الروافض والخوارج وارباب الفضول الخائضين فى هذه الفنون ، فينبغى ان تلازم الانكار فى كل ما لم يثبت ، وما ثبت فاستنبط له تأويلا فما تعذر عليك فقل لعل له تأويلا وعذرا لم اطلع عليه •

واعلم انك فى هذا المقام بين ان تسىء الظن بمسلم وتطعن عليه وتكون كاذبا ، او تحسن الظن به وتكف لسانك عن الطعن وانت مخطىء

مثلا ، والخطأ فى حسن الظن بالمسلم اسلم من الصواب بالطعن فيه ، فلو سكت انسان مثلا عن لعن ابليس ، ولعن ابى جهل ، او ابى لهب ، او من شئت من الاشرار طول عمره لم يضره السكوت ، ولو هفا هفوة بالطعن فى مسلم بما هو برىء عند الله تعالى منه فقد تعرض للهلاك ، بل اكثر ما يعلم فى الناس لا يحل النطق به لتعظيم الشرع الزجر عن الغيبة ، مع انه اخبار عما هو متحقق فى المغتاب ، فمن يلاحظ هذه الفضول ولم يكن فى طبعه ميل الى الفضول ، آثر ملازمته السكوت وحسن الظن بكافة المسلمين ، واطلاق اللسان بالثناء على جميع السلف الصالحين ، هذا حكم الصحابة عامة • فاما الخلفاء الراشدون فهم افضل من غيرهم ، وترتيبهم فى الفضل عند اهل السنة كترتيبهم فى الامامة : اى الخلافة وهذا لمكان ان قولنا فلان افضل من فلان معناه ان محله عند الله تعالى فى الاخرة أرفع وهذا غيب لا يطلع عليه الا الله ورسوله ان اطلعه عليه ولا يمكن ان يدعى نصوصا قاطعة من صاحب الشرع متواترة مقتضية للفضيلة على هذا الترتيب ، بل المنقول الثناء على جميعهم واستنباط حكم الترجيحات فى الفضل من دقائق ثنائه عليهم ، رمى فى عماية واقتحام أمر خطر أغنانا الله عنه • وتعرف الفضل عند الله تعالى بالاعمال مشكل ايضا ، وغايته رجم ظن ، فكم من شخص محروم الظاهر وهو عند الله بمكان لسر فى قلبه ، وخلق خفى فى باطنه ، وكم من مزين بالعبادات الظاهرة وهو فى سخط الله لخبث مستكن فى باطنه ، فلا مطلع على السرائر الا الله تعالى ، ولكن اذا ثبت انه لا يعرف الفضل الا بالوحى ولا يعرف من النبى الا بالسماع واولى الناس بسماع ما يدل على تفاوت فضائل الصحابة الملازمون لا حوال النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم قد اجمعوا على تقديم ابى بكر ، ثم نص ابو بكر على عمر ثم اجمعوا بعده على عثمان ، ثم على على رضى الله عنهم ، وليس ظن منهم الخيانه فى دين الله تعالى لغرض من الاغراض ، وكان اجماعهم على ذلك من احسن ما يستدل به على مراتبهم فى الفضل ، ومن هذا اعتقد أهل السنه هذا الترتيب فى الفضل ، ثم بحثوا عن الاخبار فوجدوا

فيها ما عرف به مستند الصحابه ، واهل الاجماع فى هذا الترتيب •
انتهت عبارة كتاب الاقتصاد •

وقال الامام العزالى ايضا فى احياء علوم الدين : الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على رضى الله عنهم ، ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليـه وسلم على امام أصلا ، اذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والامراء على الجنود فى البلاد ولم يخف ذلـك ، فكيف خفى هذا ، وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا ، فلم يكن أبو بكر اماما الا بالاختيار والبيعه ، واما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صـلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع ، وذلك مما لا يجترىء على اختراعه الا الروافض ؛ واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابه والثناء عليهم ، كما أثنى الله سبحانه وتعالى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وما جرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية فى الامامه ، اذ ظن على رضى الله عنه ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسـكر يؤدى الى اضطراب امر الامامه فى بدايتها ، فرأى التأخير اصوب ، وظن معاويه أن تأخير أمرهم مع عظيم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمـة ويعرض الدماء للسفك •

وقد قال أفاضل العلمـاء • كل مجتهد مصيب • وقال قائلون : المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة على ذو تحصيل اصلا ، وفضل الصحابة رضى الله عنهم على حسـب ترتيبهم فى الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقد ورد فى الثناء على جميعهم آيات واخبار كثيرة ، وانما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحى والتنزيل بقرائن الاحوال ودقائق التفصيل ، فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك ، اذ كانوا لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عن الحق صارف أ هـ • • كلام الامام الغزالى •

القاضى عـــياض : ـ

قال رحمه الله تعالى فى الشفاء • ومن توقيره صـــلى الله عليه وسلم وبره توقير اصحابه وبرهم ، ومعرفة حقهم ، والاقتداء بهم ، وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والامساك عما شجر بينهم ، ومعاداة من عاداهم ، والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة فى احد منهم ، وان يلتمس لهم فيما نقل عنهم مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احســـن التأويلات والمحامل ، ويخرجه اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ، ولا يذكر احدا منهم بسوء ، ولا يغمض عليه أمرا ، بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ، ويسكت عما وراء ذلك كما قال صـــلى الله عليه وسلم فى حديث الطبرانى عن ابن مسعود (اذا ذكر اصحابى فامسكوا) •

وقال الله تعالى « محمد رسول الله ، والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضـــلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفـــار ، وعد اللـــه الذين آمنوا وعملوا الصـــالحات منهم مغفرة واجرا عظيما » وقال تعالى « والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم بأحسان رضى اله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ، ذلك الفوز العظيم » وقال اللـــه تعـــالى « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشـــجرة ، فعلم ما فى قلـــوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا » •

وقال الله تعالى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » •

ثم ذكر رحمه الله تعالى احاديث وآثاراً كثيرة فى فضلهم رضى الله عنهم • منها قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الترمزى « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ،

ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ، ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه » وأذية الله تعالى عبارة عن فعل ما لا يرضاه ، اذ معناه الحقيقى لا يتصور فى حقه تعالى فهو مشاكلة • قاله الشهاب الخفاجى • ومنها قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث مسلم « لا تسبوا اصحابى فلو انفق احدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الديلمى وأبى نعيم « من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » • الصرف : النفل ، والعدل : الفرض •

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث البزار والديلمى عن جابر : « ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين ، واختار لى منهم اربعة : ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابى ، وفى اصحابى كلهم خير » • قال الشهاب الخفاجى فى شرح هذا الحديث فكلهم علماء عدول كما فى الحديث « خير القرون قرنى ثم وثم » وهذا سبب ما حكاه امام الحرمين رحمه الله تعالى فى الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم ، مما ادى اليه اجتهاده لما اوجب القطع بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ، ولما اتصفوا به من الهجرة وترك الأهل والأوطان وبذل النفوس والاموال ، فى نصرة الدين ، وقتل الاباء والابناء ، والمناصحة فى الدين ، وقوة الايمان واليقين ، وغير ذلك من المنح الألهية • أ• هـ• ومنها حديث الطبرانى •

عن خالد بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما قدم من حجة الوداع الى المدينة صعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انى راضى عن عمر وعن عثمان وعن على وعن طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ، فاعرفوا لهم ذلك ، ايها الناس ان الله قد غفر لأهل بدر والحديبية ، ايها الناس احفظونى فى اصحابى واصهارى واختانى لا يطالبنكم احد منهم

بمظلمة ، فأنها مظلمة لا توهب فى القيامة غدا » • ومنها حديث ابى نعيم والديلمى عن انس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احفظونى فى اصحابى واصهارى ، فأنه من حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والأخرة ، ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ، ومن تخلى الله عنه يوشك ان يأخذه • « ومن الأثار قول الأمام مالك بن انس رحمه الله تعالى : من ابغض الصحابة وسبهم فليس له فى المسلمين حق • قال فى الشفاء : ونزع اى استدل باية سورة الحشر ، وهى قوله تعالى « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالأيمان » انتهى كلام الشفا •

من كتاب شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق ـ صفحة ٣٧٤ ـ للسيد الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى •

طبع الكتاب بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر •

الائمـــــة الاربعـــــة

ثم كان الأمر على ما قدمنا من فضل الله العظيم على عباده المؤمنين بان جمعت جميع روايات الصحابة والتابعين من المتقدمة اســماؤهم حتى انتهيت الى أربعة من خيرة هذه الأمة المكرمة المشهورين بالأربعة الأئمة المجتهدين ، الذين هم من خيرة عصــور هذه الأمة المبينة فى قول الصادق الصــدوق صلى الله تعالى عليه وسلم « خير القرون » الحديث .

وقد أجمع علماء الأمة الأســلامية انهم من مصداق قوله تعالى (وأولى الأمر) الذين ينتهى اليهم الاستنباط من الكتاب والســنة والأجمــاع ، والذين هم المرجع الأول والحجة الاولى فى دين الله تعــالى ، وقد أناروا الطــريق فى ذلــك لكل من كان على تــدمهم من خيرة هذه الأمة ممن توجد فيه اهلية للقياس والأستنباط فى اصول الدين من فروعه واحكامه . واجمع خيار الأمة بأنهم قد رووا جميع ما صدر عن حضرته صلى الله عليه وسلم ــ من الأقوال ــ والأفعال والتقديرات ــ فى جميع الأمور الدينية الشرعية الفرعية ، وكل واحد منهم قد جمــع ما وفقه ألله اليه من بياناته الشريفة فى هذا الدين الحنيف الســمح السهل ، للتخفيف على جميع كل من يرغب التقرب الى الله ممن يقتدون بحضرته صلى الله عليه وسلم . وصــار الأمر على ذلك واطبق خيار علماء الأمة على ذلك ، وكان جميع ما وفقوا فيه بالحصر من بياناته الشريفة المتنوعة فى الحكم الواحد للتيسير كما قدمنا ، وليس هو خلافا بينهم ، ولا ما يســمى برائحة الخلاف . اذ الجميع على الحق الصريح الواضــح ، والحق واحد ، لا خلاف فيه بين أهله ، وما الخلاف ألا قد نشــأ عن المخالفين لأهل الأجماع ممن ينتســبون الى الاســلام اسما ويظن كل جاهل بهم أنهم من أئمة المسلمين ، ولم يدر انهم لأهل الحق مخالفون ، فقد شوهوا الاسلام والمسلمين بنسبتهم اليه واليهم ، لأنه يظن كل جاهل بهم أنه يوجد

خلاف بين المســلمين ، ومن اطباق جهله يقول هؤلاء الائمة الاربعة يوجد بينهم الخلاف •

وكيف يتصور عاقل أنهم يكونون أئمة للمسلمين وأنهم على الحق وانتهت اليهم جميع أحكام الدين من أصل وفرع ، ويوجد الخلاف بينهم بحكم ولا بقائله ولا المنقول عنه ويكون قد التبس الحق بالباطل والمحكم بالمتشابه ـ هذا باطل البتة •

ومن يفهم أن كل دخيل على الاسلام والمسلمين ممن ينتسبون اليه واليهم على حق ، فهو مخطىء ، ومن هؤلاء الذين أحدثوا الخلاف فى الفرعيات حتى شككوا البسطاء من المسلمين بنسبتهم هذه ، خصوصا اذا كان لهم أشياع ومتشايعون ممن على مبادئهم من الضالين ، مع العلم بأنهم لأهل الحق وأتباعه معروفون ، وانهم فى نظرهم مخالفون هم ومن تبعهم من الفرق المخالفة حيث قال سيد العالمين « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » الحديث يرويه أبو داؤد •

فمن مهــام بيانه الشريف صلى الله عليه وســلم أنه يوجد بين المسلمين أقوام ، يظن الناس فيهم أنهم على الحق والصواب ، وهم مخطئون ، مرقوا من الدين كما مرق السهم من الرمية ، فمثل هؤلاء شوشوا على البسطاء من المسلمين حتى ظن الكثير منهم فى تعدد معان احتمالات الآيات ، أو الاحاديث أنها خلاف فى الآراء ، جهلا منــه ومنهم ، بأن هذه آراء مختلفة ـ ولكنها معانى مشتملة محتملة •

فقد عرفت أن كل من يفهم أن هذا يسمى خلافا ، فهو جاهل بأمور دينه ، قاصر عن ادراك أصوله وفروعه ولعجزه وقصر همته عن ادراك ذلك يقول بخلاف الائمة •

وما جاء أحد من بعدهم وادعى هــذه الدعوى الا كان ما ادعاه مندرجا تحت ما دونوه ، واشتمل عليه جميع ما استنبطوه ، ولم يترك منهم الاوائل للأواخر شيئا ، بتوفيق الحق عز وجل • وأما ما يرى من ظاهر التغاير فى الحكم الواحد بين الائمــة ، فليس بخلاف لأن

الغرض من بيانه الشريف تأدية الحكم على أى وجه ، يراد تيسيرا للعبد .

ولذا كان اجماع خيار الأمة على ان هؤلاء الاربعة ، هم الذين احاطوا بالكتاب والسنة ، ولم يشذ منهم احد . فجزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيرا .

ولست ادرى من ينكر على هؤلاء الائمة الكرام وتابعيهم من خيرة اهل لأنام هل هو مخبول فى عقله ، او مطعون فى نسبه وأصله ، لأنه ما تعلم العلم وترب وترعرع آلا فى حضانتهم ، ونشأ على موائد كرمهم ، ثم بعد ان بلغ نكص على عقبة وأنكر نعم ربه عليه ، وكان عاقا لوالديه .

فكيف ينكر متابعة من هم خيرة خير القرون المجزوم لهم بالعدالة والأتقان عادلا عنهم ألا من وجدوا فى افسد واسوء قرن اهل هذا الزمان ، ممن جاء بعد الألف ، أو من اسمى لهم هذه المفاسد ، بعد الثمانمائة سنة افلا يعقلون ؟ افلا يبصرون ؟ افلا يسمعون ؟ صدق الله العظيم حيث قال (وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفى اذانهم وقرا . وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها) الاية .

وها هو قول ولى الدين بن خلدون ! وقف التقليد فى الامصار عند الائمة الأربعة : ابى حنيفة ومالك والشافعى واحمد ، ودرس المقلدون لمن سواهم ، وسد الناس باب الخلاف وطرقه ، لما كثر من تشعب الاصطلاحات فى العلوم ، ولما عاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد ، ولما خشى من اسناد ذلك الى غير اهله ، ومن غير أهله ، ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه وصرحوا بالعجز والاعواز ، ورد الناس الى تقليد هؤلاء الائمة الاربعة ، كل بما اختص به من المقلدين وحظروا من ان يتداول تقليد من سواهم لما فيه من التلاعب ، — ولم يبق الا نقل ، من مذاهبهم وعمل كل مقلد بمذهب مقلده منهم ، بعد تصحيح الأصول ، واتصال سندها بالرواية ، ولا محصول للفقه اليوم غير هذا ، ومدعى الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه ، مهجور التقليد ، وهم :

(١)ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى التابعى رضى الله تعالــى عــنه

الأمام قدوة العلماء الاعلام وشيخ مشايخ الاسلام العالم الجليل القدر الشهير الذكر المتفق على جلالته وفضله وعلمه • ترجمته واسعة افردت بالتأليف مولده سنة ٨٠ توفى ببغداد سنة ١٥٠ وله بعد المسند المخارج • ــ رواها ابو يوسف عنه • وله آراء جمة فى جميع اضراب الدين • اخذها عنه اصــحابه ومتابعوه • كأبى يوســف ــ ومحمد وزفرين الهزيل ــ وغيرهم • حتى دون عنه جميع اصول فقه مذهب الحنفية التى انتهت بالجامع الكبير ، الذى شرحه العلامة السرخسى • وانتشر مذهبه بالكوفة والشــام والعراق وما وراء النهرين والروم وغيرها • واتباعه كثيرون جدا ، من كل من وفقه الله بمتابعته •

(٢) مالك بن أنس الاصبحى امام دار الهجرة رضى الله تعــالى عنــه

الوارث لحديث رسول الله ، الناشر فى أمته الاحكام والفصول ، العالم الذى انتشر علمه فى الأمصار ، واشتهر فضله فى الأقطار ، ضربت له أكباد الابل وارتحل الناس اليه من كل فج • كان مولده سنة ٩٣ ، وتوفى سنة ١٧٩ ، وله بعد الموطأ المدونــه ، وله رســالة فى الوعظ ، ورسالة فى الرد على القدرية ، وكتاب فى النجوم ، وتفسير غريب القرآن ، واخباره كثيرة • ومن المدونة أسست هنا أصــول مذهب المالكية • وكان معاصرا للامام أبى حنيفة • وكلا منهم أخذ عن الآخر ، وكل شهد لصاحبه بالفضل والعلم • وانتشر مذهبه بالحجاز والبصرة وما والاها • وبافريقيا والمغرب والاندلس ومصر • وأتباعه كثيرون جدا • من كل من وفقه الله تعالى لمتابعة مذهبه •

(٣) أبو عبد الله بن ادريس الشافعى المطلبى رضى الله تعالى عنه

الامام البعيد الصيت والذكر ، الجليل القدر ، علامة الدنيا بلا نزاع ، الحافظ الحجة النظار . المتفق على جلالته وفضله ، وعلمه وشهرته فى أقطار الأرض ، فغنى عن التعريف به . وترجمته واسعة أفردت بالتأليف . ومولده بغزة سنة ١٥٠ وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ وله بعد المسند كتاب الام — وكتابه فى أحكام القرآن والسنن واختلاف الحديث . وكتاب السبق والرمى ، الذى لم يسبقه اليه أحد والاشربة وفضائل قريش . وأدب القاضى والمواريث وهو تلميذ الامام مالك . وروى عنه خلق كثيرون ، منهم الامام أحمد بن حنبل قال الفضل بن زياد سمعت الامام أحمد بن حنبل يقول : هذا الذى ترون كله او عامته من الشافعى . وقال المذنى سمعت الشافعى يقول : حفظت القرآن وأنا ابن سبع ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر وله أتباع كثيرون جدا من كل من وفقهم الله تعالى لمتابعة مذهبه وانتشر مذهبه انتشار مذهب أبى حنيفة ومن دعائه : اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير وهو مشهور بين العلماء بالاجابة واصل فقه مذهبه الأم .

(٤) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل البغدادى رضى الله عنه

الامام الثقة الثبت الأمين الحافظ الحجة النظار على جلالته وورعه وعلمه . كان من علية أئمة الحديث ترجمته عالية ذكرت مفردة ومضافة . ولد سنة ١٦٤ وتوفى ببغداد سنة ٢٤١ — وله غير المسند كتاب فى الناسخ والمنسوخ . — وكتاب فى الرد على من ادعى التناقض فى القرآن . — وكتاب فى التفسير . — وكتاب فى التاريخ . وكتاب فى فضائل الصحابة ، وكتاب فى المناسك ، وكتاب

فى الزهد ، وكتاب فى الصلاة ، ومنها تأسست أصول كتب مذهب الحنابلة ــ وهو تلميذ الشافعى وانتشر مذهبه انتشارا عظيمــا من بلاد الشام وغيرها • وقد روى عنــه البخارى ومسلــم وأبو داؤد وغيرهم •

فهؤلاء الاربعــة الاعــلام ، انتهت اليهم أئمة الدين الاسلامى ووقف التقليد عندهم ، فى سائر الاقطار والامصار ، الى هــذا الوقت والاوان • وقال كتــاب حجة اللــه البالغة ــ اعلــم أن الله تعــالى أنشأ بعد عصر الصحابة (أى جماعة) من حملة العلم • انجازا لما وعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم • حيث قال « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له » فأخذوا عمن اجتمعوا معه منهم صفــة أداب قضاء الحاجة ــ والوضوء والغسل والصلاة والحج • والنكاح والبيوع وسائر ما يعرض ويكثر وقوعه من مستلزمات الناس فى أمور دينهم ودنياهم • وسألوا عن المسائل واجتهدوا فى ذلك كلــه حتى صاروا كبراء القوم ووسد اليهم الامر ونسجوا على منوال شيوخهم ولــم يألوا فى تتبع الايماءات والاقتضاءات فقضــوا ــ وافتــوا ورووا وعلموا فجزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيرا • (١)

---

(١) من كتاب فيض الوهاب فى بيان أهل الحق ومن ضل الصواب تأليف الشيخ عبد ربه بن سليمان بن محمد ابن سلمان الشــــهير باقليوبى ــ طبعه دار القومية العربية للطباعة مصر ــ الجزء الرابع صفحة (٥٠) •

الفصـــل الثـــانى

مولانا الامام الحسين رضى الله عنه

فهو رضى الله تعالى عنه أبو عبد الله ، سبط رسول الله صـــلى الله عليه وسلم وريحانته ، ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربـــع على الاصح ، وكانت فاطمة قد علقت به بعد ولادة الحسن بخمسين ليلة • وحنكة صلى الله عليه وسلم بريقه ، واذن فى اذنه ، وتفل فى فمه ، ودعا له وسماه حسينا ، يوم السابع ، وعق عنه ، كان شـــجاعا مقداما من حين كان طفلا •

(وهذه جملة من الاحاديث والآثار الواردة فى حقه زيادة على ما سبق) •

أخرج الحاكم وصححه عن يحى العامرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : حسين منى وأنا من حسين • اللهم أحب من أحب حسينا حسين سبط من الاسباط • وروى ابن حبان وابن سعد وأبو يعلى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة ، وفى لفظ سيد شباب الجنة ، فلينظر الى الحسين بن على • وروى خيثمة بن سليمان عن أبى هريرة ، ان النبى صلى الله عليه وسلم جلس فى المسجد ، فقال أين لكع ، فجاء الحسين يمشى حتى سقط فى حجره ، فجعل أصابعه فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففتح صلى الله عليه وسلم فمه أى الحسين فأدخل فاه فى فيه ، ثم قال : اللهـــم انى أحبه فأحبه وأحب من يحبه •

وروى الحسن بن الضحاك عن أبى هريرة ، قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتص لعاب الحسين كما يمتص الرجل التمرة ، وكان ابن عمر جالسا فى ظل الكعبة ، اذ رأى الحسين مقبلا فقال : هذا أحب أهل الارض الى أهل السماء اليوم • وجـــاء رجل الــــى

السيد : أحمد الكبير الرفاعى (رضى الله عنه)

مولده : ولد رضى الله عنه فى قرية حسن بالبطائح — من أعمال واسط العراق سنة ٥١٢ هجرية • وفى السابعة من عمره توفى أبوه فى بغداد ، فكفله خاله السيد منصور الربانى البطاحى فأحسن تربيته •

نسبة الشريف من جهة أمه : السيد أحمد الرفاعى بن السيدة فاطمة الانصارية (وتتصل من جهة أمها السيدة رابعة بنت السيد عبد الله الطاهر الى الامام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه) بنت الشيخ يحى البخارى من جهة أمه أيضا • وهو يحى بن علويه — ويقال : عاليه — بنت الحسن اللاع ، بن محمد ، بن يحى ، بن الحسين ملك اليمن ومكة ، بن القاسم ، أبى محمد الرسى ، بن ابراهيم طبا طبا ، بن اسماعيل بن ابراهيم — الغمر بن حسن المثنى بن الامام الحسن السبط ، بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه •

نسبة الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فأنه يتصل نسبه أيضا

بأمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، من جهة جده الامام جعفر الصادق زلان أم الامام هى فروه بنت القاسم ، بن محمد ، بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه •

نشأته العلمية ومشايخه رضى الله عنهم :

درس القرآن العظيم وأتم حفظه وترتيله على الشيخ الورع المقرىء الشيخ عبد السميع الحربونى بقرية حسن (من واسط العراق) • وكان له من العمر سبع سنين : وفى هذه السنة توفى أبوه فى بغداد • وبعد وفاة والده كفله خاله الباز الاشهب الشيخ منصور

البطائحى ، ونقله ووالدته واخوته الى بلده نهر دقلى (من أعمال واسط) • وأدخله على الامام العلامة الفقيه المقرىء المفسر المحدث الواعظ الصوفى الكبير الشأن الشيخ أبى الفضل على الواسطى رضى الله عنه ، فتولى أمره ، وقام بتربيته وتأديبه وتعليمه • فبرع بالعلوم النقلية والعقلية وأحرز قصب السبق على أقرانه •

وكان يلازم درس خاله اذ الشيخ أبى بكر شيخ وقته وسلطان علماء زمانه • كما كان يتردد على حلقة خاله الشيخ منصور الربانى • ويتلقى بعض العلوم عن الشيخ عبد الملك الحربونى • حفظ كتاب التنبيه (فقه شافعى) للامام أبى أسحق الشيرازى على ظاهر قلب • وشرحه شرحا جليلا (يقال انه ضاع فى واقعة التتر) • واستغرق أوقاته بجمع المعارف الدينية • وقد أفاض الله عليه من لدنه علما خاصا حتى رجع مشايخه اليه ، وتأدب مؤدبوه بين يديه •
وفى العشرين من عمره أجازه شيخه الشيخ أبو الفضل على محدث واسط وشيخها اجازة عامة بجميع علوم الشريعة والطريقة • وألبسه خرقته المباركة • وأعظم شأنه ، ولقبه : أبا العلمين (الظاهر والباطن) • وانعقد عليه فى حياة مشايخه الاجماع ، واتفقت كلمتهم على عظم شأنه ورفعة قدره •(١)

نسبه منسوب الى بنى رفاعة قبيلة من العرب وسكن أم عبيده بأرض البطائح الى أن مات بها رحمه الله تعالى • وكانت انتهت اليه الرياسة فى علوم الطريق ، وشرح أحوال القوم ، وكشف مشكلات منازلاتهم ، وبه عرف الأمير بتربية المريدين ـ بالبطائح ، وتخرج وبصحبته جماعة كثيرة ، وتتلمذ له خلائق لا يحصون • ورثاه المشائخ والعلماء وهوأ حد من قهرة أحواله ، وملك أسراره ، وكان له كلام عالى على لسان أهل الحقائق •

---

(١) من كتاب البرهان المؤيد للامام السيد أحمد الرفاعى الكبير ـ طبعة مكتبة الحلوانى دمشق ـ صفحة ٤ •

وهو الذى سئل عن وصف الرجل المتمكن • فقال ، هو الذى لو نصب بلده سنان على أعلى شاهق جبل فى الارض ، وهبت الريـــاح الثمان ما غيرته • وكان رضى الله عنه يقول الكشـــف قوة جاذبـــة بخصيتها ، نور عين البصيرة الى فيض الغيب • ويتصل نورها بـــه اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية ، حال مقابلتها المنيع الى فيضه • ثم يتقاذف نوره منعكسا بضوءه على صفاء القلب ، ثم يترقى صاطعا الى عالم العقل ، فيتصل به اتصالا معنويا ، له أثر فى استفاضة نور العقل على ساحة القلب • ويشرق نور العقل على انســـان عين السر ، فيرى ما خفى عن الابصار موضعه ، ودق عن الافهـــام تصـــوره ، واستتر عن الاغيار مرآته • وكان رضى الله عنه يقول الزهد أساس الاحوال المرضية ، والمراتب السنية • وهو أول قدم القاصدين الى الله عز وجل ، والمنقطعين الى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله • فمن لم يحكم أساس فى الزهد لم يصح لــه شىء ممـــا بعده •

وكان رضى الله عنه يقـــول الفقـــراء أشراف الناس • لأن الفقر لباس المرسلين ، وجلباب الصالحين ، وتاج المتقين ، وغنيمة العارفين ومنية المريدين ، ورضا رب العالمين وكرامة لأهل ولايته ، وكان يقول الانس بالله لا يكون الا لعـــبد قد كملت طهـــارته ، وصفا ذكره ، واستوحش من كل ما يشغله عن الله تعالى • وعند ذلك أنسه اللـــه تعالى به وأراده بحق حقائق الانس ، فأخذه عن وجد طعم الخوف بما سواه • وكان رضى الله عنه يقول ، المشاهدة حضور بمعنى قرب مقرون بعلم اليقين ، وحقائق حق اليقين •

وكان رضى الله عنه يقول : التوحيد وجدان تعظيم فى القلب ، يمنع من التعطيل والتشبيه • وكان يقول : لسان الورع يدعو الـــى ترك الأفات • ولسان التعبد يدعو الى دوام الاجتهاد • ولســـــان المحبة يدعو الى الذوبان والهيمان • ولسان المعرفة يدعو الى الفناء ـــ والمحو • ولسان التوحيد يدعو الى الاثبات والحضور • ومـــن

اعترض نفسه عن الأعراض أدبا ، فهو الحكيم المتأدب •

وكان رضى الله عنه يقول لو تكلم الرجل فى الذات والصفات ، كان سكوته أفضل • ومن خطى من قاف الى قاف كان جلوسه أفضل ، وكان رضى الله عنه يقول لما مررت وأنا صغير على الشيخ العارف بالله تعالى عبد الملك الخرنوتى أوصانى وقال لى يا أحمد احفظ ما أقول لك فقلت نعم فقال رضى الله عنه : ملتفت لا يصل ، ومتسلل لا يفلح • ومن لا يعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته نقصان • فخرجت من عنده وجعلت أكررها سنة ، ثم رجعت له وقلت له : أوصنى فقال ما أقبح الجهل بالاولياء ، والصلة بالاطباء ، والجفاء بالاحباء ، ثم خرجت وجعلت أرددها سنة فانتفعت بموعظته • وكان رضى الله عنه يقول أكره للفقراء دخول الحمام ، وأحب لجميع أصحابى الجوع والعرى والفقر والذل والمسكنة • وأفرح لهم اذا نزل بهم ذلك • وكان يقول الشفقة على الاخوان مما يقرب الى الله تعالى• وكان رضى الله عنه يقول اذا جئتم ولم تجدوا عندى ما يأكله ذو كبد فأسأل وفى الدعاء أدع لكم فانى حينئذ لى أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم • قال الشيخ يعقوب رضى الله عنه خادمه نظر سيدى أحمد رضى الله عنه الى النخلة فقل يا يعقوب أنظر الى النخلة لما رفعت رأسها جعل الله تعالى ثقل حملها عليها ، ولو حملت مهما حملت وانظر الى شجرة اليقطين لما وضعت نفسها ألقت خدها على الأرض جعل حملها على غيرها ، ولو حملت مهما حملت ، لا تسبه به • وكان رضى الله عنه يقول الصدقة أفضل من العبادات البدنية ، والنوافل • وكان رضى الله عنه يقول أخوك الذى يحل لك أكثر ماله بغير اذنه هو الذى تسكن نفسك اليه وتستريح وكان اذا رأى على فقير جبه صوف يقول له يا ولدى أنظر بزى من تزينت والى من قد انتسبت قد لبست لبسه الانبياء ، وتحليت بحلية الاتقياء هذا زى العارفين فاسلك فيه مسالك المقربين والا فانزعه •

وكان رضى الله عنه يقول اذا صلح القلب صار مهبط الوحى

والاسرار والانوار والملائكة • واذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين • واذا صلح القلب ناد وأخبرك بما ورائك وأمامك ونبهك على أمور لم تكن تعلمها بشيء دونه واذا فسد حدثك بباطلات يغيب معها الرشد وينتفي معها السعد • وكان رضى الله عنه يقول من شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت الأحمر فيودع كل نفس أعز ما يصلح له فلا يضيع له نفس وكان رضى الله عنه يقول السفر للفقير يمزق دينه ويشتت شمله • وكان يقول لمن شاوره فى التزويج ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تزوج لله كفي ووقى • وكان رضى الله عنه يقول من لم ينتفع بأفعالى لم ينتفع بأقوالى • وكان يقول الأمر أعظم مما تظنون وأصعب مما تتوقعون : وكان يقول كل أخ لا ينفع فى الآخرة • وكان رضى الله عنه يقول اذا تعلم أحدكم شيئا من الخير فليعلمه الناس يثمر له الخير • وكان يقول طريقنا مبنية على ثلاثة اشياء لا نسأل ولا نرد ولا ندخر • وكان يقول من علامة اقبال المريد أن لا يتعب شيخه فى تربيته ، بل يكون سميعا مطيعا للاشارة ، وان يفتخر شيخه به بين الفقراء • لا انه يفتخر هو بشيخه • وكان يقول ان لم يغضب لنفسه وسلم الأمر لمولاه نصره من غير عشيرة ولا أهل • وكان يقول ما من ليلة الا وينزل فيها نثار من السماء الى الارض يفرق على المستيقظين • وكان يقول والله مالى خيره الا فى فى الوحدة فياليتنى لم أعرف أحدا ولم يعرفنى أحد • وكان رضى الله عنه يقول ما نظر أحد الى الخلائق ووقف مع نظرهم فى العبادات الا سقط من عين الله عز وجل • وكان رضى الله عنه يقول من شرط الفقير أن لا يكون له نظر فى عيوب الناس •وكان يقول كم طيرت طقطقة النعال حول الرجال من رأس وكم أذهبت من دين •

وكان رضى الله عنه يقول من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له فان مد يده اليكم لتقبلوها فقبلوا رجله ومن تقدم عليكم فقدموه وكونوا آخر شعرة فى الذنب ، فان الضربة أول ما تقع فى الراس • وكان

رضى الله عنه يقول : وعدنى ربى أن لا أعبر عليه وعلى شىء من لحم الدنيا قال يعقوب الخادم ففنى لحمه بأجمعه قبل خروجه من الدنيا • وكان يقول أن العبد اذا تمكن من الاحوال بلغ محل القرب من الله تعالى وصارت همته خارقة للسبع السموات وصارت الارض كالخلخال برجله وصار صفة من صفات الحق جل وعلا لا يعجزه شىء وصار الحق تعالى يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ويدل لما قلناه ما ورد فى بعض الكتب الالهية يقول الله عز وجل يا بنى آدم أطيعونى أطعكم واختارونى أختركم وارضوا عنى أرض عنكم وأحبونى أحبكم وراقبونى أراقبكم وأجعلكم تقولون للشىء كن فيكون • يا بنى آدم من حصلت له حصل كل شىء ومن فته فاته كل شىء قلت وقوله وصار صفة من صفات الحق تعالى لعله يريد التخلق والاتصاف بصفاته تعالى من الحلم والصفح والكرم لأنه لا يصح لأحد أن يكون عين صفات الحق فهو كقوله فبى يرى وبى يسمع وبى ينطق وما أشبه ذلك •

وكان رضى الله عنه اذا صعد الكرسى لا يقوم قائما ، وانما يتحدث قاعدا • وكان يسمع حديثه البعيد مثل القريب • حتى ان أهل القرى التى حول أم عبيدة ، كانوا يجلسون على سطوحهم يسمعون - صوته ويعرفون جميع ما يتحدث به • حتى كان الأطرش والأصم اذا - حضروا يفتح الله أسماعهم لكلامه • وكانت أشياخ الطريقة - يحضرونه ويسمعون كلامه وكان أحدهم يبسط حجره فاذا فرغ سيدى أحمد رضى الله عنه ضموا أحجارهم الى صدورهم وقصوا الحديث اذا رجعوا على أصحابهم على جليته قلت هذا يشبه ما وقع على ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، من النداء لما بنى البيت ، فانه قال يا رب كيف أسمع جميع الخلائق ، فأوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم عليك النداء وعلينا البلاغ • فنادى ابراهيم بالحج فأجابوه فى الاصلاب من سائر أقطار الارض البعيد مثل القريب • فالبلاغ من الله تعالى ، لا من ابراهيم • فان البشرية لا تقدر على ذلك • وكان

رضى الله عنه يقول اذا أراد الله عز وجـل أن يرقى العبد الـى مقامات الرجال ، يكلفه بأمر نفسه أولا ، فاذا أدب نفسه واستقامت معه كلفه بأهله • فان أحسن اليهم وأحسن عشرتهم كلفه سجيرانه وأهل محلته ، فان هو أحسن اليهم وداراهم • كلفه ببلده فان هـو أحسن اليهم وداراهم ، كلفه جهة من البلاد ، فان هو داراهم وأحسن عشرتهم ، وأصلح سريرته مع الله تعالى كلفه ما بين السماء والارض فان ما سينهن خلقا لا يعلمهـم الا الله تعالى • ثم لا يزال يرتفع من سماء الى سماء ، حتى يصل الى محل القوت ، وثم ترتفع صفته الى أن تصير صفة من صفات الحق تعالى • وأطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة الا بنظره وهناك يتكلم عن الله تعالى بكلام لا يسعه عقول الخلائق • لأنه بحر عميق وغرق فى ساحله خلق كثير • وذهب به ايمان جماعة من العلمـاء والصلحاء • فضـلا عن غيرهم • وكان رضى الله عنه يقول لولده صالح : ان لم تعمل بعلمى فلست لك أبا • ولا أنت لى ولدا • وكان رضى الله عنه يقول اللهـم اجعلنا ممن فرشوا على بابك لفرط ذلهم نواعم الخدود ونكسـوا رؤسهم من الخجل وجباههم للسجود ببركة صاحب اللواء المحمود أمين • وكان اذا جلس على جسمه بعوضه لا يطيرها ولا يمكن أحدا يطيرها ويقول دعوها تشرب من الدم الذى قسمه الحق تعالى لها • وكان اذا جلس على ثوبه جرادة وهو مار فى الشمس وجلست على محل الظل يمكث لها حتىتط ير • ويقول انها استظلت بنا • وكان اذا نام على كمه هره وجاء وقت الصلاة يقطع كمه من تحتهـا ولا يوقظها • فاذا جاء من الصلاة أخذ كمه وخاطه ببعضه ، ووجد رضى الله عنه مرة كلبا أجرب أخرجه أهل أم عبيده الى محل بعيد فخرج معه الى البرية وضرب عليه مظله وصار يطليه بالدهن ويطعمـه ويسقيه ويحت الجرب منه بخرقه فلما برىء حمل له ماء سـاخنا وغسله وكان قد كلفه الله تعالى بالنظر فى أمر الدواب والحيوانات • وكا نرضى الله عنه اذا رأ ىفقيرا يقتل قملة أو برغوثا يقول له لا

أخذك الله شفيت غيظك بقتل قملة • وقد سمع مرة رجلا يقول ان الله تعالى له خمســـة آلاف اسم فقال ان لله تعالى أسماء بعدد ما خلق من الرمال والاوراق وغيرها • وكان رضى الله عنه يمشى الى المجذوبين والزمنى بغسل ثيابهم ويفلى رؤسهم ولحاهم ويحمل اليهم الطعام ويأكل معهم ويجالسهم ويسألهم الدعاء • وكان رضى الله عنه يقول الزيارة لمثل هؤلاء واجبة لا مستحبة • ومر يوما على صبيان يلعبون فهربوا منه هيبه فتبعهم وصار يقول لهـــم اجعلونى فى حل فقـــد روعتكم ارجعوا الى ما كنتم عليه • ومر يوما على صبيان يتخاصمون فجلبن بينهم وقال لواحد منهم ابن من أنت فقال له وايش فضولـــك فصار يرددها ويقول أدبتنى يا ولدى جزاك الله خيرا • وكان يبتدىء من لقيه بالسلام حتى الانعام والكلاب وكان اذا رأى خنزيرا يقول له أنعم صباحا • فقيل له فى ذلك فقال أعود نفسى الجميل • وكان اذا سمع بمريض فى قرية ولو على بعد يمضى اليه يعوده ويرجع بعد يوم أو يومين وكان يخرج الى الطريق ينتظر العميان حتى اذا جاؤا يأخذ بأيديهم ويقودهم وكان اذا رأى شيخا كبيرا يذهب الى أهـــل حارته ، ويوصيهم عليه ، ويقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم من أكرم ذا شيبة يعنى مسلما سخر الله له من يكرمه عند شيبته وكان اذا قدم من السفر وقرب من أم عبيده يشد وسطه ويخرج حبلا مدخرا معه ويجمع حطبا ثم يحمله على رأسه فاذا فعل ذلك فعل الفقراء كلهم مثله فاذا دخل البلد فرق الحطب على الارامل والمساكين والزمنـــى والمرضى والعميان والمشايـــخ وكان رضى الله عنـــه لا يجازى قط بالسيئة • وكان اذا تجلى الحق تعالى عليه بالتعظيم يـــذوب حتى يكون بقعه ماء ثم يتداركه اللطف فيصير يجمد شيئا فشيئا حتى يرد الى جسمه المعتاد ويقول لولا لطف الله تعالى بى ما رجعت اليكم • ولقيه مرة جماعة من الفقراء فسبوه وقالوا له يا أعور يا دجال وقال منيستحل المحرمات يا من يبدل القـــرآن يا ملحد يا كلب فكشـــف سيدى أحمد رضى الله عنه رأسه وقبل الأرض وقال يا أســـيادى

اجعلوا عبيدكم فى حل وصار يقبل ايديهم وأرجلهم ويقول ارضـــوا على وحلمكم يسعنى فلمـــا أعجزهم قالـــوا ما رأينـــا قط فقيرا مثلك تحمل هـــذا كله ولا يتغيـــر فقـــال هـــذا ببركتكـــم ونفحاتكم ثـــم التفـــت الى أصحابـــه وقـــال مـــا كان الا خيرا أرحناهـــم من كلام كان مكتـــوما عنـــدهم وكنـــا نحن أحق بهـــم من غيرنـــا فربما لو وقع منهم ذلك لغيرنا ما كان يحملهم • وأرسل اليه الشـــيخ ابراهيم البستى كتابا يحيط عليه فيه فقال سيدى أحمد رضى اللـــه عنه للرسول اقرأه لى فقرأه فاذا فيه أى أعور أى دجال أى مبتدع يا من جمع بين الرجال والنساء حتى ذكر الكلب بن الكلب وذكر أشياء تغيظ فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب أخذ سيد أحمد رضى الله عنه وقرأه وقال صدق فيما قال جزاه الله عنى خيرا ثم أنشد :

فلست أبالى من زمانى بريبه   اذا كنت عند الله غير مريب

ثم قال للرسول اليه الجواب من هذا اللاشى حميـــد الى سيدى الشيخ ابراهيم البستى رضى الله عنه أما قولك الذى ذكرته فان الله تعالى خلقنى كما يشاء وأسكن فى ما يشاء وأنى أريد من صدقاتك أن تدعو لى ولا تخلينى من حلك وحلمك فلما وصل الكتاب الى البستى هام على وجهه فما عرفوا الى أين ذهب • وكان رضى الله عنه اذا علم أن الفقراء يريدون أن يضربوا أحدا من اخوانهم لزلة وقعت منـــه أخذ ثيابه ويلبسها وينام فى موضعه فيضربونه فاذا فرغوا من ضربه واشتفوا منه يكشف لهم عن وجهه فيغشى عليهم فيقول لهم ما كان الا الخير اكتسبتمونا الأجر والثواب فيقول بعض الفقراء لبعضهم تعلموا هذه الاخلاق • وقال رضى الله عنه لأصحابه يوما من رأى فى حميد منكم عيبا فليعلمه به فقام شخص فقال يا سيدى فيك عيب عظيم فقال وما هو يا أخى فقال كون مثلنا من أصحابك فبكى الفقراء وعلا نحيبهم وبكى ســـيد أحمد معهم وقال أناخادمكم أنا دونكم وكان لســـيدى أحمد شخص ينكر عليه وينقصه فى نواحى أم عبيده فكان كلما لقى

فقيرا من جماعة سيدى أحمد رضى الله عنه يقول خذ هذا الكتاب الى شيخك فيفتحه سيدى أحمد فيجد فيه أى ملحد أى باطل أى زنديق وأمثال ذلك من الكلام القبيح ثم يقول سيد أحمد رضى الله عنه صدق من أعطاك هذا الكتا بـثم يعطى الرسول دريهمات ويقول جزاك الله عنى خيرا كنت سببا لحصول الثواب فلما طال الأمر على ذلك الرجل وعجز عن سيدى أحمد مضى اليه فلما قرب من أم عبيدة كشف رأسه وأخذ مئزره وجعله فى وسطه وأمسكه انسان وصار يقوده حتى دخل المدخل على سيدى أحمد فقال ما أحوجك ياأخى الى هذا فقال فعلى فقال له سيدى أحمد رضى الله عنه ما كان الا الخير يا أخى ثم طلب أخـذ العهد عليه فأخذه عليه وصار من جملة أصحابه الى أن مات • وكان رضى الله عنه يقول اذا قمت الى الصلاة كان سيف القهر يجذب فى وجهى • وكان رضى الله عنه يقول ما يحصل للعبد صفاء الصدر حتى لا يبقى فيه شىء من الخبث لا لعدو ولا لصديق ولا لأحد من خلق الله عز وجل• وهناك تستأنس الوحوش بك فى غياضها والطير فى أوكارها ولا تنفر منك ويتضح لك سر الحاء والميم • وقال له شخص مـن تلامذته يا سيدى أنت القطب فقال نزه شيخك عن القطبيه فقال له وأنت الغوث فقال نزه شيخك عن الغوثية ، قلت وفى هذا دليل على أنه تعدى المقامات والاطوار لأن القطبية والغوثية مقام معلوم ومن كان مع الله وبالله فلا يعلم له مقام وانه كان له فى كل مقام مقام • قال يعقوب الخادم رضى الله عنه ولما مرض سيدى أحمد رضى الله عنه مرض الموت قلت له تجلى العروس فى هذه المرة قال نعم فقلت له لماذا فقال جرت أمور اشتريناها بالارواح وذلك انه أقبل على الخلق بلاء عظيـم فتحملته عنهم وشريته بمابقى من عمرى فباعنى وكان يمرغ وجهـه وشيبته على التراب ويبكى ويقول العفو ويقول اللهم اجعلنى سقـف البلاء على هؤلاء الخلق • وكان مرض الشيخ رضى الله عنه بالبطن فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله فبقى المرض بالشيخ شهرا فقيل

له من اليك هذا ولك عشرون يوما لا تأكل ولا تشرب فقال يا أخى هذا اللحم يندفع ويخرج ولكن قد ذهب اللحم وما بقى الا المخ اليوم يخرج وغدا نعبر على الله تعالى فخرج منه شىء أبيض مرتين أو ثلاثا وانقطع ثم توفى يوم الخميس الظهر ثانى عشر جمادى الاولى سنة سبعين وخمسمائة وكان يوما مشهودا • وكان آخر كلمة قالها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ودفن فى قبر الشيخ يحيى البخارى • وكان شافعى المذهب قرأ كتاب التنبيه للشيخ أبى أسحق الشيرازى وما تصدر قط فى مجلس ولا جلس على شىء الا تواضعا • وكان لا يتكلم الا يسيرا ويقول أمرت بالسكوت رضى الله عنه • (١)

---

(١) من كتاب الطبقات الكبرى للشعرانى الجزء الاول طبعة مكتبة ومطبعة محمد صبيح وأولاده صفحة ١٢١ .

السيد عبد القادر الجيلانى
رضى اللـــه عنـــه

هو سيد الطوائف أبو محمد محيى الدين عبد القادر الجيلانى • الحسنى الحسينى الصديقى • ابن أبى صالح موسى جنكى دوست • بن الاما م عبد الله ، بن الامام يحيى الزاهد بن الامام محمد بن الامـــام داود • بن الامام موسى • بن الامام عبد الله • بن الامام موســـى الجون • بن الامام عبد الله المحض بن امام الحسن المثنى • بن الامام الامام أمير المؤمنين سيدنا الحسن السبط • بن الامام الهمام الغالب ، فخر بنى غالب ، أمير المؤمنين ســـيدنا على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، ورضى الله عنه وعنهم أجمعين أمين (١) •

ولد رضى الله عنه سنة سبعين وأربعمائة • وتوفى سنة احدى وستين وخمسمائة • ودفن ببغداد رضى الله تعالى عنه • وقد أفرده الناس بالتأليف ، ونحن نذكر أن شاء الله تعالى ملخص ما قالوه ممـــا به نفع وتأديب للسامع فنقول وبالله التوفيق :

كان رضى الله عنه يقول عثر الحسين الحلاج لعدم وجود مـــن يأخذ بيده ، وأنا لكل من عثر مركوبه من أصحابى ومريدى ومحبى الى يوم القيامة أخذ بيده • يا هذا فرسى مسرج ، ورمحى منصوب ، وسيفى شاهر ، وقوسى موتر ، أحفظك وأنت غافل • وحكى عن أمه رضى الله عنها وكان لها قدم فى الطريق انها قالت لما وضعت ولدى عبد القادر كان لا يرضع ثديه فى نهار رمضان ، ولقد غم الناس هلال رمضان فأتونى وسألونى عنه فقلت لهم انه لم يلتقم اليوم له ثديا ثـــم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان واشتهر ببلدنا فى ذلك الوقت انه ولد للاشراف ولد لا يرضع فى نهار رمضان • وكان رضى الله عنـــه

---

(١) من كتاب فتوح الغيب لسيدى عبد القادر الجيلانى ــ طبعه مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ــ صفحة ٣ .

يلبس لباس العلماء ويتميلس ويركب البغلة • وترفع الغاشية بين يديه ، ويتكلم على كرسى عال ، وربما خطا فى الهواء خطوات على رؤوس الناس ثم يرجع الى الكرسى • وكان رضى الله عنه يقول بقيت أياما كثيرة لم أستطعم فيها بطعام ، فلقينى انســان أعطانى صرة فيها دراهم فأخذت منها خبزا سميدا ، وخبيصا فجلست آكله فاذا برقعة مكتوب فيها •

قال تعالى فى بعض كتبه المنزله • انما جعلت الشهوات لضعفاء خلقى ليستعينوا بها على الطاعات أما الاقوياء فما لهم وللشــهوات فتركت الأكل وانصرفت • وكان رضى الله عنه يقول انه لترد علــى الاثقال الكثيرة لو وضت على الجبال انفسخت فاذا كثرت على الاثقال وضعت جنبى على الارض وتلوت فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا ، ثم أرفع رأسى وقد انفرجت عنى تلك الاثقال • وكان رضى الله عنه يقول قاسيت الاهوال فى بدايتى فما تركت هولا الا ركبته وكان لباسى جبة صوف وعلى رأسى خريقة وكنت أمشى حافيــا فى الشوك وغيره وكنت أقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخس من شاطىء النهر ولم أزل أجهــد نفسى بالمجاهــدات حتى طرقنى من الله تعالى الحال فاذا صرخت وهمت على وجهى سواء كنت فى صحراء• أو بين الناس• وكنتأتظاهر بالتخارس والجنون وحملت الى البيمارستان • وطرقتنى مرة الاحــوال حتى مت وجاوءا بالكفن والغاسل وجعلونى على المغتسل ليغسلونى ثم سرى عنى وقمت • وقال له رجل مرة كيف الخلاص من العجب فقال رضى الله عنه من رأى الاشياء من الله وأنه هو الذى وفقه لعمل الخير وأخرج نفسه من البين فقد سلم من العجب • وقيل له مرة ما لنا لا نرى الذبابة يقــع على ثيابك ، فقال أى شىءيقع الذباب عندى وأنا ما عندى شىء من دبس الدنيا ولا عسل الآخرة ، وكان رضى الله عنه يقول ايما أمرىء مسلم عبر على باب مدرستى خفف الله عنه العذاب يــوم القيامة ، وكان رجلا يصرخ فى قبره ويصيح حتى اذى الناس وأخبروه بــه

فقال انه رآني مرة ولا بد أن الله تعالى يرحمه لأجل ذلك فمن ذلك الوقت ما سمع له أحد صراخ وتوضى رضى الله عنه يوما فبال عليه ، عصفور ، ورفع رأسه اليه فهو طائرو وقع ميتا ، فغسل الثوب ثم باعه وتصدق بثمنه وقال هذا بهذا •

وكان رضى الله عنه يقول يا ربى كيف أهدى اليك روحى ، وقد صح بالبرهان أن الكل لك ، وكان رضى الله عنه يتكلم فى ثلاثة عشر علما وكانوا يقرؤون عليه فى مدرسته درسا من التفسير ، ودرسا من الحديث ، ودرسا من المذهب ، ودرسا من الخلاف ، وكانوا يقرءون عليه طرفى النهار التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والأصول والنحو •

وكان رضى الله عنه يقرأ القرآن بالقراءات • بعد الظهر • وكان يفتى على مذهب الامام الشافعى ، والامام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنهما • وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق وتعجبهم أشد الاعجاب ويقولون سبحانمن أنعم عليه ، ورفع اليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق الثلاث انه لا بد أن يعبد الله عز وجل عباده ينفرد بها دون جميع الناس فى وقت تلبسه بها فماذا يفعل من العبادات • فأجابه على الفور ، يأتى مكة ويخلى له المطاف ، ويطوف سبع وحده ، وينحل يمينه ، فاعجب علماء العراق • وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها •

ورفع له شخص ادعى أنه يرى الله عز وجل بعينى رأسه فقال أحق ما يقولون عنك فقال نعم فأنهره ونهاه عن هذا القول • فأخذ عليه الا يعود اليه • فقيل للشيخ أمحق هذا أم مبطل ؟ فقال هذا محق ملبس عليه ، وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته الى بصره لمعه فرأى بصره ببصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده • فظن أن بصره رأى ما شهده ببصيرته • وانما رأى بصره ببصيرته فقط ، وهو لا يدرى قال الله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وكان جمع من المشائخ وأكابر العلماء حاضرين

هذه الواقعة لما ضربهم سماع هذا الكلام ودهشوا من حسن افصاحه عن حال الرجل ومزق جماعة ثيابهم وخرجو عريانا الى الصحـــراء ، وكان رضى الله عنه يقول تراء لى نور عظيم • ملأ الافق ثم تتدلى به صورة تنادينى يا عبد القادر انا ربك وقد حللت لك المحرمات فقلـــت اخسا يا لعين فاذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان ثم خاطبنى يا عبد القادر نجوة منى بعلمك بأمر ربك وفقهك فى أحوال منازلاتك ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقلت لله الفضـــل فقيل له كيف علمت بأنه شـــيطان قال بقولـــه قد حللت لك المحرمـــات وسأل رضى الله عنه عن صفاة الموارد الألهية والطوارق الشيطانيـــة فقال الوارد الألهى لا يأتى باستدعاء ولا يذهب بسبب ولا يأتى على نمض واحد و فى وقت مخصوص والطارق الشيطانى بخلاف ذلـــك غالبـــا •

وسئل رضى الله عنه عن الهمة فقال هى أن يتعرى العبد بنفسه عن حب الدنيا وبروحه عن التعلق بالعقبة وبقلبه عن ارادته مـــع ارادة المولى ويتجرد بسره عن أن يلمح الكون أو يخطر على سره •

وسئل رضى الله عنه عن البكاء فقال أبكى له ، ويبكى منه ، ويبكى عليه ولا حرج ، وسئل رضى الله عنه عن الدنيا فقال اخرجها من قلبك الى يدك فانها لا تضرك وسئل رضى الله عنه عن الشكر فقال حقيقة الشكر الأعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ومشاهدة المنه وحفظ الحرمه على وجه معرفة العجز عن الشكر •

فكان يقول الفقير الصابر مع الله تعالى أفضل من الغنى الشاكر له • والفقير الشاكر أفضل منهما • والفقير الصـــابر أفضل منهـــم • ولمخطب البلاء الا من عرف المسلى وسئل رضى الله عنه عن حســـن الخلق فقال هو أن لا يؤثر لا جفاء الخلـــق بعد مطالعتـــك بالحـــق واستصغار نفسك وما منها معروفة بعيوبها واستعظام الخلق وما منهم نظر الى ما أودعوا من الايمان والحكم • وسئل رضى الله عنه •

عن البقاء فقال البقـــاء لا يكون الا مع اللقاء ، واللقاء يكـــــون

كلمح البصر أو هو أقرب • ومن علامة أهل اللقاء أن لا يصحبهم فى وصوفهم به شيء فان لأنهما ضدان • وكان يقول متى ذكرته فأنت محب ومتى سمعت ذكره لك فانك محبـــوب • والخلق حجابـــك عن نفسك ونفسك حجابك من ربك وما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك ، وما دمت ترى نفســـك لا تـــرى ربـــك • ولما اشـــــتهر أمــــره فى الآفـــاق اجتمــــــع مئـــة فقيـــه من أذكيـــاء بغـــداد يمتحنونـــــه فى العلـــــــم فجمـــع كل واحد له مســـــائل وجاء اليه ، فلمـــــا استقر بهم المجلس أطرق الشيخ فظهرت من ظهره بارقة من نـــور فمرت على صدور المئة فمحت ما فى قلوبهم ، فبهتوا واضطربـــــوا وصاحوا صيحة واحدة ، ومزقوا ثيابهم • وكشفوا رؤسهم • ثـــم صعد الكرسى وأجاب الجميع عما كان عندهم فاعترفوا بفضلـــه • وكان من أخلاقه أن يقف مع جلالة قدره مع الصغير والجارية ويجالس الفقراء ويفلى لهم ثيابهم • وكان لا يقوم قط لأحد من العظماء ، ولا أعيان الدولة • ولا ألم قط بباب وزير ولا سلطان • وكان الشيخ على ابن الهيتمى رضى الله عنه يقول : عن الشيخ عبد القادر رضى الله عنه ، كان قدمه على التفويض والموافقة مع التبرى من الحول والقوة وكانت طريقته تجريد التوحيد وتوحيد التفريد مع الحور فى موقف العبودية لا بشىء ولا لشىء • وكان الشيخ عدى بن مسافر رضى الله عنه يقول كان الشيخ عبد القادر رضى الله عنه طريقته الذبول تحت مجارى الاقدار ، بموافقة القلب والروح ، واتحـــاد البـــاطن والظاهر ، وانسلاخه من صفات النفس ، مع الغيبة عن رؤية النفع الضرر ، والقرب والبعد • وكان الشيخ بقاء بن بطو رضى الله عنه يقول كان طريق الشيخ عبد القادر رضى الله عنه اتحاد القول والفعل والنفس والوقت ، ومعانقه الاخلاص والتسليم وموافقة الكتـــــاب والسنة فى كل نفس وخطره ووارد وحال الثبوت مع الله عز وجل وفى رواية كانت قوة الشيخ عبد القادر رضى الله عنه فى طريقه الى ربه كقوى أهل الطريق شدة ولزوما وكانت طريقته التوحيد وصفـــا

وحكما وحالا ، وتحقيقه الشرع ظاهرا وباطنا ، ووصفه قلب فـارغ وكون غائب ، ومشاهدة رب حاضر بسريرة لا تتجاذبها الشكوك ، وسر لا تنازعه الاغيار ، وقلب لا تفارقه النقايا رضى الله عنه • وكان أبو الفتح الهروى رضى الله عنه يقول خدمت الشيخ عبد القادر رضى الله عنه أربعين سنة فكـان فى مدتهـا يصلى الصبـح بوضوء العشاء ، وكان كلما أحدث جدد فى وقته وضوءه ، ثم يصلى ركعتين • وكان يصلى العشاء ويدخل خلوته ، ولا يمكن أحـدا أن يدخلها معه ، فلا يخرج منها الا عند طلوع الفجر • ولقد أتاه الخليفة يريد الاجتماع به ليلا، فلم يتيسر له الاجتماع الى الفجر، قال الهروى وبت عنده ليلة فرأيته يصلى أول الليل يسيرا • ثم يذكر الله تعالى الى أن يمضى الثلث الاول • يقول المحيط الرب الشهيد الحسيب الفعال الخلاق الخالق البارىء المصور فتتضاءل جثته مرة ، وتتعظم أخرى ويرتفع فى الهواء الى أن يغيب عن بصرى مرة • ثم يصلى قائما على قدميه يتلو القرآن الى أن يذهب الثلث الثانى • وكان يطيل سجوده جدا ثم يجلس متوجها مشاهدا مراقبا الى قريب طلوع الفجر ثم يأخذ فى الدعاء والابتهال والتـذلل ويغشاه نور يكاد يخطـف الابصار الى أن يغيب فيه عن النظر • قال وكنت أسمع عنده سلام عليكم سلام عليكم وهو يرد السلام الى أن يخرج الى صلاة الفجر • وكان الشيخ عبد القادر رضى الله عنه يقـول : أقمت فى صحـراء العراق وخرائبه خمساوعشرين سنة ، مجردا سائحا لا أعرف الخلق ولا يعرفونى يأتينى طوائف من رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق الى الله عز وجل • ورافقنى الخضر عليه السـلام فى أول دخولى العراق وما كنت عرفته • وشرط لا أخالفه وقال لى أقعد هنا ، فجلست فى الوضع الذى أجلسنى فيه ثلاث سنين • يأتينى كل سنة مرة • ويقول لى مكانك حتى آتيك • قال ومكثت سنة فى خرائب المدائن أخذ نفسى بطريق المجاهدات فآكل المنبوذ • ولا أشرب الماء ، ولا أنام ، ونمت مرة بايوان كسرى فى ليلة باردة فاحتلمت ، فقمت وذهبت الى

الشط واغتسلت ، فوقع لى ذلك فى تلك الليلة أربعين مرة وأنا أغتسل ثم صعدت الى الايوان خوف النوم ودخلت فى ألف فن حتى أستريح من دنياكم ، وكان رضى الله عنه يرى الجلوس على بساط الملوك ومن داناهم من العقوبات المعجلة للفقير • وكان رضى الله عنه اذا جاء خليفة أو وزير يدخل الدار • ثم يخرج حتى لا يعـــم لـــه أعزازا للطريق فى أعين الفقراء • واجتمع عنده جماعة من الفقراء والفقهاء فى مدرسة نظامية فتكلم عليهم فى القضاء والقدر • فبينما هو يتكلم اذ سقطت عليه حية من السقف ، ففر منها كل من كان حاضرا عنده ولم يبقى الا هو ؛ فدخلت الحية تحت ثيابه ، ومرت على جسده ، وخرجت من طوقه ؛ والتوت على عنقه ، وهو مع ذلك لا يقطع كلامه ، ولا غير جلسته ، ثم نزلت على الارض وقامت على ذنبها بين يديه ، فصوتت ثم كلمها بكلام ما فهمه أحد من الحاضرين • ثم ذهبت فرجع الناس وسألوه عما قالت • فقال قالت : لى لقد اختبرت كثيـــرا من الاولياء فلم أر مثل ثباتك فقلت لها وهل أنا الا دوديدة يحركها القضاء والقدر الذى أتكلم فيه فقال الشيخ عبد القادر رضى الله عنه ثم أنها جائتنى بعد ذلك وأنا أصلى ففتحت فمها موضع سجودى فلما أردت السجود دفعتها بيدى وسجدت فالتفت على عنقى ثم دخلت من كمى وخرجت من الكم الآخر ثم دخلت من طوقى ثم خرجت فلما كان الغد دخلت خربة فرأيت شخصا عيناه مشقوقتان طولا ، فعلمت أنه جنى فقال لى أنا الحية التى رأيتها البارحة ؛ ولقـــد اختبـــرته كثيرا من الاولياء بما اختبرتك به فلم يثبت أحد منهم لى كثباتك • وكان منهم من اضطرب باطنا وثبت ظاهره ومنهم من اضطرب ظاهره وباطنه ، ورأيتك لم تضطرب ظاهرا أولا ولا باطنا • وسألنى أن يتـــوب على يدى فتوبته • وكان رضى الله عنه يقول ما ولد لى قط مولودا الا وأخذته على يدى • وقلت هذا ميت فاخرجه من قلبى أول ما يولد • قال ابن الاحضر رحمه الله تعالى ، وكنا ندخل على الشيخ عبـــــد القادر رضى الله عنه فى الشتاء وقوة برده ، وعليه قميص واحـــد ،

وعلى رأسه طاقية ، والعرق يخرج من جسده ، وحوله من يروحه بمروحة ، كما يكون فى شدة الحر . وكان رضى الله عنه يقول لاصحابه اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ، ولا تخالفوا ، واصبروا ولا تجزعوا ، وأثبتوا ولا تتمزقوا ، وانتظروا ولا تيأسوا ، واجتمعوا على الذكر ولا تتفرقوا وتطهروا من الذنوب ولا تتلطخوا ، وعن باب مولاكم لا تبرحوا . وكان رضى الله عنه يقول اذا ابتلى أحدكم ببلية فليحرك أولا لها نفسه فان لم يخلص منها فليستعن بغيره من الامراء وغيرهم ، فان لم يخلص فليرجع الى ربه بالدعاء والتضرع والانطراح بين يديه ، فان لم يجبه فليصبر حتى ينقطع عنه جميع الاسباب والحركات ، ويبقى روحا فقط . لا يرى الا فعل الحق جل وعلا ، فيصير موحدا ضرورة ويقطع بأن لا فاعل فى الحقيقة الا الله . فاذا شهد ذلك تولى أمره الله . فعاش فى نعمة ولذة فوق لذة ملوك الدنيا لا تشمئز نفسه قط من مقدور قدرة الله عليه . وكان رضى الله عنه يقول اذا مت عن الخلق قيل لك يرحمك الله ، وأماتك عن هواك . فاذا مت عن هواك ، قيل لك رحمك الله وأماتك عن أرادتك ومناك . فاذا مت عن ارادتك ومناك قيل لك رحمك الله وأحياك . فحينئذ تحيا حياة طيبة لا موت بعدها وتغنى غنى لا فقر بعده . وتعطى عطاء لا منع بعده . وتعلم علما لا جهل بعده . وتأمن أمنا لا تخاف بعده . وتكون كبريتا أحمر لا يكاد يرى ، وكان رضى الله عنه يقول أفن عن الخلق بحكم الله تعالى . وعن هواك بأمر الله ، وكان رضى الله عنه يقول أشراك الخواص أن يشركوا ارادتهم بارادة الحق على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة ، فيتداركهم الله باليقظة والتذكير فيرجعوا عن ذلك ، ويستغفروا ربهم ، اذ لا معصوم من هذه الارادة الا الملائكة . كما عصم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبقية الخلق من الجن والانس المكلفين لم يعصموا منها غير أن الاولياء يحفظون عن الهوى والابدال عن الارادة ، وكان رضى الله عنه يقول أخرج عن نفسك

وتنح عنها ، وانعزل عن ملكك وسلم الكل الى مولاك وكن بوابة على باب قلبك فادخل ما يأمرك باخراجه ، ولا تدخل الهوى قلبك فتهلك • وكان رضى الله عنه يقول احذر ولا تركن وخف ولا تأمن وفق ولا تغفل فتطمئن ولا تضف الى نفسك حمالا ولا مقالا ولا تدع شيئا من ذلك ولا تخبر أحدا به • فان الله تعالى كل يوم هو فى شأن فى تغيير وتبديل يحول بين المرء وقلبه فيزول عما أخبرت به ويعزلك عما تخيلت ثباته فتخجل عند من أخبرته بذلك • بل احفظ ذلك ولا تعده الى غيرك فان كان الثبات والبقاء فتعلم أنه موهبة فتشكر واسأل الله التوفيق ، وان كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب • قال الله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها • وكان رضى الله عنه يقول اذا أقامك الله تعالى فى حاله فلا تختر غيرها أعلى منها أو أدنى منها ، قلت أما طلب الادنى فظاهر لاستبداله الادنى بالذى هو خير منه • وأما فى الاعلى فلما يطرق الطالب للعلو من الهوى والادلال • فالنهى فى كلام الشيخ رضى الله عنه لمن لم يخرج عن هوى نفسه • أما من خرج عن ذلك فله السؤال فى مراتب الترقى عبودية محضة والله أعلم • وكان رضى الله عنه يقول ان كنت تريد دخول دار الملك فلا تختر الدخول الى الدار بالهوى حتى يدخلك اليها ، جبرا أعنى بالجبر أمرا عنيفا متكررا ولا تقنع بمجرد الأمر بالدخول لجواز أن يكون ذلك بمكر أو خديعة • ولكن أصبر حتى تجبر على الدخول فتدخل الدار جبرا محضا وفضلا من الملك • فحينئذ لا يعاقبك الملك على فعله وانما تتطرق اليك العقوبة من شؤم شرك وقلة صبرك وسوء أدبك • وترك الرضا بحالتك التى أقامك الحق فيها • ثم اذا دخلت الدار فكن مطرقا غاضا بصرك ، متأدبا محافظا لما تؤمر به من الخدمة • غير مطالب للترقى الى الطبقة الوسطى ولا الى الذروة العليا • قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الآية • وكان رضى الله عنه يقول لا تختر جلب النعماء ولا دفع البلوى فان النعماء واصلة اليك

بالقسمة استحليتها أم كرهتها • والبلوى حالة بك ولو كرهتها ودفعتها فسلم الله تعالى فى الكل يفعل ما يشاء • فان جاءتك النعماء فاشتغل بالذكر والشكر • وان جائتك البلوى فاشتغل بالصبر والمرافقة ، والرضا ، والتنعم بها ، والعدم والفناء عنها ، على قدر ما تعطى من الحالات ، وتنتقل فيها حتى تصل الى الرفيق الاعلى ، وتقام فى مقام من تقدم ومضى من الصديقين والشهداء • فلا تجزع من البلوى • ولا تنفث بدعائك فى وجهها وقربها فليس نارها أعظم من نار جهنم • وفى الخبر أن نار جهنم تقول للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وليس نور المؤمن الذى آطفأ النار الا الذى صحبه فى دار الدنيا وتميز به عمن عصى فليطفىء بهذا النور لهب البلوى • فان البلية لم تأت العبد لتهلكه وانما تأتيه لتختبره • وكان رضى الله عنه يقول : لا تشكو لأحد ما نزل بك من ضر كائنا ما كان • صديقا أو قريبا • ولا تتهمن ربك قط فيما فعل ونزل بك من ارادته بل اظهر الخير والشكر ولا تسكن لأحد من الخلق ولا تستأنس به وتطلع أحدا على ما أنت فيه • لأنه لا فاعل سوى ربك ، وكل شىء عنده بمقدار • وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو • واحذر أن تشكو الله وأنت معافى وعندك نعمة ما طالبا للزيادة ، وتعاميا لما له عندك من النعمة والعافية ازدراء بها • فربما غضب عليك وازالها عنك وحقق شكواك وضاعف بلاءك• وشدد عليك العقوبة• ومقتك وأسقطك من عينه • وأكثر ما ينزل لأبن آدم من البلايا لشكواه من ربه عز وجل • وكان رضى الله عنه يقول لا يصلح لمجالسة الملوك الا المطهر من رجس الزلات والمخالفات ولا تقبل أبوابه تعالى الا طيبا من الدعاوى والهوسات • وأنت يا أخى غارق ليل نهار فى المعاصى والقاذورات • ولذلك ورد حمى يوم كفارة سنة ، فالامراض والشدائد جعلها الله تعالى مطهرات لك لتصلح لقربه ومجالسته لا غير •وقد ورد أيضا أشد الناس بلاء الانبياء ، ثم الامثل ، فالامثل ، ودوام البلاء خاص بأهل الولاية الكبرى • وذلك ليكونوا أبدا فى الحضرة ويمتنعوا من الميل

الى غير الله تعالى، ثم اذا دام البلاء بالعبد قوى قلبه وضعف هواه • وكان رضى الله عنه يقول أرض بالدون ولا تنازع ربك فى قضاءه فيقصمك ، ولا تغفل عنه فيسلبك • ولا تقل فى دينه بهواك فيرديك • ولا تسكن الى نفسك فتبلى بها وبمن هو شر منها • ولا تظلم أحدا ولو بسوء ظنك به وحملك له على محامل السوء ، فانه لا يجاوز بك ظلم ظالم • وكان رضى الله عنه يقول اذا وجدت فى قلبك بغض شخص أو حبه فأعرض أفعاله على الكتاب والسنة ، فان كانت محبوبة فيهما فاحبه ، وان كانت مكروهة ، فأكرهه لئلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك • قال تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ولا تهجر أحدا الا لله وذلك اذا رأيته مرتكبا كبيره أو مصرا على صغيره قلت ومعنى رأيته مرتكبا كبيرة العلم بذلك ولو ببينة فلا يشترط فى جواز الهجر رؤية الهاجر بوقوع المهجور فيما هجر لأجله يقينا لا ظنا وتخمينا فلا يجوز لك الهجر من غير تحقق وتثبت وهذا الباب هلك فيه خلق كثير، ولم يموتوا حتى ابتلاهم الله تعالى بما رموا به الناس والله أعلم• وكان رضى الله عنه يقول: اذا أحب الله عبدا لم يزد له مالا ولا ولدا ، وذلك ليزول اشتراكه فى المحبة لربه تعالى • والحق غيور لا يقبل الشركة • قلت فان بلغ الولى الى مقام لا يشغله عن الله شاغل ، فلا بأس بالمال والاولاد ، وكان رضى الله عنه يقول لا تطمع أن تدخل زمرة الروحانيين حتى تعادى جملتك وتبيانك لجميع الجوارح والاعضاء ، وتنفرد عن وجودك وسمعك وبصرك وبطشك وسعيك وعملك وعقلك وجميع ما كان منك قبل وجود الروح • وما أوجد فيك بعد النفخ ، لأن جميع ذلك حجابك عن ربك عز وجل كما قال الخليل للاصنام فى قوله تعالى (فانهم عدو لى الا رب العالمين) فاجعل أنت جملتك وأجزاءك أصناما مع سائر الخلق ولا ترى لغير ربك وجودا مع لزوم الحدود وحفظ الأوامر والنواهى • فان انخرم فيك شىء من الحدود • فاعلم أنك مفتون • قد لعب بك الشيطان • فارجع الى حكم الشرع ، والزمه ودع عنك الهوى • لأن

كله سموم حقيقة لا تشهد لها الشريعة • فهي باطلة ، وكان رضى الله عنه يقول كثيرا ما يلاطف الله تعالى عبده المؤمن ، فيفتح قبالة قلبه باب الرحمة • وأمنه الانعام • فيرى بقلبه ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،ولا خطر على قلب بشر ، من مطالعة الغيوب ، والتعريف والكلام اللطيف ، والوعد الجميل ، والدلائل والاجابة في الدعاء ، والتصديق ، والوعد والوفاء ، والكلمات من الحكمة • يرمي الى قلبه وغير ذلك من النعم الفائقة ، كحفظ الحدود والمداومة على الطاعات ، فاذا اطمأن العبد الى ذلك واغتربه واعتقد دوامه ، فتح الله عليه أنواع البلايا والمحن ، في النفس والمال والولد ، وزال عنه جميع ما كان فيه من النعم فيصبح العبد متحيرا منكسرا ، ان نظر الى ظاهره رأى ما لا يسره ، وان نظر الى باطنه رأى ما يحزنه •

وان سأل الله تعالى كشف ما به من الضر ، لم يرج اجابة ، وان طلب الرجوع الى الخالق لم يجد الى ذلك سبيلا ، وان عمل بالرخص تسارعت اليه العقوبات وتسلطت عليه الخلائق ، على جسمه وعرضه وان طلب الاقالة لم يقل ، وان رام الرضا والطيبة والتنعم بما به من البلاء لم يعط • فحينئذ تأخذ النفس في الذوبان والهوى في الزوال والارادات والاماني في الرحيل ، والاكوان في التلاشي فيدام له ذلك ويشدد عليه حتى تفنى أوصاف بشريته ويبقى روحا فقط فهنا يسمو الندا في قلبه (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) وردت عليه جميع الخلع وازيد منها ، وتولى الحق وسبحانه وتعالى تربيته بنفس (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) • وكان رضى الله عنه لا يسأل أحد الناس من دون الله تعالى • الا الجهلة بالله • وضعف ايمانه ومعرفته ويقينه وقلة صبره ، وما تعتقد من تعفف عن ذلك الا لوفور علمه بالله عز وجل ، ووفور ايمانه ، وحيائه منه سبحانه وتعالى • وكان رضى الله عنه يقول انما كان الحق تعالى لا يجيب عبده في كل ما سأله فيه الا شفقة على العبد ، ان يغلب عليه الرجاء والغرة فيتعرض للمكربة ، ويغفل عن القيام بأدب الخدمة ، فيهلك • والمطلوب من العبد الا يركن لغير ربه والسلام •

وكان رضى الله عنه يقول علامة الابتلاء على وجه العقوبة والمقابلة عدم الصبر عند وجود البلاء والجزع والشكوى الى الخلق • وعلامة الابتلاء تكفيرا وتمحيصا للخطيئات ، وجود الصبر الجميل من غير شكوى ولا جزع ولا ضجر ، ولا ثقل فى أداء الاوامر والطاعات ، وعلامة • الابتلاء لارتفاع الدرجات وجد الرضا والموافقة ، وطمأنينة النفس والسكون للاقدار حتى تنكشف • وكان رضى الله عنه يقول من أراد الآخرة فعليه بالزهد فى الدنيا ، ومن أراد الله فعليه بالزهد فى الآخرة وما دام قلب ليعبد متعلقا بشهوة من شهوات الدنيا أو لذة من لذاتها من مأكول أو من ملبوس أو منكوح أو ولاية أو رئاسة أو تدقيق فى فن من الفنون الزائدة على الفرض ، كرواية الحديث الآن وقراءة بالروايات السبع وكالنحو واللغة والفصاحة فليس هذا محبا للآخرة ، وانما هو راغب فى الدنيا وتابع هواه • وكان رضى الله عنه يقول تعلم عن الجهات كلها ولا تعضض على شىء منها ، فانك ما دمت تنظر اليها فباب فضل الله عنك مسدود فسد الجهات كلها بتوحيدك وامحها بيقينك ثم بفنائك ثم بمحوك ثم بعلمك وحينئذ تفتح من عيون قلبك جهة الجهات ، وهى جهة فضل الله الكريم فتراها بعين رأسك ، فلا تجد ذلك ولا غنى • وكان رضى الله عنه يقول كلما جاهدت النفس وغلبتها وأفنيتها بسيف المجاهده أحياها الله عز وجل ونازعتك وطلبت منك الشهوات والملذات المحرمات • منها ، والمباح ، لتعود معها الى المجاهدة والمقت ليكتب لك نورا وثوابا دائما وهو معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر • وكان رضى الله عنه يقول كل مؤمن مكلف بالتوقف والتفتيش عندحضور ما قسم له فلا يتناوله ويأخذه حتى يشهد له الحكم بالاباحة والعلم بالقسم كما قال عليه السلام المؤمن فتاش والمنافق لقاف والله تعالى أعلم • (١)

---

(١) من كتاب الطبقات الكبرى للشعرانى الجزء الاول — صفحة ١٠٨ — مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده .

السيد أحمد البدوى
رضى الله عنه

قال الشيخ الامام العلامة القريزى رحمه الله تعالى ترجمة : هو أحمد بن على ابن ابراهيم بن محمد بن أبى بكر بن اسماعيل بن عمر بن على بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى ابن على بن محمد بن حسن بن جعفر بن على بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه المعروف بالشيخ أبى الفتيان الشريف العلوى السيد أحمد البدوى الملثم (١) وشهرته فى جميع أقطار الارض تغنى عن تعريفه ولكن نذكر جملة من أحواله تبركا به فنقول وبالله التوفيق • مولده رضى الله عنه بمدينة فاس بالمغرب • لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج اليها حين كثر القتل فى الشرفاء فلما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلا يقول له فى منامه يا على انتقل من هذه البلاد الى مكة المشرفة فان فى ذلك شأنا وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة • قال الشريف أخو سيد أحمد رضى الله عنه فما زلنا ننزل على عرب ونرحل عن عرب فيتلقونا بالترحيب والاكرام حتى وصلنا الى مكة المشرفة فى أربع سنين ، فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا ، ومكثنا عندهم فى أرغد عيش حتى توفى والدنا سنة سبع وعشرين وستمائة • ودفن بباب المعلاه وقبره هناك ظاهرا يزار فى زاوية ، قال الشريف حسن فأقمت أناواخوتى وكان أحمد أصغرنا سنا وأشجعنا قلبا وكان من كثرة ما يتلثم لقبناه بالبدوى فأقرأته القرآن

و (١) من كتاب مناقب القطب النبوى والشريف العلوى سيدى أحمد البدوى قدس الله سره المسماه بالجواهر السنية والكرامات الاحمدية لسيدى عبد الصمد داعى الحضره الاحمدية — صفحة ٥ مطبعة محمد على صبيح بميدان الازهر بمصر .

فى المكتب مع ولدى الحسين ولم يكن فى فرسان مكة أشجع منه وكانوا يسمونه فى مكة العطاب فلما أحدث عليه حادث الوله تغيرت أحواله ، واعتزل الناس ولازم الصمت فكان لا يكلم الناس الا بالاشارة وكان بعض العارفين رضى الله عنه يقول انه رضى الله تعالى عنه حصلت له جمعية على الحق تعالى فاستغرقته الى الأبد ، ولم يزل حاله يتزايد الى عصرنا هذا • ثم أنه فى شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، رأى فى منامه ثلاث مرات قائلا يقول له قم واطلب مطلع الشمس فاذا وصلت الى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر الى طنتا فان بها مقامك أيها الفتى ، فقام من منامه وشاور أهله وسافر الى العراق فتلقاه أشياخها منهم سيدى عبد القادر وسيدى أحمد بن الرفاعى فقالا يا أحمد مفاتيح العراق والهند واليمن والروم والشرق والمغرب بأيدينا فاختر أى مفتاح شئت • قال لهما سيدى أحمد رضى الله عنه لا حاجة لى بمفاتيحكما ما أخذ المفتاح الا من الفتاح قال سيدى حسن فلما فرغ سيدى أحمد من زيارة أولياء العراق كالشيخ عدى بن مسافر والحلاج وأضرابهما خرجنا قاصدين الى جهة طنتا فاحدق بنا الرجال من سائر الاقطار يعاندونا ويعارضونا ويثاقلونا • فأومأ سيدى أحمد رضى الله عنه اليهم بيده فوقعوا أجمعين فقالوا له يا أحمد أنت أبو الفتيان فانكبوا مهزومين راجعين • ومضينا الى أم عبيدة فرجع سيدى حسن الى مكة وذهب سيدى أحمد رضى الله عنه الى فاطمة بنت برى وكانت امرأة لها حال عظيم • وجمال بديع • وكانت تسلب الرجال أحوالهم فسلبها سيدى أحمد رضى الله عنه حالها • وتابت على يديه • وان لا تتعرض لأحد بعد ذلك اليوم • وتفرقت القبائل الذين كانوا اجتمعوا على بنت برى الى أماكنهم وكان يوما مشهودا بين الاولياء • ثم أن سيدى أحمد رضى الله عنه رأى الهاتف فى منامه يقول له يا أحمد سر الى طنتا فانك تقيم بها • وتربى بها رجالا ، وأبطالا ، عبد العال وعبد الوهاب وعبد المجيد وعبد المحسن وعبد الرحمن رضى

الله عنهم أجمعين • وكان ذلك فى شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة • فدخل رضى الله عنه مصر ثم قصد طنتا فدخل على الحال مسرعا دار شخص من مشائخ البلد اسمه ابن شحيط فصعـــد الى سطح غرفته وكان طول نهاره وليلـــه قائما شـــاخصا ببصره الـــى السماء ، وقد انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر ، وكان يمكث الاربعين يوما وأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ، ثم نزل من السطح وخرج الى ناحية فيشا المنارة فتبعه الاطفال ، فكان منهم عبد العال ، وعبد المجيد ، فورمت عينى سيدى أحمد رضى الله عنه فطلب مـــن سيدى عبد العال بيضة يعملها على عينـــه فقال وتعطنى الجريـــدة الخضراء التى معك فقال سيدى أحمد رضى الله عنه له نعم فأعطاها له فذهب الى أمه فقال هنا بدوى عينه توجعـــه فطلب منى بيضـــة أعطانى هـــذه الجريدة فقالت ما عندى شيء فرجـــع فأخبر ســـيدى أحمد رضى الله عنه فقال اذهب فاتنى بواحدة من الصومعة فذهب سيدى عبد العـــال فوجد الصومعة قد ملئت بيضا فأخـــذ له واحـــدة منها وخرج بها اليه • ثم أن سيدى عبد العال تبع سيدنا أحمد رضى الله عنه من ذلك الوقت • ولم تقدر أمه على تخليصه منه • فكـــانت تقول يا بدوى الشؤم علينا ، فكان ســـيدى أحمد رضى الله عنـــه اذا بلغه ذلك يقول لو قالت يا بدوى الخير كانت أصدق • ثم أرسل لها يقول انه ولدى من يوم قرن الثور ، وكانت أم عبد العال قد وضعته فى معلفالثور وهو رضيع فطأطأ الثور ليأكل فدخل قرنه فى القماط فشال عبد العال على قرنيه فهج الثور فلم يقدر أحد على تخليصه منه فمد سيدى أحمد رضى الله عنه يده وهو بالعراق فخلصه من القرن • فتذكرت أم عبد العال الواقعة واعتقدته من ذلك اليوم فلم يزل سيدى أحمد على السطح مدة اثنى عشر سنة • وكان سيدى عبد العال رضى الله عنه يأتى اليه بالرجل أو الطفل فيطاطى من الســـطح فينظر اليه نظرة واحدة فيملأ مدادا ويقول لعبد العال اذهب به الى بلد كذا أو موضع كذا فكانوا يسمونه أصحاب السطح • وكان رضى الله عنه

ينزل متلثما بلثامين فاشتهى سيدى عبد المجيد رضى الله عنه يوما رؤية وجه سيدى أحمد رضى الله عنه فقال يا سيدى أريد أن أرى وجهك أعرفه ، فقال يا عبد المجيد كل نظرة برجل ، فقال يا سيدى أرنى ولو مت فكشف له اللثام الفوقانى فصعق ومات ، فى الحال • وكان فى طنتا سيدى حسن الصائغ الاخنائى وسيدى سالم المغربى فلما قرب سيدى أحمد رضى الله عنه من مصر أول مجيئه من العراق قال سيدى حسن رضى الله عنه ، ما بقى لنا اقامة صاحب البلاد قد جاء ، فخرج الى ناحية أخرى وضريحه بها مشهور الى الآن • ومكث سيدى سالم رضي الله عنه • فسلم لسيدى أحمد رضي الله عنه ولم يتعرض له • فاقامة سيدى أحمد رضى الله عنه ، وقبره فى طنتا مشهور •وأنكر عليه بعضهم فسلب وانطفى اسمه وذكره ومنهم صاحب الايوان العظيم بطنتا المسمى بوجه القمر • كان واليا عظيما فثار عنده الحسد ولم يسلم الأمر لقدرة الله تعالى • فسلب وموضعه الآن بطنتا • مأوى الكلاب ليس فيه رائحة صلاح • ولا مدد • وكان الخطباء بطنتا انتصروا له وعملوا له وقتا وأنفقوا عليه أموالا وبنوا لزاويته مأذنة عظيمة ، فرفسها سيدى عبد العال برجله فغارت الى وقتنا هذا • وكان الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات يعتقد فى سيدى أحمد رضى الله عنه اعتقادا عظيما وكان ينزل لزيارته ولما قدم من العراق خرج هو وعسكره من مصر تلقوه وأكرموه غاية الاكرام • وكان رضى الله عنه غليظ الساقين طويل الذراعين كبير الوجه كحل العينين طويل القامة ، قمحى اللون وكان بوجهه ثلاث نقط من أثر جدرى فى خده الايمن وواحدة فى الايسر ، ثنتان أقنى الأنف على أنفه شامتان ، من كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدس ، وكان بين عينيه جرح موسى جرحه ولد أخيه الحسين بالابطح حين كان بمكة ، ولم يزل من حين كان صغير اباللثامين والغرزتين ، ولما حفظ القرآن العظيم اشتغل بالعلم مدة على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه حتى حدث له حادث الوله ، فترك ذلك الحال وكان اذا

لبس ثوبا أو عمـــامة لا يخلعها لغسل ولا لغيره حتى تذوب فيبد لونها له بغيرها والعمامة التى يلبسها الخليفة كل سنة فى المولد هى عمامة الشيخ بيده وأما البشت الصوف الاحمر فهو من لباس سيدى عبد العال رضى الله عنه • يقول وعزة ربى سواقى تــدور على البحر المحيط لو نفذ ماء سواقى الدنيا كلها ، لما نفد ماء سواقى رضى الله عنه سنة خمس وسبعين وستمائة • واستخلف بعده على الفقــراء سيدى عبد العال ؛ وسار سيرة حسنة وعمر المقام والمنارات ورتب الطعام على الفقراء ، وأرباب الشعائر ، وأمر بتصغير الخبــز على الحال الذى هو عليه اليوم وأمر الفقراء الذين صحت لهم الاحــوال بالاقــامة فى الاماكن التى كان يعينها لهم ، فلم يســتطيع أحــد أن يخالفه ؛ فأمر سيدى يوسف أبا سيدى اسماعيل الانبابى أن يقيــم بانبابه وسيدى أحمد أباطرطور أن يقيم تجاه انبابه فى البريــة ؛ وسيدى عبد الله الجيزى أن يقيم فى البرية تجاه الجيزة ، وأمــر سيدى وهيبا بالاقامة فى برشوم الكبرى • فاما سيدى يوسف رضى الله عنه ، فأقبلت عليه الامراء والاكابر من أهل مصر ؛ وصار سماطه فى الاطعمة لا يقدر عليه غالب الامراء ، فقال الشيخ أحمد أبوطرطور يوما لأصحابه اذهبوا بنا لأخينا يوسف ننظر حاله ؛ فمضوا اليه فقال لهم كلوا من هذا الماوردية واغسلوا الغش الذى فى بطونــكم ، من العدس والبسله لسيدى أحمد ، فغضب الشيخ أبو طرطور من ذلك الكلام • وقال ما هو الا كذا يا يوسف فقال هذه مباسطة فقال أبــو طرطور ما هو الا محاربه بالسهام فمضى أبو طرطور الى سيدى عبد العال رضي الله عنه وأخبره الخبر • فقال لا تتشــوش أبا طرطور ، نزعنا ما كان معه وأطفأنا اسمه • وجعلنا الاسم لولده اسماعيل •

فمن ذلك اليوم انطفأ اسم سيدى يوسف الى يومنا هذا • وأجرى الله على يدى سيدى اسماعيل الكرامات وكلمته البهائم وكان يخبــر أنه يرى اللوح المحفوظ ويقول يقع كذا وكذا فيجىء الامر كما يقول فأنكر شخص من علماء الملكية ، وأفتى بتعزيره فبلغ ذلك سيــدى

اسماعيل ، فقال ومما رأيته فى اللوح المحفوظ أن هذا القاضى يغرق فى بحر الفرات • فأرسله ملك الى ملك الافرنج ليجادل القسيسين عندهم فانه وعد باسلامه أن قطعهم عالم المسلمين بالحجة ، فلم يجدوا فى مصر أكثر كلاما ولا جدلا من هذا القاضي فأرسلوه فغرق فى بحر الفرات أما ترتيب الاشاير فبيت سيدى أحمد رضى الله عنه الى الآن من أولاده الفران وأولاد الراعى وأولاد المعلوف وأولاد الكناس وغيرهم فرتبهم كذلك سيدى عبد العال رضى الله عنه ولم يكن أحد من أولاد الاشاير يدخل راكبا حوش الخليفة بلا اذن إلا أولاد المعلوف لما كانوا يعلمون من حب سيدى أحمد رضى الله عنه لهم • وكان سيدى عبد الوهاب الجوهرى رضى الله عنه المدفون قريبا من محل مرحوم اذا جاء شخص يريد الصحبة يقول له دق هذا الوتد فى هذه الحائط فان ثبت الوتد فى الحائط أخذ عليه العهد • وان خارت ولم يثبت يقول له اذهب ليس لك عندنا نصيب وقد دخلت الخلوة ورأيت الحائط غالبها شقوق وما ثبت فيها الا بعض أوتاد • وكان الشيخ رضى الله عنه يعلم من هو الاولى بالكشف وانما كان يفعل ذلك اقامة حجة على المريد ليقضي بذلك على نفسه ولا تقوم بنفسه من الشيخ وأما أمر سيدى الشيخ محمد المسمى بقمر الوله فلم يصحب سيدى أحمد زمانا انما جاء من سفر فى وقت حر شديد فطلع يستريح فى طنتنا فسمع بأن سيدى أحمد رضي الله عنه ضعيف فدخل عليه ليزوره وكان سيدى عبد العال وغيره غائبين فوجد سيدى أحمد رضى الله عنه قد شرب ماء بطيخة وتقيأه ثانيا فيها فأخذه سيدي محمد المذكور وشربه فقال له سيدى أحمد أنت قمر دولة أصحابى فيسمع بذلك سيدى عبد العال والجماعة فخرجوا جميعا لمعارضته وقتله بالحال فرمح فرسه فى البئر التى بالقرب من كوم التربه النفاض فطل من البئر التى بالتربة نفيا الى أن مات لم يطلع طنتنا من سيدى عبد العال • وكان رضى الله عنه من أجناد السلطان محمد بن قلاوون وعمامته وثوبه وترسه وجبته وسيفه معلقات فى

ضريحه بنيفا رضى الله عنه قلت وسبب حضورى فى مولده كل سنة أن شيخى العارف بالله تعالى محمد الشناوى رضى الله عنه أحد أعيان بيته رحمه الله قد كان أخذ على العهد فى القبة تجاه وجه سيد أحمد رضى الله عنه وسلمنى اليه بيده فخرجت اليه اليد الشريفة من الضريح وقبضت على يدى وقال سيدى يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك فسمعت سيدى أحمد رضى الله عنه من القبر يقول نعم • ثم أنى رأيته بمصر مرة أخرى هو وسيدى عبد العال • وهو يقول زرنا بطنتنا ونحن نطبخ لم ملوخية ضيافتك فسافرت فأضافنى غالب أهلها وجماعة المقام ذلك اليوم كلهم بطبيخ الملوخية ثم رأيته بعد ، وقد أوقفنى على جسر قحافة تجاه طنتنا فوجد سورا محيطا وقال قف هنا أدخل على من شئت وامنع من شئت ولما دخلت بزوجتى فاطمة أم عبد الرحمن وهى بكر مكثت خمسة شهور ولا أقرب منها فجائنى وأخذنى وهى معى وفرش لى فرشا فوق ركن القبة التى على يسار الداخل وطبخ لى حلوى ودعا الاحياء والاموات اليه وقال أزل بكارتها هنا فكان الأمر تلك الليلة وتخلفت عن ميعاد حضورى للمولد سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وكان هناك بعض الاولياء فأخبرنى أن سيدى أحمد رضى الله عنه كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ويقول ابطأ عبد الوهاب ما جاء • وأردت التخلف سنة من السنين فرأيت سيدى أحمد رضى الله عنه ومعه جريدة خضراء وهو يدعو الناس من سائر الاقطار والناس خلفه ويمينه وشماله أمم خلائق لا يحصون فمر على وانا بمصر فقال أما تذهب ؟ فقلت بى وجع فقال الوجع لا تمنع المحب ؟ أرانى خلقا كثيرا من الاولياء وغيرهم الاحياء والاموات من الشيخ والزمنى بأكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد ثم أرانى جماعة من الاسرى جاءوا من بلاد الافرنج مقيدين مغلوبين يزحفون على مقاعدهم فقال انظر الى هؤلاء فى هذا الحال ولا يتخلفون فقوى عزمى على الحضور فقلت له ان شاء الله تعالى نحضر فقال لا بد من الترسم عليك فرسم على سبعين

عظيمين أسودين كالأفيال وقال لا تفارقانه حتى تحضرا به فأخبرت بذلك سيدى الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه فقال الاولياء يدعون الناس بقصادهم وسيدى أحمد رضى الله عنه يدعو الناس بنفسه الى الحضور ثم قال ان سيدى الشيخ محمد السروى رضى الله تعالى عنه شيخ تخلف سنة عن الحضور فعاتبه سيدى أحمد رضى الله عنه وقال موضع يحضر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبياء عليهم الصلاة والسلام معه وأصحابهم والاولياء رضى الله عنهم ما يحضره فخرج الشيخ محمد رضى الله عنه الى المولد فوجد الناس راجعون وفات الاجتماع فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه انتهى • وقد اجتمعت مرة أنا وأخى أبو العباس الحريثى رحمه الله تعالى بولى من أولياء الهند بمصر المحروسة • فقال رضى الله عنه ضيفونى فانى غريب وكان معه عشرة أنفس فصنعت له فطيرا وعسلا فأكل فقلت له من أى البلاد فقال من الهند فقلت ما حاجتك فى مصر فقال حضرنا مولد سيد أحمد رضى الله عنه فقلت له متى خرجت من الهند فقال خرجنا يوم الثلاثاء فنمنا ليلة الاربعاء عند سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وليلة الخميس عند الشيخ عبد القادر رضى الله عنه ببغداد وليلة الجمعة عند سيدى أحمد رضى الله عنه بطنتا • فتعجبنا من ذلك • فقال الدنيا كلها خطوة عند أولياء الله تعالى عز وجل واجتمعنا به يوم السبت انضاض المولد طلعت الشمس فقلنا لنهم من عرفكم بسيدى أحمد رضى الله عنه فى بلاد الهند فقالوا يا لله العجب أطفالنا الصغار لا يحلفون الا ببركة سيدى أحمد رضى الله عنه فهو من لا ظلم أينما حل وهل أحد يجهل سيدى أحمد رضى الله عنه ان أولياء ما وراء البحار والمحيط وسائر البلاد والجبال يحضرون مولده رضى الله عنه ان من ينكر حضور مولده فيسلب الايمان فلم يكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام وأخبرنى شيخنا الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه • ان شخصا أنكر حضور مولده فسلب الايمان فلم تكن فيه شعرة

نحن لدين الاسلام ، فاستغاث بسيدى أحمد رضى الله عنه فقال بشرط أن لا تعود فقال نعم ، فرد عليه ثوب ايمانه • ثم قال له وماذا تنكر علينا قال اختلاط الرجال والنساء فقال سيدى أحمد رضى الله عنه ذلك واقع فى الطواف ولم يمنح أحد منه ثم قال وعزة ربى : ما عصى أحد فى مولدى الا وتاب وحسنت توبته • واذا كنت أرعى الوحوش والسمك فى البحار وأحميهم من بعضهم بعضا فيعجز بى الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدى ؟ وحكى لى شيخنا أيضا أن سيدى الشيخ أبا الغيث كتب أحد العلماء بالمحلة الكبرى واحد الصالحين بها كان بمصر فجاء الى بولاق فوجد الناس مهتمين بأمر المولد والنزول فى المواكب فأنكر ذلك وقال هيهات أن يكون اهتمام هؤلاء بزيارة نبيهم صلى الله عليه وسلم مثل اهتمامهم بأحمد البدوى فقال له شخص سيدى أحمد ولى عظيم فقال ثم فى هذا المجلس من هو أعلى منه مقاما ، فعزم عليه شخص فأطعمه سمكا ، فدخلت حلقه شوكة ، تصلبت فلم يقدر على انزالها بدهن عطاس ولا بحيلة من الحيل ، وورمت رقبته حتى صارت كخلاية النحل ، تسعة شهور ، وهو لا يلتذ بطعام ولا شراب ولا منام ، وانساه الله تعالى السبب ، فبعد التسعة شهور ذكره الله السبب ، فقال احملونى الى قبة سيدى أحمد رضى الله عنه ، فادخلوه فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة فخرجت الشوكة مغمسة دما • فقال تبت الى الله تعالى يا سيدى أحمد • وذهب الوجع والورم من ساعته وأنكر ابن الشيخ خليفة بناحية أبيار بالغربية ، حضور أهل بلده الى المولد ، فوعظه شيخنا الشيخ محمد الشناوى فلم يرجع فاشتكاه لسيدى أحمد فقال ستطلع له حية ترعى فمه ولسانه فطلعت من يومه ذلك وأتلفت وجهه ومات بها • ووقع ابن اللبان فى حق سيدى أحمد رضي الله عنه فسلب القرآن والعلم والايمان فلم يزل يستغيث بالأولياء فلم يقدر أن يدخل فى أمره فدلوه على سيدى ياقوت العرشي فمضى الى سيدى أحمد رضي الله عنه وكلمه فى القبر وأجابه وقال له : أنت

أبو الفتيان رد على هــذا المسكين راسماله فقال بشرط التوبة فتاب ورد عليه راسماله وهــذا كان سبب اعتقــاد ابن اللبان فى ســيدى ياقوت رضي الله عنه وقد زوجــه سيدى ياقوت ابنتــه ودفن رجليها بالقرافة رحمه الله تعــالى • ووقعه ابن دقيق العيد بامتحانه لسيدى أحمد رضي الله عنه مشهوره • وهو أن الشيخ تقى الدين أرسل الى سيدى عبد العزيز الديرينى رضي الله عنه • وقال له امتحن لى هذا الرجل الذى اشتغل الناس بأمره عن هــذه المسائل فان أجابك عنها فهو ولى الله تعالى فمضى اليه سيدى عبد العزيز وسأله عنها فأجاب عنها بأحسن جواب • وقال هــذا الجواب مسطر فى كتاب الشجرة فوجدوه فى الكتاب كما قــال وكان سيدى عبد العزيز اذا ســئل عن سيدى أحمد رضي الله عنه يقول هو بحــر لا يدركه قرار • وأخباره ومجيئه بالأسرى من بلاد الأفرنج • وأغاثه الناس من قطع الطريق • وحيلولته بينهم وبين من استنجد به ، لا تحــويلها بينهــم وبين من استجابه ، لا تحويها الدفــاتر رضي الله عنه قلت وقــد شاهدت أنا بعينى سنة خمس وأربعين وتســعمائة أسيرا على منــارة سيدى عبد العال رضي الله عنه مقيدا مغلولا وهو مخبط العقل فسألته عن ذلك فقال بينا أنا فى بلاد الأفرنج آخر الليــل توجهت الى سيدى أحمد فاذا أنا به فأخذنى وطار بى فى الهــواء فوضعنى هنا فمكثت يومين ورأسه دائرة عليه من شدة الخطفة رضي الله عنه [١] •

---

(١) من كتاب الطبقات الكبرى الجزء الاول لسيدى عبد الوهاب الشــعرانى صفحة ١٥٨ ــ مكتبة ومطبعة محمد على صبيح واولاده .

السيد أبو الحسن الشاذلى رضي الله تعالى عنه

انه قطب الزمان والحامل فى وقته لواء أهل العيان • هو الشيخ الامام حجة الصوفية ، علم المهتدين ، زين العارفين ، أستاذ الأكابر والمتفرد فى زمنه بالمعارف السنية ، والمفاخر العالم بالله ، والدال على الله ، زمزم الأسرار ، ومعدن الأنوار ، القطب القوت الجامع ، تقى الدين أبو الحسن على ، بن عبد الله ، بن عبد الجبار ، بن تميم ، ابن الزهراء ، بن حاتم ، بن قصي ، بن يوسف ، بن شعيب ، بن ورد ، ابن بطال ، بن أحمد ، بن محمد ، بن عيسى ، بن محمد ، بن الحسين ، ابن على بن أبى طالب ، عرف بالشاذلى ، منشؤه بالمغرب الأقصى ، ومبدأ ظهوره بشاذلة ، حيث ولد سنة ٥٩٣ هـ بلدة على القرب من تونس ، واليها نسب له السياحات الكثيرة ، والمنازلات الجليلة ، والعلوم الكثيرة ، لم يدخل فى طريق الله حتى كان يعد للمناظرة ، فى العلوم الظاهرة ، ذو علوم جمة ، ذكره الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى كتابه ، وأثنى عليه الثناء الكثير ، وذكره الشيخ قطب الدين بن القسطلانى • فى جملة من لقيه من المشائخ • وأثنى عليه ، وذكره الشيخ أبو عبد الله بن النعمان • وشهد له بالقطبانية • وذكره الشيخ عبد الغفار ابن نوح رضي الله عنه ، فى كتاب التوحيد ، وأثنى عليه لم يختلف فى قطبانيته ذو قلب مستنير ، ولا عارف بصير ، جاء فى هذا الطريق بالعجب العجاب • وشرع من علم الحقيقة الأطناب ، ووسع للسالكين الرحاب • حتى لقد سمعت الشيخ الامام مفتى المسلمين تقى الدين محمد بن القشيرى يقول : ما رأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلى • وأخبرنى الشيخ العارف مكين الدين الأسمر أنه قال : حضرت بالمنصورة فى خيمة فيها الشيخ الامام مفتى الأنام عز الدين بن عبد السلام • والشيخ مجد الدين على بن وهب القشيرى المدرس ، والشيخ محى الدين بن سراقة •

والشيخ مجد الدين الأخيمى ، والشيخ أبو الحسن الشاذلى . ورسالة القشيرى تقرأ عليهم . وهم يتكلمون والشيخ أبو الحسن صامت الى أن فرغ كلامهم . فقال يا سيدى نريد أن نسمع منك . فقال أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم . فقالوا لا بد أن نسمع منك . قال فسكت الشيخ ساعة . ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه وقال اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله . وأخبرنى

الشيخ أبو عبد الله ابن الحاج قال أخبرنى الشيخ أبو زكريا يحيى البلبيسي . قال صحبت الشيخ أبا الحسن عند وداعى اياه . اذ وصلت الى الأندلس فاجتمع بالشيخ أبى العباس ابن مكنون . فانه أطلع على الوجود وعرف حيث هو ولم يطلع الناس على أبى العباس فيعلموا حيث هو . قال فلما جئت الى الأندلس جئت الى الشيخ أبى العباس بن مكنون . فحين وقع بصره على ، قال ولم يعرفنى قبله جئت يا يحيى حييت الحمد لله على اجتماعك بقطب الزمان يا يحيى

الذى أخبرك به الشيخ أبو الحسن ، لا تخبر به أحد . وأخبرنى رشيد الدين بن الرايس قال تخاصمت أنا وبعض أصحاب الشيخ فأتيت الى الشيخ أبى الحسن فذكرت مقالنا له فقال الشيخ كنت تقول له أنا ربانى القطب ومن رباه القطب رباه أربعون بدلا . وأخبرنى والدى رحمه الله قال دخلت على الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضي الله عنه فسمعته يقول : والله لقد تسألوننى عن المسألة لا يكون لها عندى جواب فأرى الجواب مسطرا فى الدواة

والحصيرة والحائط وأخبرنى بعض أصحابنا قال قال الشيخ أبو الحسن يوما والله انه ليتنزل على المدد فأرى سريانه فى كالحوت في الماء . والطائر فى الهواء .. وكان الشيخ أمين الدين جبريل حاضرا فقال للشيخ أبى الحسن . فأنت اذاً القطب ؟ فقال الشيخ أبو الحسن أنا عبد الله . أنا عبد الله . وأخبرنا بعض أصحابنا قال الشيخ أبو الحسن والله ما ولى الله وليا الا وضع حبه فى قلبى قبل أن

يوليه • ولا رفض عبداً الا وألقى الله بغضه فى قلبى قبل أن يرفضه•
وأخبرنى بعض أصحابنا قال لما رجع الشيخ أبو الحسن من الحج •
أتى الى الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام قبل أن يأتى منزله •
فقال له الرسـول صلى الله عليه وسلم يسلم عليـك قال فاستصغر
الشيخ عز الدين نفسه أن يكون أهلاً لذلك قال فدعى الشيخ عز الدين
الى خانقاه الصوفيـة بالقاهرة وحضر معـه الشيخ محى الدين بن
سراقة وأبو العلم يس أحد أصحاب بن عربى فقال الشيخ محى الدين
ابن سراقة للشيخ عز الدين ليحظكم ما سمعنا يا سيدى والله أن هـذا
شيء يفرح به أن يكون وأمر فى هذا الزمن من يسلم عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ عز الدين الله يسترنا فقال أبو العلم
اللهم أفضحنا حتى يتبين المحـق من المبطل ثم أشـاروا للقـوال أن
يقول وهو بالبعد بحيث لا يسمع ما دار بينهم فكان أول ما قال صدق
المحدث والحديث كما جرى فقام الشيخ عز الدين • وطاب منه وقام
الجمع لقيـامه • وأخبرنى الفقير مكين الدين الأسمر • قال سمعت
مخاطبـة الحق • فقلت يـا سيدى كيف كان ذلـك • فقـال كان فى
الاسكندرية بعض الصـالحين صحب الشـيخ أبا الحسن • ثم كبر
عليه ما سمعه منه من العلوم الجليلة والمخرقات • فلم يسع ذلك عقله
فانقطع عن الشيخ أبى الحسن رضي الله فبينما أنا ليـلة من الليالى
وأنا أسمع أن فلانا دعانا فى هذا الوقت بست دعوات • فان أراد أن
يستجاب له فليأت الى الشيخ الشـاذلى • دعانا بكذا دعانا بكذا •
حتى عينت له الست دعوات • قال ثم انفصل الخطاب عنى فنظرت
الى المتوسط فى ذلك الوقت فعرفت الوقت الذى كان ذلك الرجل دعا
فيه ثم أصبحت فذهبت الى ذلك الرجل • فقلت له دعوت الله البارحة
بست دعوات • دعوته بكذا • دعوته بكذا • الى أن عددت له الست
دعوات • فقال نعم • فقلت تريد أن يستجاب لك • قال ومن لى بذلك
فقلت له قيل لى أن أراد أن يستجاب له فليأت الى الشيخ الشاذلى •
وسمعت شيخنا أبا العباس يقول : كان الشيخ قد قال لى ان أردت أن

تكون من أصحابى فلا تسأل من أحد شيئا . فمكثت على ذلك سنة .
ثم قال لى ان أردت أن تكون من أصحابى . فلا تقبل من أحد شيئا .
فكان اذا اشتد على الوقت أخرج الى ساحل بحر الاسكندرية ألتقط
ما يرميه البحر بالســاحل من قمح حين يرفع من المراكب فاذا يوما
على ذلك واذا عبد القادر النقاد وكان من أولياء الله تعالى يفعل كفعلى
فقال لى أطلعت البارحة على مقام الشيخ أبى الحسن فقلت له وأين
مقام الشيخ ؟ فقــال عنــد العرش . فقلت له : ذلك مقــامك ينزل لك
الشيخ فيه حتى رأيته . ثم دخلت أنا وهو على الشيخ . فلما استقر
بنا المجلس . قال الشيخ رأيت البارحة عبد القادر فى المنام . فقال
لى أعرشي أنت أم كرسي . فقلت له : دع عنــك هذا . ذى الطينــة
أرضية والنفس ســماوية ، والقلب عرشي ، والروح كرسي ، والسر
مع الله ، بلا أين ، والأمر يتنزل فيما بين ذلك ، ويتلوه الشاهد منه .
وقدم بعض الدالين على الله الى الاسكندرية فقال الشيخ مكى الدين
الأسمر هذا الرجــل ، يدعو الناس الى باب الله . وكان الشــيخ أبو
الحسن يدخلهم على الله . وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه .
كنت مع الشيخ أبى الحسن بالقيروان . وكان شهر رمضــان . فكلما
كانت ليلة جمعــة كانت ليــلة سبعة وعشرين . فذهب الشــيخ الى
الجــامع . وذهبت معه . فلمــا دخل الجامع وأحرم ، رأيت الأولياء
يتســاقطون عليه ، كما يتساقط الذباب على العســل ؛ فلما أصبحنا
وخرجنا من الجــامع قال الشيخ ما كانت البارحــة الا ليلة عظيمة .
وكانت ليلة القدر . ورأيت رســول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يقول يا على طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس . قلت
يا رسول الله وما ثيابى . قال : إعلم أن الله قد خلع عليك خمس . خلع
خلعة المحبة وخلعة التوحيد وخلعة الايمان وخلعة الاسلام . فمن أحب
الله هان عليه كل شيء . ومن عرف الله ، صغر لديه كل شيء . ومن
وحد الله ، لم يشرك به شــيئا . ومن آمن بالله أمِنَ من كل شيء ،
ومن أسلم لله ، قلمــا يعصيه . وان عصاه اعتذر اليــه ؛ وان اعتذر

اليه ، قبل عذره • ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل وثيابك فطهر •
وقال الشيخ أبو العباس جلت فى ملكوت الله فرأيت أبا مدين متعلقا
بساق العرش• هو رجل أشقر أزرق العينين • فقلت له : ما علومك وما
مقامك ؟ فقال : أما علومى فأحد وسبعون علمـــا ، وأما مقامى فرابع
الخلفـــاء ، ورأس السبعة الأبدال • فقلت مـــا تقول فى شيخى أبى
الحسن الشاذلى ، فقال زاد على بأربعين علمـــا ، هو البحر الذى لا
يحاط به • وأخبرنى بعض أصحابنا • قال : قيل للشيخ أبى الحسن
من هو شيخك يا سيدى ؟ فقال : كنت أنتسب الى الشيخ عبد السلام
ابن مشيش • وأنا الآن لا أنتسب الى أحـــد • بل أعـــوم فى عشرة
أبحر ، خمسة من الآدميين : النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر ،
وعمـــر ، وعثمـــان ، وعلى ، وخمســـة من الروحـــانيين ، جبريل ،
وميكائيل ، وعزرائيل ، واسرافيل ، والروح ، وأخبرنى ولد سيدنا
ومولانا الامام العـــارف شهاب الدين • قال قال الشـــيخ عند موته ،
والله لقـــد جئت فى هذا الطـــريق بما لم يأت به أحـــد • ومن الأمر
المشهور أنه لما دفن بحميثرا وغسل من مائها كثُر الماء بعد ذلك وعذب
حتى صـــار يكفى الركب اذا نزل عليـــه • ولم يكن قبـــل كـــذلك •
وكتب الى الشيخ أبو عبـــد الله بن النعمان • أبيـــاتا يوصينى فيها
بالشيخ أبى العباس منها :

عطـــاء الله العرش في الثغر أحمـــد
سررت به في الصحب فالله أحمـــــد

ثم يقول في الشيخ أبى العباس : —

وان علم الشـــاذلى حقيقـــــة
وذلـــك قطب فاعلمـــوه واحـــد
رأيت له بعـــد الممات عجائبـــــا
تدل على من كان للفتـــح يجحـــد

فالذى عنى الشيخ أبو عبد الله بقوله رأيت له بعـــد الممات عملا
عجائبا ان حلى الماء فرق ما كان وكثُر لمـــا غسّل منه وأخبرنى بعض

أصحابنا ، قال قال الشيخ ، قيل لى ما على وجـــه الأرض مجلس فى الفقه ، أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد الســـلام ، وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحـــديث أبهى من مجلس الشيخ زكى الدين عبد العظيم ، وما على وجـــه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك • وقال الشيخ أبو العبـــاس لما نزلت بتونس لمـــا أتيت من مرسيه ، وأنا اذ ذاك شاب فسمعت بذكر الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، فقال لى رجـــل تمضي بنا اليه ؟ فقلت حتى أستخير الله • فنمت تلك الليلة • فرأيت كأنى أصعد الى رأس جبل فلما علوت فوقه رأيت هنـــالك رجلا عليه برنس أخضر وهو جالس وعن يمينه رجل وعن يساره رجل فنظرت اليه فقال عثرت على خليفة الزمان • قال : فانتبهت • فلما كان بعد صلاة الصبح ، أتانى الرجل الذى دعانى الى زيارة الشيخ • فسرت معه فلما دخلنـــا على الشيخ ، رأيته بالصفة التى رأيته فوق الجبل • قال فدهشت • فقـــال لى عثرت على خليفة الزمان ما اسمك فذكرت له اسمى ونسبى • فقال لى رفعت لى منـــذ عشر سنين • وقـــال الشيخ أبو العبـــاس لما قدمنا من المغـــرب الى الاسكندرية ، نزلنا عند عمود السوارى ، من ظاهرها • وكان وصولنا عند اصفرار الشمس ، وكانت بنا فاقة وجوع شديد ، فبعث لنا رجل من عدول الاسكندرية طعام ، فلما قيل للشيخ عنه قال : لا يأكل أحـــد منه شيئا ، فبتنا على ما نحن عليه من الجوع ، فلما كان عند الصباح صلى بنـــا الشيخ وقال : مدوا الســـماط ، واحضروا ذلك الطعـــام ، ففعلوا ، وتقدمنا وأكلنا ، فقال الشيخ : رأيت فى المنام قائلا يقول : أحل الحلال ما لم يخطر لك على بال • ولا سألت فيه أحداً من النساء والرجـــال •

الفصـــل الثالث

بـــدء أصـــل الطرق الصوفيـــــة

اعلم يا أخا العقل ان الله تعـــالى لما أمر عبـــاده أن يدعوه ـــ أى يذكروه ـــ بأسمائه تعـــالى الحسنى طلب الكثير من الصـــحابة من حضرة من أسند الله تعالى الى حضرته البيـــان والتبيين أن يتعلموا كيف يكون الذكر بأسماء الله تعالى والأعداد التى يذكرونها • فأبان لهم صلى الله تعالى عليه وسلم : ان أفضل الذكر ، أما أن يكون باسم الذات وهو الله تعالى ، أو باسم النفى والاثبات وهو لا إله الا الله • وأما أن يكون سراً أو جهراً ، أو يكون جامعـــاً لكلتا الحالتين كما قال تعالى : (واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول) الآية فبين صلى الله تعالى عليه وسلم الذكر السرى في قوله الشريف عن سعد بن مالك قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم « خير الذكر الخفى وخير الرزق ما يكفى » • وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت : كان رســـول الله صلى الله عليه وسلم يفضل الصـــلاة التى يستاك لها ، على الصـــلاة التى لا يستاك لها سبعين ضعفا • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضـــل الذكر الخفى الذى لا يسمعه سبعون ضعفا • فيقول اذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا • قال الله لهم : أنظروا هل بقى له من شيء ؟ فيقولون : ربنا ما تركنا شيئا مما علمناه وحفظناه الا وقد أحصيناه وكتبناه ، فيقول الله تبارك وتعالى له : ان لك عندى خبيئاً لا تعلمه ، وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفى ، فاختار الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه أن يعلمه رسول الله صلى الله تعالىعليه وسلم الذكر الخفىوالذكر الجهرىفلقنه رسول الله صلىالله تعالى عليه وسلم (أسم) الذات بالسر وهو (الله) واسم النفى والاثبات بالجهر وهو (لا إله إلا الله) فدأب عليهما رضي الله تعالى عنه ليكون

جامعاً بين السر والجهر ، والظاهر والباطن والحقيقة ، والشريعة • والقول والفعل ، فكان من أخلاصه رضي الله تعالى عنه وشدة مراقبته احترق كبده وقد شهر عنه أنه كان يشم من نفسه رائحة الكبد المشوى ، وشهر من وصفه الذاتى ما رواه فى مجمع الزوائد عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها • قالت : كان غزير الدمعة وقيد الجوانح ، أى محزون القلب كأن الحزن قد كسره وضعفه ، يرى عليه الانكسار ، وشدة الخوف من الله ، شجى النشيد ، يعنى أن من يسمعه وهو يقرأ يحزن لسماع قراءته لشدة اخلاصه ، اذا ما سمعته كأنك تسمع الله يقول : كيف لا وهو القائل : ان الله لا يعجل بعجلة العباد حتى تبلغ الأمور عنده ما أراد • وقد قال رضي الله تعالى عنه (لا آمن مكر الله ولو احدى قدمى داخل الجنة) وقد قال عند سماعه من حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم (الصلاة فى أول الوقت فى رضوان الله ، وفى وسطه فى رحمة الله ، وفى آخر الوقت فى عفو الله) • فقد قال الصديق رضي الله تعالى عنه لأن أكون فى رضوان الله تعالى خير لى من أن أكون تحت عفو الله • وهكذا كل من سلك على مبدئه ، ونسج على منواله ، وشرب من مشربه ، رضى الله تعالى عليه • كما قال تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) الآيات وممن حاز هذا الفضل والفخار السيد محمد بهاء الدين الذى عرف عنه أنه نقش الاسم على قلبه ، فانشهر بالنقشبندى بالفارسية وشهرت من الصديقية الى النقشبندية وفرعت وكثر فيها الأفاضل واشتهر فيها الحزم والعزم وان أردت أن تعرفهم فاضلا عن فاضل ، فاتبع أسانيدهم تجدها كسلسلة المحدثين والقراء للكتاب العزيز ، والسنة المطهرة •

وأعلم أن من مقتضيات حكم العليم الخبير سبحانه وتعالى ان جعل مقام أهل الاحسان أعلى المقامات فى الدين الاسلامى ، كما قدمنا وهم الربانيون أهل الله تعالى وخاصته من خلقه ، ولذا جعل نشر مبادئهم على زوجين لا ثالث لهما بين جميع المسلمين على

الاطلاق ، وهم الصديقية اللذين أصلهم سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وعلوية وهم الذين أصلهم سيدنا على بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه ، هذا وان كان صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى العهـد لكثير من الصحابة كسيدنا أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي الله تعالى عنه ، كما ينتهى اليه أحد سند سيدى أبى الحسن الشاذلى ، والآخر عن سيدنا على رضي الله تعالى عنهم • وممن أخذ العهد على رسول الله سيدنا ابن مسـعود ، وسـيدنا سلمان الفـارسي ، وسيدنا أبو هريرة ، وسيدنا حزيفة بن اليمان ، وغيرهم • لو استقصيناه لضاق بنا المقام •

ولكن لم يشتهر قديما وحـديثا الا ما كان لسيدنا الصديق وهم النقشبندية • وما كان لسيدنا على رضي الله تعالى عنه وهم الخلوتية وان كان عن سيدنا على كثرت الفروع بالنسبة لأولاده وكذا أخذ عن سيدتى زينب بنت سيدنا على رضي الله تعالى عنه السيدة شعوانة البصرية ، والسيدة ريحـانة الحبشية ، والسـيدة نفيسة المرضية ، وميمونة البدوية ، وعابدة الكردية ، ومرجعهن الى سيدنا على رضي الله تعالى عنه • وهذا هو سبب العهد الذى لا يكون الا عن الاشياخ العارفين • ثم قد تعـددت الطرق باشتهار الأفاضل البارزين فى كل عصر كالقـادرية والرفاهيـة والاحمـدية والدسوقيـة والشاذلية والبيومية والادريسية والتيجانية ومرجع الجميـع الى سيدنا على رضي الله تعـالى عنه وهى المشتهرة الآن بالخلويـة • وذلك بعد أن يخدم المريد جميع الاسماء ويذكرها ويعرف علاماتها واشاراتها يدخله الشيخ الخلوة والأسماء التى تذكـر هى سبعة حسب مراتب النفس وهى معروفة عند مشائخ الطرق وقد دونه الأفاضل فى كتب معروفة فراجعها ان شئت قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)

وحيث أنك قد عرفت أن سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقن سيدنا الصديق رضي الله تعالى عنه اسم الذات ، ويذكره

بالنفس سراً ، وبعدهـــا يأخذ القلب يتحرك بحـــركة النفس وبعدها يكون الذكر بالقلب تحرك النفس أو لم يتحرك كما هو معروف • وهذا هو أصل الطريقة الصديقية النقشبندية وأما أصل الطريقة الخلونية العلوية وسندها ومصدرها فقد جاء في مجمع الزوائد ما رواه الامام أحمد والطبراني وغيرهما • وقد روى أيضا يوسف الكوراني أن علياً رضي الله تعالى عنه ســأل النبى صلى الله عليه وسلم فقـــال : دلنى على أقرب الطرق الى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى فقال النبى صـــلى الله عليه وسلم : أفضـــل ما قلت أنا والنبيـــون من قبلى لا إله إلا الله • ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع فى كفه ولا إله إلا الله فى كفه لرجحت لا اله الا الله) ، ثم قـــال النبى صلى الله عليه وسلم « يا على لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله » • فقال على رضي الله تعـــالى عنه : كيف أذكر يا رسول الله • فقال النبى صلى الله عليه وسلم « غمض عينيك واسمع عنى ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع • ثم قـــال النبى صلى الله عليه وسلم : لا اله الا الله ثلاث مرات • مغمضـــا عينيه رافعـــا صوته وعلى يســـمع • ثم قـــال على : لا اله الا اللــــه كـــذلك والنبى صلى الله عليـــه وسلم يسمع » اهـ • ثم ان صـــلى الله عليـــه وسلم علّم الأمة أجمـــع الاستغفار مائة مرة فى اليوم والليـــل بيانا لقوله تعـــالى : (ومـــا كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللـــه معذبهم وهم يســـتغفرون) ولا زال فينا صلى اللـــه عليـــه وسلم وفى قوله الشريف الذى يرويه البخـــارى وغيره : « يـــا معشر النـــاس توبوا الى الله فانى أتوب اليـــه فى اليـــوم والليلة مائـــة مرة » فكان هـــذا ضروريا عند تلقين العهد ليكون هذا كالطهارة للدخول على الذكر ثم الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليكون ادعى للقبول لما ورد فى ذلك من قوله الشريف : (ثم صلوا على ومن قوله : من صلى على عشرا) الحديث ومن قوله : (قولوا اللهـــم صل على محمد) الحديث الذى كان هو بيانا لقوله تعالى : (يا أيها الذين

آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) الآية ثم الجد والاجتهاد فى القيام بالأعمال الشرعية وخاصة الصلوات فى أوقاتها ، والبعد عن محارم الله عز وجل بالقدر المكن للبشر ومصاحبة الصالحين وتجنب أهل الفساد وحب الخير والعلماء العاملين • وهكذا من الوصايا التى يرويها الشيخ العارف لمريديه وأن يرشده الى تلاوة القرآن • وان كان يعرف القراءة أو سماعها وسماع العلم وأن يجد ويجتهد فى الدنيا لنيل الخير فى الآخرة وأن يطلع على كتب العلماء التى تدله على الله تعالى وأن يتخلق بالأخلاق الفاضلة وأن يتجنب الرذيلة كل ذلك عند تلقين العهد •

معرفة مقام الذكر وأسراره

الذكر نعت إلهى وهو نفسي وملتى فى الحق وفى الخلق ومع كونه نعتاً إلهياً فهو جزاء ذكر الخلق وقال تعالى : فاذكرونى أذكركم فجعل وجود ذكره عن ذكرنا اياه ، وكذلك حاله فقال تعالى : ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسي وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، فأنتج الذكرُ الذكرَ وحالُ الذكر حالَ الذكر • وليس الذكر هنا بأن نذكر اسمه ، بل نذكر اسمه من حيث ما هو مدح له وحمد ، اذ الفائدة ترتفع بذكر الاسم من حيث دلالته على العين ، لا فى حقك ولا فى حقه • فان قلت فقد رجح أهل الله ذكر لفظة الله الله وذكر لفظة هو على الاذكار التى تعطى النعت ، ووجدوا لها فوائد • قلت : صدقوا وبه أقول • ولكن ما قصدوا بذكرهم الله الله نفس دلالته على العين ، وانما قصدوا هذا الاسم أو الهو من حيث أنهم علموا أن المسمى بهذا الاسم أو هذا الضمير هو من لا تقيده الأكوان ومن له الوجود التام فاحضار هذا فى نفس الذاكر عند ذكر الاسم لذلك وقعت الفائدة • فانه ذكرٌ غير مقيد فاذا قيده بلا إله إلا الله لم ينتج له الا ما تعطيه

من كتاب فيض الوهاب ـ للشيخ عبد ربه بن سليمان بن محمد بن سلمان الشهير بالقليوبى من الجزء الخامس طبع دار القومية العربية للطباعة صفحة (٢٠) .

* الجلاد *

هذه الدلالة • واذا قيــده بسبحان الله لم يتمكن له أن يحضر الا مع حقيقة ما يعطيه التسبيح • وكذلك الله أكبر ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله • وكل ذكر مقيد لا ينتج الا بما تقيد به ، لا يمكن أن يجني منه ثمرة عامة ، فان حالة الذكر تقيده • وقد عرفنا الله أنه مــا يعطيه الا بحسب حــاله فى قوله : ان ذكرنى فى نفســه ذكرته فى نفسي ، الحديث فلهذا رجحت الطائفة ذكر لفظة الله وحدهــا من غير تقييد فما قصـــدوا لفظة دول استحضار ما يستحقه المسمى ، وبهــذا المعنى يكون ذكر الحق عبده باسم عام لجميع الفضـــائل اللائقة به ، التى تكون فى مقابلة ذكر العبد لربه بالاسم الله • فالذكر من العبد باستحضار ، والذكر من الحق بحضور لأنا مشهودون له معلومون • وهو لنا معلوم لا مشهود • فلهذا كان لنا الاستحضار وله الحضور • فالعلماء يستحضرونه فى القوة الذاكرة ، والعامة تستحضره فى القوة المتخيلة • ومن عبــاد الله العلمــاء بالله من يستحضره فى القوتين يستحضره فى القوة الذاكرة عقلا وشرعا ، وفى القوة المتخيلة شرعا وكشفا ، وهذا أتم الذكر فانه فى ذكره لأنه ذكــره بكله • ومن ذلك الباب يكون ذكر الله له ثم ان الله ما وصفه بالكثير شيئا الا الذكر وما أمر بالكثرة من شيء الا من الذكر • وقــال : الذاكرين الله كثيراً والذاكرات • وقال : أذكروا الله ذكراً كثيراً • وما أتى الذكر قط الا بالاسم الله خاصـــة معرى عن التقييد ، وقــال أذكروا الله فى أيام معدودات • ولم يقل بكذا ، وقال أذكروا اسم الله عليها ولم يقل بكذا وقال : فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولم يقل بكذا وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله • فما قيدوه بأمر زائد على هذا اللفظ لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا • وكل دار يكونون فيها • فاذا لم يبق فى الدنيا منهم للدنيا سبب حافظ • يحفظها الله من أجله فتزول وتخرب وكم من قائل الله باق فى ذلك الوقت • ولكن ما هو ذاكر بالاستحضار الذى ذكرناه فلهذا لم يعتبر اللفظ دون الاستحضار • (واذا ذكرت

ربك فى القرآن وحـــده ولو على أدبارهم نفورا) لأنهم لم يسمعوا بذكر شركائهم واشمأزت قلوبهم ، هــذا مع علمهم بأنهم هم الذين وضعوها آلهة ولهذا قــال : (قل سموهم) فانهم ان سموهم قامت الحجة عليهم فلا يسمى الله الا الله • ودرجــات الذكر عند العارفين من أهل الله احدى وخمسون وتسعمائة درجة • وعند الملامية مائة وعشرون درجة •

ذكــر الاســم الشريف المفــرد
اللــــــه

وأما ذكر الاسم الشريف المفرد (الله) بالقصر يعنى من غير مد • وكذا جميـــع أسماء الله تعــالى الحسنى فهو جــائز • وقد ألف فيه العلامة السكندرى رسالته المشهورة بالقول المسموع فى بيان ان ذكر الاسم المفــرد بالقصر من الذكر المشروع • وقد قــال العلامة قوله المشهور :

الله قل وذر الوجود وما حــوى ان كنت مرتاداً بلــوغ كمــال
فالكل دون اللــه ان حققتـــه عــدم على التفصيل والاجمال

واذا جاز القصر فى الاسم المفرد الذى هو جامع لجميع أسماء الله الحسنى ، أفلا يكون فى غيره من باب أولى ؟•

ومعنى كونه جامعا انك اذا قلت الملك ، فلا يسعك الا أن تقول : (الله) ، واذا قلت الصبور فلا يسعك الا أن تقول : (الله) • وهكذا فى جميع الأسماء الحسنى • وكذا أيضــا جميع أسمائه تعالى التى غير الأسماء الحسنى التوقيفية ، فمرجعها أيضا اليه سبحانه وتعالى

---

(١) من كتاب الفتوحات المكية للشيخ الامام العامل الراسخ الكامل خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محيى الحق والدين ابى عبد الله محمد بن على المعروف بابن عربى الحاتمى الطائى قدس الله روحه ونور ضريحه آمين .
الجزء الثانى ـــ طبع مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر ـــ صفحة (٢٢٨)
* الجــلاد *

كالحنان ، فلا يسعك الا أن تقول : (الله) والمنان كذلك • وقد جمع المرحوم الشيخ عبد الرحمن عليش من القرآن الكريم مائة وسبعين اسماً لله تعالى من غير الأسماء الحسنى فى رسالته وهى مطبوعة الآن • وقال بعض الأفاضل معنى كونه ، جامعا لجميع ، ان الحرف الواحد منه يدل عليه تعالى كالألف من الاسم الشريف تنطق به (آ) وهى لغة كل طفل عند ارادة النطق ولغة المريض وهى الأنين فى المرض فيكون التجاؤه اليه تعالى من غير ادراك ومعناها (آ إله مع الله) أو (آلله أذن لكم أم على الله تفترون) وكذا آخر حرف من الاسم الشريف كالهاء [1] هو الله الذى لا إله إلا هو • وكذا اذا ضممت حرفين من الاسم الشريف كالألف والهاء (آ) وهو ذكر المستغرق وهو فضلا عما قدمنا من لفظ الحنين والمريض ، كما قال :

آه وآه ثم آهـا آهـا قد أبدع الأجناس ثم براها

وكذا لو ضممت اللام الى الهاء لصار (له) ما فى السماوات وما فى الارض • وأما ذكره بالقصر بل بسكون الهاء (الله) فهو من أجل الذكر كما عرف عن الاماثل الأوائل ، ولم تعرف عنه فى النطق إلا الألف المدغمة فى الهاء وهى حالة المستغرق • وهو آه لغة فى (الله) كما فى قول أبى طالب : لهم ان المرء لغة فى اللهم • وأما الضالون الذين يجهلون هذا ويذيع من معهم فى الاذاعة ويقول هؤلاء لا يعنى الذاكرين يغيرون فى أسماء الله تعالى يقول : (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) وهو يجهل معنى الآية • اذ معناها لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه • كقولهم : ما نعرف الا رحمن اليمامة • أو ذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الأصنام • أو اشتقاق فى أسمائها منها كالات (كاللات من الله والعزى من العزيز ومناه من المنان • هذا ما عليه اجماع المفسرين يا أيها الغر الأخرق • أهؤلاء يلحدون فى أسماء الله تعالى يا أيها الأحمق • وأما الله تعالى فهو علم على الذات الأقدس الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأصله الاله وهو يطلق على كل إله ثم غلب على المعبود بالحق الواجب الوجود

واشتقاقه من إله آلهه ألوهية بمعنى عبده ومنه تأله واستأله وقيل : من أله اذا تحير لأن العقول تتحير فى معرفته • وقيل أصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها • اذا احتجب وارتفع لأنه سبحانه وتعالى محجوب عن ادراك الأبصار ومرتفع على كل شيء سبحانه •

في ذكر ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف بالمزيد

أعلم أن الورد اسم لوقت من ليل أو نهار يرد على العبد مكررا فيقطعه فى قربة الى الله • ويورد فيه محبوبا يرد عليه فى الآخرة • والقربة اسم لأحد معنيين : أمر فرض عليه أو فضل ندب اليه • فاذا فعل ذلك فى وقت من ليل أو نهار وداوم عليه فهو ورد قدمه يرد عليه غدا اذا قدم • وأيسر الأوراد صلاة أربع ركعات ، أو قراءة سورة من المثانى ، أو سعى فى معاونة على بر أو تقوى •

قال أنس بن سيرين : كان لمحمد بن سيرين فى كل ليلة سبعة أوراد ، فكان اذا فاته شيء قضاه بالنهار فسمى العمل الموظف المؤقت وردا •

وقال المعتمد بن سليمان : ذهبت ألقن أبى عند الموت فأومأ الى بيده دعنى فانى فى وردى الرابع فسمى الحزب من أحزاب القرآن لوقت ما وردا فمن العمال من كان يجعل الأوراد من أجزاء القرآن ، ومنهم من كان يجعله من أعداد الركوع ، وفوق هؤلاء من العلماء كانوا يجعلون من أوقات الليل والنهار ، فان قطع الوقت بأية أو ركعة أو فكرة أو شهادة فذاك ورده •

وأما العارفون فانهم لم يؤقتوا الأوراد ولم يقسموا الأوقات بل جعلوا الورد واحدا بمولاهم ، وجعلوا حاجاتهم من الدنيا ضرورتهم ، وصيروا الوقت متساويا لسيدهم ، وتعريفهم لمصالحهم ، يدخل عليهم فوضعوا رقابهم فى رق العبودية ، وصفوا أقوامهم فى مصاف

(من كتاب فيض الوهاب ــ الجزء الخامس صفحة ٢٨)

الخدمة ، فكانوا فى كل وقت بحكم ما يستعملون ، وبوصف ما به قوامهم ، ذلك وردهم ، وتلك علامتهم ، عن حسن اختيار الله عز وجل لهم • وجميل تولية اياهم ، لا يكلهم الى نفوسهم ولا يوليهم بعضهم « هو يتولى الصالحين » مشاهدتهم ذكرهم ، وقرب الحبيب حبهم ، ليس يشهدون فضيلة فى غير محبوبهم ، ولا يرجون قربة بغير معروفهم ، به يتقربون اليه ، واليه به يسبحون له ، وعليه يتوكلون له ، ومنه يخافون عنه ، واياه يحبون منه ، لو أسقطوا الأعمال كلها غير ما تعلق بالتوحيد ثبوته ما نقص من توحيدهم ذرة • ولو تركوا أوراد المريدين كلهم ما آثر فى قلوبهم بقسوة ولا فترة • لأنهم لا يزيدون بالأعمال فيقضون بها ، ولا يتفقدون قلوبهم وأحوالهم بالأوراد فيعرفون النقصان والمزيد منها ، ولا تجتمع قلوبهم بسبب ، ولا تتقوى نفوسهم بطلب ، فتتشتت لفقد سبب ويضعف يقينهم لطلب هذه المعانى هى أحوال المريدين • وجملة تغييرهم فى شيئين ضيقهم بالخالق فهربوا منه ، واتساعهم عليه فاستراحوا اليه ، ولو دام قربهم منه لدامت راحتهم به ، ولو وقفت شهادتهم عليه لما نظروا الى سواه •

وأما العارفون فقد فرغ لهم من قلوبهم ، واجتمعت المتفرقات بمجامعها لهم ، واقامهم القائم لهم بشهادتهم له ، فلهم بكل شيء مزيد ، ومن كل شيء توحيد ، كل خاطر بهم يردهم اليه ، وكل منظور اليه يدلهم عليه ، وكل نظرة وحركة طريق لهم اليه ، فتوحيدهم فى مزيد ، ويقينهم فى تجديد بغير تغيير ولا تعرب ولا ايقاف ولا تحديد • ولربما طلب أحدهم التسبب بالسباب فيجمعه بها رب الأرباب • لأنه مراد بالاجتماع وانما استروح بالشتات لاستجمام ما هو فى قلبه ، آتى ثقة منه بحبيبه ، وتمكنا عند حبيبه • اذ قد علم طالب فطرح نفسه ليحمله فحمله بما تولاه ، ولم يكله الى نفسه وهواه ، فهذه مقامات لأهلها لا يعرفها سواهم ، ولا تصلح الا لهم ، ولا تليق الا بهم ، ولا يقاس عليها ، ولا يدعى مكانها ، ولا تنتظر

فنترك لها الأوراد ، ولا نتوقع فيقصر لأجلها من الاجتهاد • والمرادون بها محمولون بها مواجهــون بعلمها ، مسلوك بهم طريقها ، مزودون زادها وهى محبوسة عنهم ، مقصورة لهم ، فهم لها سابقون • فأولياء الله عابدوه ، وقد عكفوا بقلوبهم لمن عبــدوه ، ونظروا الى معبودهم الذى عكفوا عليه ، ففهموا عنه فصل الخطاب ، بما آتاهم من شهادة حكمة حكم الكتــاب • اذ يقــول (وانظــر الى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا) بعد قوله للغافلين فصيرهم معرضــا (نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) مع قوله : (ان امشــوا واصبروا على الهتكم ان هــذا لشيء يراد) الى قــوله : (فاصبر لحــكم ربك فانك بأعيننــا) فعلمــوا أن الاخــلاص الذى أمروا به هو العبــادة ولا عبادة الا بمجانبة الهوى وبعدها الانابــة الى المولى • أمــا سمعت قوله عز وجــل (واللذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى) وأيقنوا أن الصلاة عماد الدين ، ولا صلاة الا للمتقين ، ولا تقوى الا بانابة ، كما قال الله تعالى (منيبين اليه واتقوه) ثم قال : (وأقيموا الصــلاة ولا تكونوا من المشركين) • فهذه عبادة العارفين على سنة النبيين ، فأنابتهم مشاهدتهم لمذكورهم كقوله فى وصف ضدهم (كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى) فهم عن كشف من ذكــره اذ كانت بضد وصفهم وحقيقة ذكرهم نسيانهم لسوى مذكورهم بمعنى قوله : (واذكر ربك اذا نسيت) فأخرجهم الــذكر له الى الفرار اليه كمــا فهموا عنه اذ يقول : (لعلكم تذكــرون ، ففروا الى الله) فلمــا هربوا اليه آواهم بقربه ووهب لهم هــداية الى حبه ونشر لهم من رحمته وطواهم فى قبضته فلم يرهم الا هم ولم يعرفهم سواهم وقد قال تعــالى : (واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) وقال تعالى : (انى ذاهب الى ربى سيهدينى) [1] •

---

(١) من كتاب قوت القلوب فى معاملة المحبوب للشيخ أبى طالب محمد بن على ابن عطيــة الحــارثى المكى • الجــزء الأول طبعــه مصطفى البابى الحلبى صفحــة ــ ١٦٨ •

ذكر الأوراد وما يرجى بها من الازدياد

ولكن بمواصلة الأوراد المرسومة والأعمال المؤقتة المعلومة ، يستبين للمريد النقصان من المزيد ، ويعرف قوة العزم والتشمر ، من وهن العادة والفترة •

وفي الأوراد ايضا فضيلة ، وهو أن العامل اذ انشغل عنها بمرض أو سفر كتب له الملك مثل ثواب ما كان يعمل فى الصحة ، وقد يكون نوم العارف أفضل من صلاة الجاهل ، لأن هذا النائم سالم ، وهو ذلك الزاهد العالم اذا استيقظ وجد وهذا الصائم القائم لا يؤمن عليه من الآفات وتطرقه الأعداد فى العبادات • وهو ذلك الجاهل المغتر اذا وجد فقد ، وقد روينا فى الخبر « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح » وفى الحديث « عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » وروينا فى خبر مقطوع « لو وقعت هذه على هذه يعنى السماء على الأرض ما ترك العالم علمه لشيء ولا فتحت الدنيا على عابد ترك عبادة ربه » ولأن العالم قد يكاشف فى نومه بالآيات والعبر ويكشف له الملكوت الأعلى والأسفل ، ويخاطب بالعلوم ويشاهد القدرة من فيض ما تشهده الأنبياء فى يقظتهم فيكون نوم العارف يقظة لأن قلبه حياة ويكون يقظة الجاهل نوما لأن قلبه موات فيعدل نوم العالم يقظة الجاهل وتقرب يقظة الجاهل الغافل من نوم العالم — كيف وقد جاء فى خبر ابن موسى « أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نظر الى أحد فقال (هذا جبل أحد ولا يعلم خلق ما وزنه وان من أمتى من تكون التسبيحة منه والتهليلة أوزن عند الله عز وجل منه) » •

وفي حديث ابن مسعود اذ قال لعمر : « ما أنكرت أن يكون عمل عبد في يوم واحد أثقل ممن في السماوات والأرض ، ثم وصف ذلك بأنه هو العاقل عند الله عز وجل الموقن العالم به • »

وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن صـــلاة رسول الله تعالى عليه وسلم فى رمضان فقالت : « ما كان يخص رمضـــان بشيء دون غيره ولا كان يزيد فى رمضان على سائر السنة شيئا » •

وقال أنس ابن مالك : « ما كنت تريد أن ترى رســـول الله صلى الله عليه وسلم نائما من الليل الا رأيتـــه ولا تريد أن تراه قائما الا رأيته » • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام ثم يقوم قدر ما نام ثم ينام قدر ما قام ثم يقوم قدر ما نام ، ثم ينام ثم يخرج الى الصلاة » • وقالت عائشـــة رضي الله عنها : « ما صـــام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا قط الا رمضـــان ، ولا قام ليلة الى الصبح حتى ينام منها ، قالت وكان يصوم من الشهر ويفطر ويقوم من الليل وينام » •

وفي الخبر الآخر ، كان يصوم حتى تقول لا يفطر ، ويفطر حتى تقول لا يصوم • وكان يصبح صائمـــا ثم يفطر ، ويصبح مفطرا ثم يصوم • وفي الخبر الآخر ، كان يدخل من الضحى فيقول : هل عندكم من شيء ؟ فان قدم اليه شيء أكل والا قال انى صائم •

وخرج يوما فقال « انى صائم » ثم دخل فقلنا يا رســـول الله أهدى لنا عيش • فقال « أما انى كنت أردت الصوم ولكن قربيه » وكان ورده صلى الله عليه وسلم حكم ما ورد عليه ففى هذا المعدن يكون تصريف العارفين ، ومن هذا المعنى تكون مشاهدة الموقنين • ليسوا مع الله بايراد توقيت ولا بقطع على تحديد كما قيل لبعضهم : بأى شيء عرفت الله عز وجل ؟ فقـــال « بفســـخ العـــزائم وحل العقد » • ولكن الاوراد طريق العمال والوظائف أحوال العباد ، منها دخلوا وفيها يرفعـــون الى أن يشهدوا الواحـــد فتكون الاوراد كلها وردا واحدا ، ويكونون بشهاداتهم قائمين •

قال بعض العلماء من السلف « الايمـــان ثلاثمائة خلق وثلاثة عشر ، على اعداد الأنبياء والمرسلين ، كل مؤمن على خلق منها هو طريقه الى الله عز وجل ، ووجهته من الله عز وجل ونصيبه ، وفي

لكل طريقة من المؤمنين طبقه ، وبعضهم أعلى مقاما من بعض .

وقال عالم آخر « الطـرق الى الله عز وجل بعدد المؤمنين » وقال بعض العارفين الطرق الى الله بعدد الخليقة ، يعنى أن للشهيد بكل خلق طريقا ، فقد صارت المكونات للمكون طريقه .

وروينا في الخبر « الايمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون طريقة ، من لقى الله عز وجل بالشـــهادة على طريقة منها دخل الجنـــة » ومن هـــذا قوله عز وجـــل (قل كل يعمـــل على شـــاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) فدل أنهم كلهم يهتدون ، وبعضهم أهدى من بعض بمعنى أنه أقرب الى الله عز وجل وأفضل ، وقد ندب الى القرب في الأمر بطلبه ، وأخبر عن المقربين بالمنافســـة فى طلب القرب فقـــال : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) يعنى القرب . وقال تعالى فيمـــا أخبر (أولئك الذين يدعـــون يبتغون الى ربهـــم الوسيلة أيهم أقرب) فأقرب الخلق من الله عز وجل وأعلاهم عند الله أعرفهم به وأفضلهم لديه .

وروينا في التفسير (قل كل يعمل على شاكلته) قال على وحدانيته يعنى بذلك على توحيده الذى يوحـــد الله عز وجل به ويعرفه منه ، والشاكلة ، الطريقة ، والخلق شاكله ، وقد شكل فيه ، ومن ذلك قول على رضي الله عنه : لكل مؤمن سيد من عمله ، فهذا السيد من العمل الذى يرجو به المؤمن النجاة ، ويفضل به عند مولاه .

وقال بعض العلمـــاء : كان عباد الكوفة أربعـــة : أحدهم صاحب ليل ، ولم يكن صاحب نهار ، والآخـــر صاحب نهار ولم يكن صاحب ليل ، وبعضهم صاحب سر ولم يكن صاحب علانية ، والآخر صاحب علانية ولم يكن صاحب سر ، وقد كان بعضهم يفضل عبادة النهار على عبادة الليل ، لما فيها من مجاهدة النفس وكف الجوارح ، ولأن النهار مكان حركة الغافلين وموضع ظهور الجـــاهلين ، فاذا سكن العبد عند حركة وموضع ظهور الجاهلين كان هو التقى المجاهد والفاضل العابد .

وقد قيل أن العبادة ليست الصوم والصـــلاة فحسب ، بل أفضل

العبادة آداء الفرائض واجتناب المحارم ، وتقوى الله عز وجل عند اكتساب الدراهم ، وهذا من أعمال النهار • وقد قال الله عز وجل : (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) أى ما كسبت جوارحكم فعلق الاجتراح بالنهار (ثم يبعثكم فيه) فاذا لم يعلم من عبد اجتراحا بالنهار ولم يبعثه فيه فى مخالفة فمن أفضل منه ؟•

وكان الحسن يقول : « أشد الأعمال قيام الليل بالمداومة على ذلك ، ومداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين ، وطرائق العابدين ، وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان •

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : كان عمله ديمه ، وكان اذا عمل عملا اتقنه ، وهذا كان سبب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من صلاته بعد صلاة العصر ركعتين انه كان مرة ترك ركعتى النافلة بعد الظهر ، شغله الوفد عن ذلك فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر كلما دخل منزله ، روت ذلك عنه عائشة وأم سلمة ، ولم يكن يصليهما فى المسجد لئلا يستن الناس به •

وفي الخبر المشهور : « أكلفوا من الأعمال ما تطيقون » فان الله عز وجل لا يمل حتى تملوا • وفى الحديث الآخر : « أحب الأعمال الى الله عز وجل ما ديم عليه وان قل » •

وقد روينا فى خبر « من عودة الله عز وجل عباده فتركها ملالة مقته الله تعالى » • وفى خبر عن عائشة رضي الله عنها وقد أسنده بعض الرواة من طريق « كل يوم لا ازدادا فيه علما فلا بورك لى في صباح ذلك اليوم • »

وقد جاء فى الخبر كلام تارة يروى عن الحسن ابن على وتارة يروى عن الحسن البصرى ومرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع يقول : « من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ، ومن لم يكن فى زيد فهو فى النقصان » •

وفي لفظ آخر : من لم يتفقد النقصان من نفسه فهو في نقصان ،

ومن كان فى نقصـــان ، فالموت خير له • ولعمرى أن المؤمن مشكور والشاكر على مزيد [1] •

أعمـــال الفكر في فضل الذكر

مسألة — في الذكر والتسبيح والدعاء ، هل هو معـــادل للصدقة ويقوم مقامها في دفع البلاء ؟•

الجواب — الأحاديث والآثار صريحة فى ذلك ، وفي تفضيله على الصدقة ، واما كونه سببا لدفع البـــلاء فهو أمر لا مِرْية فيه ، فقد وردت أحايث لا تحصى في اذكار مخصوصة من قالها عُصم من البلاء ومن الشـــيطان ومن الضر ومن الســـم ومن لدغـــة العقرب ومن أن يصيبه شيء يكرهه ، وكتـــاب الاذكار للشـــيخ محى الدين النووى مشحون بذلك ، وكذا كتاب الدعـــاء للطبرانى وللبيهقى ، فلام عنى للاطالة بذلك ، وقد صح فى « لا حول ولا قوة الا بالله » انها تدفـــع سبعين بابا من الضر أدناها الفقر ، وفى رواية (أدناها الهم) •

وأخرج الحاكم — وصححه — عن ثوبان مرفوعا (لا يرد القدر الا الدعاء) • وأخرج الحاكم أيضا من حديث عائشة مرفوعا (الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وان البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة) وأخرج مثله من حديث ابن عمر •

وأخـــرج أبو داود وغيره عـــن ابن عبـــاس مرفوعـــا (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجـــا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب) •

وأخرج ابن أبى شيبة عن سويد بن جميـــل قال — من قال بعد العصر لا إله إلا الله الحمـــد لله وهو على كل شيء قـــدير قاتلن عن قائلهن الى مثلها من الغد •

---

(١) من كتاب قوت القلوب فى معاملة المحبوب وصف طريق المريد الى مقـــام التوحيد تأليف الشـــيخ أبى طالب محمد بن على بن عطية الحارثى المكى — الجزء الاول صفحة ١٧٠ — طبعه مصطفى البابى الحلبى .

وأخرج اسحق بن راهوية فى مسنده من طريق الزهرى قال — أتى أبو بكر الصديق بغراب وافر الجناحين ، فقال — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — ما صيد صيد ولا عضـــدت عضاه ولا قطعت وشيجة الا بقلة التسبيح ، وأخرجه أبو الشيخ فى كتاب العظمة من طريق بن عون بن مهران عن أبى بكر موقوفا ، وأخرج أبو نعيم فى الحليـــة مثله فى حـــديث أبى هريرة ، وأبى شـــيخ فى العظمة نحوه من حديث أبى الدرداء مرفوعا « ما أخذ طائر ولا حوت الا بتضييع التسبيح » ومن حـــديث أنس مرفوعـــا « آجال البهائم كلها وخشاش الأرض فى التسبيح ، فاذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها » ومن حديث يزيد بن مرشد مرفوعا « لا يصـــاد شيء من الطير والحيتان الا بما يضيع من تسبيح الله » •

أما تفضيل الذكـــر على الصـــدقة ففيه أحـــاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة • فمن الموقوفة ما أخرجه الحاكم والترمذى عن أبى الدرداء مرفوعا « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاهـــا عند مليككم وأرفعها في درجـــاتكم وخير لكم من اعطـــاء الذهب والورق وأن تلقـــوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال — ذكر الله —

وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سئل أى العبـــاد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال الذاكرون الله كثيرا قلت يا رسول الله من الغازى فى سبيل الله ؟ قال لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب وما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة •

وأخرج الحاكم عن البراء مرفوعـــا من قال لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمـــد ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات فهو كعتق نسمة •

وأخرج البيهقى فى شعب الايمـــان من طريق أنس مرفوعا (لأن أقعد مع قوم يذكـــرون الله منذ صـــلاة الغـــداة حتى تطلع الشمس

أحب الي من أن أعتق أربعة من ولد اسماعيل) ففي هذين عدل الذكر بالعتق وتفضيله عليه •

ومن الموقوفات — أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسعود قال — لأن أسبح تسبيحات أحب الي من أن أنفق بعددهن دنانير في سبيل الله —

وأخرج عنه قال — لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر أحب الي من أن أتصدق بعددها دنانير) •

وأخرج عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : (لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله الا الله ، والله أكبر أحب الي من أن أحمل على عدتها من خيل بأرسانها) •

وأخرج عن ابن عمر قال : (ذكر الله الغداة والعشي أعظم من حطم السيوف في سبيل الله واعطاء المال سحا) •

وأخرج عن أبي الدرداء قال : (لأن أسبح مائة تسبيحة أحب الي من أن أتصدق بمائة دينار على المساكين) •

وأخرج عن معاذ بن جبل قال : (لو أن رجلين أحدهما يحمل على الجياد في سبيل الله والآخر يذكر الله ، لكان الذاكر أعظم وأفضل أجرا) •

وأخرج عنه قال (لأن أذكر الله من غدوة حتى تطلع الشمس أحب الي من (أن) أحمل على الجياد في سبيل الله) •

وأخرج عن عبادة بن الصامت مثله •

وأخرج عن سلمان الفارسي قال : لو بات رجل يعطي القيان البيض ، وبات آخر يقرأ القرآن أو يذكر الله ، لرأيت أن ذاكر الله أفضل) •

وأخرج عن ابن عمرو قال : (لو أن رجلين أقبل أحدهما من المشرق والآخر من المغرب مع أحدهما ذهب لا يضع منه شيئا الا في حق والآخر يذكر الله حتى يلتقيا في طريق كان الذي يذكر الله أفضلهما) •

فهؤلاء سبع صحابة صرحوا بتفضيل الذكر على الصدقة •

ومن أقــوال غير الصحابة ــ أخــرج ابن أبى شــيبة عن أبى الأحوص قال ــ (لتسبيحة فى طلب حاجة خير من لقوح صفى فى عام أزبة أو لزبة أى شدة وجدب ومحل) •

وأخرج عن أبى برده قــال : (لو ان رجلين أحدهمــا في حجرة دنانير يعطيها والآخر يذكر الله كان ذاكر الله أفضل) •

والاثار فى هذا المعنى كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية •

ومما استدل به على تفضيل الذكــر على سائر العبــادات انه لم يرخص فى تركه فى حال من الأحــوال ، أخرج ابن جرير في تفسيره عن قتادة قال : أفترض الله ذكره عند أشغل ما تكونوا ، عند الضراب بالسيوف • فقــال : (يــا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئــة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) والله أعلم •

نتيجة الفكر ، في الجهر في الذكر

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، سألت ــ أكرمك الله ــ عما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر ، والجهر به في المساجد ، ورفع الصوت بالتهليل وهل ذلك مكروه أم لا ؟

الجواب ــ انه لا كراهة فى شيء من ذلك وقد وردت أحاديث تقتضى اســتحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضى اســتحباب الأسرار به والجمــع بينهمــا أن ذلك يختلف باختــلاف الأحوال والاشــخاص كما جمع النووى بمثــل ذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن (والأحاديث) الواردة باستحباب الأسرار بها وها أنا أبين ذلك فصلا فصلا •

ذكر الأحــاديث الدالة على استحباب الجهــر بالذكر تصريحا أو التزاما •

الحديث الاول ــ أخرج البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ــ (يقــول الله ــ أنا عند ظن عبدى بى ؛ وأنا معــه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفســه ذكرته فى نفسي ، وان ذكرنى فى ملأ ذكــرته فى ملأ خير منه) والذكر فى المــلأ لا يكون الا عن جهر •

الحديث الثانى ــ أخرج البزار والحــاكم في المستدرك وصححه عن جابر قال : خرج علينا النبى صلى الله عليه وسلم فقال ــ (يــا أيها الناس ، ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض ، فارتعوا في رياض الجنــة ، قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر ، فأغدوا وروحوا فى ذكر الله) •

الحديث الثالث ــ أخرج مسلم والحاكم ــ واللفظ له ــ عن أبى هريرة قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام ــ (ان لله ملائكة سيارة وفضلاء يلتمسون مجالس الذكر في الأرض ، فــاذا أتوا على مجلس ذكر حف بعضهم بعضا بأجنحتهم الى السماء ، فيقول الله : من أين جئتم ؟ فيقــولون : جئنــا من عند عبــادك يســبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويهللونك ويسألونك ويستجيرونك ، فيقول : ما يسألون ؟ وهو أعلم ، فيقــولون : يســألونك الجنة ، فيقــول : وهل رأوها ؟ فيقــولون : لا يارب ، فيقــول فكيف لو رأوهــــا ؟ ثم يقــول ومم يستجيرونى ؟ وهو أعلم بهم ، فيقولون : من النــار ، فيقول : وهل رأوهــا ؟ فيقولون : لا ، فيقــول : فكيف لو رأوهــــا ؟ ثم يقــول : اشهدوا أنى قــد غفرت لهم ، وأعطيتهم مــا سألونى ، وأجرتهم مما استجارونى ، فيقولون : ربنا ان فيهم عبدا خطاء جلس اليهم وليس منهم ، فيقول : وهو أيضا ، قد غفرت له ، هم القوم لا يشــقى بهم جليسهم) •

الحديث الرابع ــ أخــرج مسلم والترمذى عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضي الله تعــالى عنهما قالا : قال النبى عليه الصلاة والسلام : (ما من قوم يذكرون الله الا حفتهــم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) •

الحديث الخامس ـ أخرج مسلم والترمذى عن معاوية (أن النبى عليه الصلاة والسلام خرج على حلقة من أصحابه ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده ، فقال : انه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة) .

الحديث السادس ـ أخرج الحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الايمان عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ (أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون) .

الحديث السابع ـ أخرج البيهقى فى شعب الايمان عن أبى الجوزاء رضي الله عنه ، قال النبى عليه الصلاة والسلام ـ (أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون أنكم مراءون) مرسل .

ووجه الدلالة من هذا والذى قبله أن هذا انما يقال عند الجهر دون الأسرار .

الحديث الثامن ـ أخرج البيهقى عن أنس قال ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ (اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال ـ حلق الذكر) .

الحديث التاسع ـ أخرج بقى بن مخلد عن عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم (مر بمجلسين أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون اليه ، والآخر يعلمون العلم ، فقال ـ كلا المجلسين خير ، وأحدهما أفضل من الآخر) .

الحديث العاشر ـ أخرج البيهقى عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله الا ناداهم مناد من السماء ـ قوموا مغفورا لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات) .

الحديث الحادى عشر ـ أخرج البيهقى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الرب تعالى يوم القيامة سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم ، فقيل ـ ومن أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال : مجالس الذكر فى المساجد .

الحديث الثانى عشر ــ أخرج البيهقى عن ابن مسعود قال ــ ان الجبل لينادى الجبل باسمه ــ يا فلان هل مر بك اليوم لله ذاكر ؟ فان قال نعم استبشر ، ثم قرأ عبد الله (لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه) الآية ، وقال ــ أيسمعون الزور ولا يسمعون الخير •

الحديث الثالث عشر ــ أخرج ابن جرير فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله ــ (فما بكت عليهم السماء والارض) قال ــ أن المؤمن اذا مات بكى عليه من الارض الموضع الذى كان يصلى فيه ويذكر الله فيه •

وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى عبيد قال ــ ان المؤمن اذا مات نادت بقاع الارض ــ عبد الله المؤمن مات ، فتبكى الارض والسماء فيقول الرحمن ــ ما يبكيكما على عبدى ؟ فيقولون ــ ربنا لم يمش فى ناحية منا قط الا وهو يذكرك •

وجه الدلالة من ذلك أن سماع الجبال والارض للذكر لا يكون الا عن الجهر به •

الحديث الرابع عشر ــ أخرج البزار والبيهقى بسند صحيح عن ابن عباس قال ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ (قال الله تعالى ــ عبدى اذا ذكرتنى خاليا ذكرتك خاليا ، وان ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منه وأكثر) •

الحديث الخامس عشر ــ أخرج البيهقى عن زيد بن أسلم قال ــ ابن الأدرع (انطلقت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة ، فمر برجل فى المسجد يرفع صوته ، قلت ــ يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائيا ؟ قال ــ لا ، ولكنه أواه) •

وأخرج البيهقى عن عقبة بن عامر (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذو البجادين ــ انه أواه ، وذلك انه كان يذكر الله) •

وأخرج البيهقى عن جابر بن عبد الله أن رجلا كان يرفع صوته

بالذكر فقال رجل — لو أن هذا خفض من صوته ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام — (دعه فانه أواه) .

الحديث السادس عشر — أخرج الحاكم عن شداد بن أوس قال (انا لعند النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال — ارفعوا أيديكم فقولوا لا اله الا الله ، ففعلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — اللهم انك بعثتنى بهذه الكلمة ، وأمرتنى بها ، ووعدتنى عليها الجنة ، انك لا تخلف الميعاد ، ثم قال — ابشروا ، فأن الله قد غفر لكم) .

الحديث السابع عشر — أخرج البزار عن أنس عن النبى عليه الصلاة والسلام قال — (ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فاذا أتوا عليهم حفوا بهم ، فيقول الله تعالى — غشوهم برحمتى فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم) .

الحديث الثامن عشر — أخرج الطبرانى وابن جرير عن عبد الرحمن بن سهل ابن حنيف قال — نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بعض أبياته (وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) الآية ، فخرج يلتمسهم ، فوجد قوما يذكرون الله تعالى منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد ، فلما رآهم جلس معهم وقال — الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معهم) .

الحديث التاسع عشر — أخرج الامام أحمد فى الزهد عن ثابت قال — (كان سلمان فى عصابة يذكرون الله ، فمر النبى عليه الصلاة والسلام فكفوا ، فقال — ما كنتم تقولون ؟ قلنا — نذكر الله الله ، قال انى رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها ، ثم قال — الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم) .

الحديث العشرون — أخرج الاصبهانى فى الترغيب عن أبى رزين العقيلى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له — الا أدلك على ملاك الأمر الذى تصيب به خيرى الدنيا والآخرة ؟ قال — بلى قال — عليك بمجالس الذكر ، واذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله .)

الحديث الحادى والعشرون ـ أخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى والاصبهانى عن أنس قال ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة الصبح الى أن تطلع الشمس أحب الى مما طلعت عليه الشمس ، ولأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد العصر الى أن تغيب الشمس أحب الى من الدنيا وما فيها) .

الحديث الثانى والعشرون ـ أخرج الشيخان عن ابن عباس قال أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عباس ـ كنت أعلم اذا انصرفوا بذلك اذا سمعته) .

الحديث الثالث والعشرون ـ أخرج الحاكم عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ـ من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحى ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له ألف ألف درجة ؛ وبنى له بيتا فى الجنة ( ) وفى بعض طرقه (فنادى) .

الحديث الرابع والعشرون ـ أخرج أحمد وأبو داود والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه عن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ـ (جاءنى جبريل فقال ـ مر أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتكبير) .

الحديث الخامس والعشرون ـ أخرج المروزى فى كتاب العيدين عن مجاهد أن عبد الله بن عمر وأبا هريرة كانا يأتيان السوق أيام العشر فيكبران ، لا يأتيان السوق الا لذلك .

وأخرج أيضا عن عبيد بن عمير قال ـ كان عمر يكبر فى قبته ، فيكبر أهل المسجد ، فيكبر أهل السوق ، حتى ترتج منى تكبيرا .

وأخرج أيضا عن ميمون بن مهران قال ـ أدركت الناس وانهم ليكبرون فى العشر حتى كنت أشبهها بالأمواج من كثرتها .

فصل ـ اذا تأملت ما أوردنا من الاحاديث عرفت من مجموعها

انه لا كراهة البتة فى الجهر بالذكر ، بل فيه ما يدل على استحبابه ، أما صريحا أو التزاما كما أشرنا اليه •

وأما معارضته بحديث (خير الذكر الخفى) فهو نظير نعارضه أحاديث الجهر بالقرآن بحديث (المسر بالقــرآن كالمسر بالصدقة) وقد جمع النووى بينهما بأن الاخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام ، والجهر أفضل فى غير ذلك ، لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى الى السامعين . ولأنــه يوقظ قلب القــارىء ، ويجمع همه الى الفكر ، ويصرف سمعه اليه ، ويطرد النوم ، ويزيد فى النشاط •

وقال بعضهم ــ يستحب الجهر ببعض القراءة والاسرار ببعضها لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر ، والجاهــر قد يكل فيستريــح بالاسرار ، انتهى •

وكذلك نقول فى الذكر على هذا التفصيل ، وبه يحصل الجمــع بين الاحاديث • فان قلت ــ قال الله تعالى (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ، ودون الجهر من القول) •

قلت ــ الجواب عن هذه الآية من ثلاثة أوجه :

الاول : أنها مكية كآية الاسراء (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وقد نزلت حين كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله فأمر بترك الجهر سدا للذريعة ، كما نهى عن سب الاصنام لذلك فى قوله تعــالى ــ (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) وقد زال هذا المعنى وأشار الى ذلك ابن كثير فى تفسيره •

الثانى ــ أن جماعة من المفسرين ــ منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم شيخ مالك وابن جرير ــ حملوا الآية على الذاكر حال قراءة القرآن وأنه أمر له بالذكر على هذه الصفة تعظيما للقرآن أن ترفــع عنده الاصوات ، ويقويه اتصالها بقوله ــ (واذا قــرىء القــرآن فاستمعوا له وأنصتوا) •

قلت ــ وكأنه لما أمر بالانصات خشى من ذلك الاخلاد الى البطالة فنبه على أنه وان كان مأمورا بالسكون باللسان الا آن تكليف الذكر بالقلب باق حتى لا يغفل عن ذكر الله ، ولذا ختم الآية بقوله (ولا تكن من الغافلين) •

الثالث : ما ذكره الصوفية أن الامر فى الآية خاص بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم الكامل المكمل ، وأما غيره ممن هو محل الوساوس والخواطر الرديئة فمأمور بالجهر ، لأنه أشد تأثيرا فى دفعها •

قلت : ويؤيده من الحديث ما أخرجه البزار عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ (من صلى منكم بالليل فليجهر بقراءته ، فان الملائكة تصلى بصلاته وتسمع لقراءته ، وان مؤمنى الجن الذين يكونون فى الهواء وجيرانه معه فى مسكنه يصلون بصلاته ويستمعون قراءته وانه ينطرد بجهره بقراءته عن داره وعن الدور التى حوله فساق الجن ومردة الشياطين) •

فان قلت ــ فقد قال تعالى ــ (أدعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين (وقد فسر الاعتداء بالجهر فى الدعاء •

قلت : الجواب عنه من وجهين :

أحدهما : أن الراجح فى تفسيره أنه تجاوز المأمور به أو اختراع دعوة لا أصل لها فى الشرع ، ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه والحاكم فى مستدركه وصححه عن أبى نعامه رضى الله عنه أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول ــ اللهم انى أسألك القصر الابيض عن يمين الجنة ، فقال : ــ انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ــ سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء ، فهذا تفسير صحابى وهو أعلم بالمراد •

الثانى : على تقدير التسليم فالآية فى الدعاء لا فى الذكر ، والدعاء بخصوصه الافضل فيه الاسرار ، لأنه أقرب الى الاجابة ولذا قال تعالى : (اذ نادى ربه نداء خفيا) ومن ثم استحب الاسرار بالدعاء فى الصلاة اتفاقا ، لأنها دعاء •

فان قلت ــ فقد نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوما يهللون برفع الصوت فى المسجد ، فقال ــ ما أراكم الا مبتدعين ، حتى أخرجهم من المسجد •

قلت : هذا الأثر عن ابن مسعود يحتاج الى بيان سنده ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ فى كتبهم ؛ وعلى تقدير ثبوته فهو معارض بالاحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة وهى مقدمة عليه عند التعارض ، ثم رأيت ما يقتضى انكار ذلك عن ابن مسعود ، قال الامام أحمد بن حنبل فى كتا بالزهد حدثنا حسين بن محمد حدثنا المسعودى عن عامر بن شقيق عن أبى وائل قال ــ هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر ما جالست عبد الله مجلسا قط الا ذكر الله فيه • وأخرج أحمد فى الزهد عن ثابت البنانى قال : ان أهل ذكر الله ليجلسون الى ذكر الله ، وان عليهم من الاثام أمثال الجبال ، وانهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شىء •

(١) حلقة الذكر

أما حلقة الذكر فقد جاءت فى كتاب الله تعالى والسنة المطهرة • أما الكتا بالعزيز ففى قوله تعالى (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بطريق الجمع فى كل الآى كما يؤخذ من بيان حضرة من أسند الله تعالى الى حضرته البيان والتبيين من قوله الشريف « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله عز وجل يذكرون الله الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » وفى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « ان لله ملائكة يلتمسون أهل الذكر فاذا حلقة تداعوا اليها هلموا الى حاجتكم حتى يبلغوا العنان » الحديث تقدم بطول قريبا فراجعه غير أن هذه الرواية عند البخارى أيضا « فاذا وجدوا حلقة تداعوا اليها » ومن قوله الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم حين دخل مسجده فوجد حلقتين حلقة علم وحلقة

ذكر فجلس فى حلقة العلم وقال « انما بعثت معلما » وقدمنا قريبا الحديث القدسى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن رب العزة انه قال : (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى خير من ملئه) والمراد بالملأ الجماعة وهى لا تكون الا حلقة أو مستطيلة وهى هيئة الحلقة أيضا وغير ذلك كثير وفى هذا القدر كفاية خشية الاطالة فحلقة الذكر ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع فمن ينكر ذلك فهو بعيد عن هذا أى الكتاب والسنة والاجماع أو لا يعول على قوله فمن الآن المحيى للسنة سيد العالمين بحلقات الذكر هل التجار أو الصناع أو العلماء وهم أشغل من هذا وذاك وقد قلت مرارا من يعترض على الصوفية فهو جاهل الجهل المركب وكان الاليق به أن يعترض على امراء الآن وقضاة الآن وعلماء الآن والناس أجمعين الآن نسأل الله تعالى التوفيق .

(٢) الانشائية والمدائح

واما النشيد على الذكر فهو من باب تشجيع الذاكر على الذكر ليجمع همته ويطرب قلبه ويتعلق بالمذكور فتتحرك الروح فى الجسد فيه ليحصل له الوجل الى الله تعالى والخشية منه تبارك وتعالى . قال عزَّ من قائل (الذين اذا ذُكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم أياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله تعالى (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال) وفى قوله تعالى (وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) وكل ذلك فى معنى التحريض والتشجيع والحث على فعل ما أمر الله تعالى عباده به . واليك ما رواه البخارى وغيره فى السنة المطهرة : ان الاحابيس كانوا يلعبون بالدرك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة « تشتهين ؟ » فقالت نعم ، فقامت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت تنظر من على كتفه الشريف وهو يقول هيه دونكم

بنى أرفدة فصار يشجعهم حتى قال لها حسبك قالت نعم » وفى قوله صلى الله عليه وسلم لبنى اسماعيل « ارموا فان أباكم كان راميا » تشجيعا لهم وفى قوله فى حفر الخندق •

اللهم ان العيش عيش الآخرة　　فاغفر للانصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا　　على الاسلام ما بقينا أبدا

ويقول كان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل التراب فى يوم الأحزاب ويقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا　　ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا　　وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الالى قد بغوا علينا　　وان ارادوا فتنة أبينا

وفى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نجشه سائق الابل التى تحمل النساء وهو يحدوا عليها وهى تتحرك وتشتد فى سيرها لتحمسها بالنشيد ، فقال صلى الله عليه وسلم « رويدك • أنجشه بالقوادير » وهكذا كان النشيد مشجعا فى الجاهلية والاسلام حتى كان أكثره فى الحروب وفى الافراح وفى الاعياد فهو سنة قديمة وعادة مستقيمة لئلا تفتر الهمم وتضعف عما هى بصدده •

(٣) التمايل فى الذكر والمدائح

وأما تمايل الذاكر فى الذكر فهو حالة طبيعية وعادة فطرية ، فطر الله الناس عليها وذلك اذا ما رأى شعيرة من شعائر الله تعالى أو آية من آيات عظيم قدرته أو بديع صنعته فان الروح التى جعلها الله تعالى فى عباده من المؤمنين تحن وتهيج الى تلك العظمة الربانية فلا يسعها الا الاطراب والاهتزاز الخارج عن حالته العادية ، هذا فمن يشاهد أثار صفات الحق سبحانه وتعالى فكيف بمن ذكره سبحانه وردد اسمه تعالى على لسانه وقلبه كما وصفه تعالى (انما المؤمنين

الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم أياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون • أولئك هُمُ المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) •
روى سفيان عن السدى فى قوله عز وجل « الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » • قال : « اذا أراد أن يظلم مظلمة قيل له — اتق الله كف ووجل قلبه — أى خاف — والوجل هو الخوف ، ووصف الله المؤمنين فى هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكر الله تعالى لقوة ايمانهم ومراعاتهم لربهم ، وكأنهم بين يديه • ونظيره هذه الآية « وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » وقال تعالى « وتطمئن قلوبهم بذكر الله » فهذا يرجع الى كمال المعرفة وثقة القلب • والوجل الفزع من عذاب الله فلا تناقض وقد جمع الله تعالى بين العينين فى قوله « الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » أى تسكن نفوسهم من حيث اليقين الى الله وان كانوا يخافون الله • فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم • وروى الترمزى عن العرباض بن ساريه قال : « وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب » الحديث • وسأل رجل الحسن « أى البصرى فقال : يا أبا سعيد ، أمؤمن أنت ؟ فقال له : الايمان ايمانان ، فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحشر والحساب فأنا مؤمن به ، وان كنت تسألنى قوله تبارك وتعالى : (انما المؤمنين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم — الى قوله — أولئك هم المؤمنين حقا) فوالله ما أدرى أنا منهم أم لا ، وقال أبو بكر الواسطى : من قال : أنا مؤمن بالله حقا ، قيل له : الحقيقة تشير الى اشراف واطلاع واحاطة ، فمن فقدهم فقد دعواه فيها • وقد جاء فى مجمع الزوائد عن عبد الله بن عقبه : « كان

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمايلـــون فى الذكر كمـــا تمايل الريح الاشجار » •

فقد عرفت مما قدمنا أن الخوف والفزع يحصل للقلب عند وجود ما يحصل للشخص ما يكون سببا لذلك وأيضا عند حصول ما لم يألفه من قبل كما يحصل لكل انسان عند ذلـــك واذا حصل للقلب الخـــوف والفزع يحصل الاضطراب لجميع الجسم فيرتعد لـــذلك وتضطرب أعصابه وهذا فى كل بشر كما حصل لحضرته صلى الله تعالى عليـــه وسلم فى بدء الوحى من قوله الشريف للسيدة خديجة رضى الله تعالى عنها « دثرونى دثرونى » فأيضا عند فترة الوحى من قوله : اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين « زملونى زملونى رأيت الذى جاءنى بحراء سادا الأفق » فالوجـــل اذا حصل للقلب يحصـــل اضطراب لجميع الاعصاب ، لأن القلب للجسم عمود الرمى فبأقل حركة منه تحرك جميع الجسد فاذا عرفت ذلك فاعرف أنه لا يحركه الا أحد شيئين وهو الفزع أو السرور وحركة الفزع والخوف له حالة خاصة • وحركة السرور لها أحوال عند صاحب القلب وهى أشد من الاولى لما فى ذلك من فيض الفياض الكريم فيكون هذا عند صاحبه خير من الدنيا وما فيها ولقد شاهدنا العبد الصالح يقول والله لو ختم لى على الايمـــان لرفض قبل موته بأيام ، ان أيامه قربت للآخرة وجاء بعد أيام وهو جالس مع الناس قام وأخذ عصاه ووقف فى الشارع يرقص ويقول : ختم لى بالايمان ووصل منزله ومات رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين •

ومن الوجل الذى يحصل للقلب المغامرة الشديدة والاغلاق الفادح الذى لا يعرف صاحبه ما خرج منه من الكلام وهو الغضب الشـــديد حتى ان الشرع الشريف لم يؤاخذه بما يصدر عنه • روى أبو داؤد فى سننه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا طلاق فى اغلاق » قال الخطابى شارحة عقب الرواية كأنها من المتن أى فى غضب يعنى أن من دواعى اهتزاز الجسد شدة الغضب بل أحيانا يكون صاحبه ما

خرج منه من الكلام وهو الغضب الشديد فأحيانا يكون صاحبه فى منتهى الرعشة فاذا كانت هذه دواعى الاهتزاز للجسم أفلا يــكون الفرح من أكبر دواعى الاضطراب والرقص وخاصة اذا كان فجأة كما قال العارف :

هجم السرور على حتى أنــه   من فرط ما قد سرنى أبكانى

فالفرح يحصل منه انفعالات فى القلب تحصل منها الاضطرابات الجسمانية فيحصل الرقص وما هو أكثر من الرقص فما بالك الذاكر لله تعالى المتعلق قلبه به سبحانه فانه يكون أعلى وأرقى فى الفـــــرح والسرور ويكون صاحبها أكثر اضطرابا وتمايلا لأن الذكر له لــــذة عجيبه وطرب غريب فاذا ما سمع المنشد وكان جالسا هام وقام ونــزل الذكر مهتزا متمايلا من غير قصد الا ترى ان الخيل اذا سمعت الطبل ترقص فى مربطها والابل بالغناء كما قدمنــا فى حديث أنجشه وفى الواقع ان المسألة مسألة شعور واحساس كما قال :

لا يعرف الشوق الا من يكابده والصبابة الا من يعانيها ، فاذا كان الحيوان الاعجم يهتز للطرب أفلا يهتز الانسان للذكر ؟ لا يعرف هذا الا من ذاق وعرف كما قال سيدى أبى يزيد البسطاى :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه   ومن دراه غدى بالروح يشريه

وقال سيدى أبو مدين الغوث شيخ سيدى محى الدين بن العربى :

اذا اهتزت الارواح شوقا الى اللقى   ترقص الاشباح ياجاهل المعنى

(٤) الطبل والبندار والطاس
والصفير والمزمــار

وأما الطبل والبندار والطــأس والصفير والمزمــار فهو من قبيل الدعاية . والدعاية أمر الله بها في كتــابه العزيز والسنة المطهرة . أما الكتاب العزيز فقوله تعــالى : (ولا على اللذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله) وفى قوله تعالى : (وعظهم وقل لهم في

أنفسهم قولا بليغا) وفي قوله تعالى : (يــا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال) يعنى كل كلام فيه تحريض وسجع وبيان لما سيكون فهو دعاية والدعاية الى الذكر ذكر ؛ والدعــاية الى الخير خير • فمن أراد أن يدعو لذكر الله تعالى فليفعل بكافة طرق الدعاية من القول والاعلان عن ذلك بكافة طرقه وهو من عمل الخير •

هل رأيت مطبلا أو مزمرا يذكــر ؟ كل ــ بل هم كل مشتغل بما في يده ملتفت لاتقــانه مع النغم والحركة فهو دعــاية للذكر وهو حسن مشجع محــرض مهيج وليسوا هم فى الذكر اللهم الا أن يقــال (هم القوم لا يشقى جليسهم) وأما بيــان السنة فى نشر الدعايــة وتعليم العباد لها فهو كثير وكان يكفينا أمر الله تعالى لحضرته صلى الله عليه وسلم ــ الكتب للملوك ــ وارسال أصحابه الى الجهات لنشر الدعوة الاسلامية ومنها ترغيب المجاهدين في الجهاد وبيان حضرته صلى الله عليه وسلم ما وعد الله تعالى به المجاهدين فى سبيله من النعيم المقيم في الدنيا والآخرة التى أخذت منها جميع الدول في العالم وزارة خاصة تتسمى وزارة الدعاية والدعاية فى كل شيء بحسبه ولا ينكرها الا كل جاهل بالكتاب والسنة والاجمــاع وهى بمعنى الترغيب والتشــجيع والتهيــج والحث على فعل الخــير والله يهدى من يشــاء الى سراط مستقيم •

(٥) التصــــــفيق

أما التصفيق الذى يحدث من قائد الذاكرين بالضرب على كفيه على مقتضى نغمة الذاكرين بالذكر فهو جائز لأنه من قبيل النشيد الذى هو مشتق منشؤه اشحاذ أذهان الذاكرين وحملهم على جمع الهمة وجدهم واجتهادهم ليكون باعثا لهم على قوتهــم وتعلق قلب الذاكــر باسم المذكور سبحانه وتعالى فهو أكبر محرك لمشــاعرهم وموقظاً لنفوسهم ومنه لأرواحهم لتعلقها بخالقها ليكون التوجــه منهم ظــاهراً و باطناً

حتى ينالوا الرحمة التى وعدهم سبحانه • ولا يخرجون من الذكر الا بحظ وافر كما وعدهم سبحانه في قوله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً) ولا يلذ لهم ذلك ولا تسـهل عليهم تلك الكثرة الا بذلك المشجع • أما قول أعدائهـم المستشهدين بقـول الله تعالى : (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصـدية) فهو مردود لأن الله تعالى عاب على الكافرين صلاتهم بالتغيير لها •

(٦) الزى الصـوفي

هيئتهم ومسحتهم وصفتهم : وأمـا هيئتهم ومسحتهم وصفتهم في الملبس فهم يقتفون آثار رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم في الهيئة التى كان عليها بين الناس كافة وفي الأعيـاد ومقابلة الملوك فلم يترك صلى الله تعالى عليه وسلم مما يلبسه الناس من خشن الملبوس الا ولبسه وكان يجـارى الفقـراء في كل شيء حتى انه كان لا يلبس النعال الا قليـلا وكان بن مسعود رضي الله تعـالى عنه يحمل نعليه ويمشي خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قال الشيخ النبهانى :

فاذا ابن مسعود بحمله لنعاله وأنا السعيد بخدمتى لمثالها

وعاش الامام طول حياته بالمدينة لم ينتعل فيها قط ، ولما قيل له لم هذا ؟ قال كيف أطأ أرضـا وطئتها أقدام النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم بالنعال • وكان صلى الله تعـالى عليه وسلم يلبس الخشن من البرود اليمانية التى أصلها من شعر وصـوف ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم فى العمائم جميع الألوان وكان أيضـا صلى الله تالى عليه وسلم يحب أكل الخشف من الطعام ففى فتح مكة بعد أن انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم • جاء الى السيدة أم هانىء وقال : هل عندك من طعام • قالت : عيش يابس وخل وقدمته لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وقال : « ما عال بيت فيه أدم من خل » وبعد أن أكل صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « نعم الأدم الخل » ولما قبل صلى الله تعالى

وسلم هدية المقوقس ملك الاسكندرية التى منها السيدة مارية القبطية فصنعت لرسـول الله صـلى الله تعـالى عليه وسـلم أقراص خبز مدهون وجها يلمع ٠ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما هـذا ؟ قالت طعـام الملوك عندنا يـا رسـول الله ٠ فقال صلى الله تعـالى عليه وسـلم ردى عليـه ما أخرجتـه واصـنعيه كخبزنـا ٠ أراد أن لا يجعـل لنفسه ميزة عن فقـراء الناس ورد صـلى الله تعـالى عليه وسلم الطبيب الى الاسكندرية وقال للمقوقس نعم انه نبى زين جمع الحكمة في كلمتين وذلك انه صـلى الله تعالى عليـه وسلم قال للطبيب ما صنعت قال الطبيب : (نحن قوم لا نأكل الا اذا جعنا واذا أكلنا لا نشبع) وقـال صلى الله تعـالى عليه وسلم ونحن مفارقوها وهكذا كان أشباهه الكثير من خيرة الصـحابة كسيدنا حـذيفة وابن مسعود وغيرهم من اجلاء الصحابة قال في مجمع الزوائد عن علقمة بن علقمة قال دخلت على على رضي الله تعـالى عنه فـاذا بين يديه طعام خشن فقلت يا أمير المؤمنين أتأكل مثل هذا فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل أيبس من هـذا ويلبس أخشن من هـذا ، فان لم آخذ بنفسي بما أخذ به نفسه خفت أن لا ألحقه فمال الصوفي المستعد للسفر فليس له اطمئنان في الدنيا الا برضوان الله تعالى عنه فيها ٠

المنحــة ، في المسبحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عبــاده الذين اصطفى ، وبعــد فقد طال السؤال عن السبحة ، هل لها أصل في السنة ؟ فجمعت فيها هذا الجزء ، متتبعا فيه ما ورد من الأحاديث والآثار ، والله المستعان •

أخرج ابن أبى شيبة وأبو داود والترمذى والنســائى والحــاكم وصححه عن ابن عمرو قال ــ (رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيده) •

وأخرج ابن أبى شيبة وأبو داود والترمذى والحاكم عن بسيره ــ وكانت من المهاجرات ــ قالت ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين التوحيد ، وأعقدن بالأنامل ، فانهن مسئولات ومستنطقات) •

وأخرج الترمذى والحاكم والطبرانى عن صفية قالت ــ (دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يدى أربعــة آلاف نواة أسبح بهن ؛ فقال ــ ما هذا يا بنت حى ؟ قلت ــ أسبح بهن ، قال : قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا ، قلت ــ علمنى يا رسول الله ، قال : قولى سبحان الله عدد ما خلق من شيء) • صحيح أيضا •

وأخرج أبو داود والترمذى وحسنة والنســائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن سعد بن أبى وقاص (أنه دخــل مع النبى صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى ــ أو حصى ــ تسبح فقال : أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل ؟ قولى ــ سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، سبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد مــا هو خالق ، الله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا قوة الا بالله مثل ذلك) •

وفي جزء هلال الحفار ومعجم الصحابة للبغوى وتاريخ ابن‌عساكر

من طـريق معتمر بن سليمان عن أبى بن كعب عن جـده بقية عن أبى صفيه مولى النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يوضح له نطع ، ويجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به الى نصف النهـار ، ثم يرفع ، فاذا صلى الأولى أتى به فيسبح به حتى يمسي .

وأخرجه الامام أحمد فى الزهد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد عن يونس بن عبيد عن أمه قالت ــ رأيت أبا صفية ــ رجـل من أصحاب النبى صلى الله عليـه وسلم ، وكان جارنا ــ قالت ــ يسبح بالحصى .

وأخرج ابن سعد عن حكيم بن الديلمى ان سعد بن أبى وقاص كان يسبح بالحصى .

وأخرج ابن أبى شيبة في المنصف عن مولاه لسـعد أن سعدا كان يسبح بالحصى ، أو النوى .

وقال ابن سعد في الطبقات ــ عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن جـابر عن امرأة حدثته عن فاطمـة بنت الحسين بن على بن أبى طالب أنها كانت تسبح بخيط معقود فيها .

وأخرج عبد الله بن الامام أحمد في زوائد الزهد من طريق نعيم بن محرز بن أبى هريرة عن جده أبى هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به .

وأخرج أحمد فى الزهد حدثنا مسكين بن نكير عن ثابت بن عجلان عن القاسم بن عبد الرحمن ، قـال ــ كان لأبى الدرداء نوى من نوى العجوة في كيس ، فكان اذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفدن .

وأخرج ابن سعد عن أبى هريرة أنه كان يسبح بالنوى المجزع .

وقال الديلمى فى مسند الفردوس ــ عن عبدوس بن عبد الله عن أبى عبد الله الحسين ابن فنحـوية الثقفى حدثنا على بن محمد بن نصروية حدثنا محمد بن هرون بن عيسى بن المنصور الهاشمى حدثنى محمد بن على بن حمزة العلوى حدثنى عبد الصمد بن موسى حدثتنى

زينب بنت سليمان بن على حدثتنى أم الحسن بنت جعفر بن الحسن عن أبيها عن جدها عن على مرفوعا (نعم المذكر السبحة) •

وأخرج ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى أنه كان يسبح بالحصى •

وأخرج من طريق أبى نضرة عن رجل من الطفاوة قال ــ نزلت على ابراهيم ومعه كيس فيه حصى ــ أو حصى ــ فيسبح به حتى ينفد •

وأخرج عن زاذان قال ــ أخذت من أم يعفور تسابيح لها ، فلما أتيت عليا قال ــ أردد على أم يعفور تسابيحها •

ثم رأيت فى كتاب تحفة العباد ومصنف متأخر عاصر الجلال البلقنى فصلا حسنا فى السبحة قال فيه ما نصه ــ قال بعض العلماء ــ عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة ، لحديث ابن عمرو ، ولكن يقال ــ ان المسبح أن أمن من الغلط كان عقده بالأنامل أفضل ، والا فالسبحة أولى •

وقد اتخذ السبحة سادات يشار اليهم ، ويؤخذ عنهم ، ويعتمد عليهم ، كأبى هريرة رضي الله عنه ، كان له خيط فيه الفا عقدة فكان لا ينام حتى يسبح به ثنتى عشرة ألف تسبيحة ، قال عكرمة •

وفي سنن أبى داود من حديث أبى نضرة الغفارى قال ــ حدثنى شيخ من طفاوة قال ــ تثويت أبا هريرة بالمدينة ، فلم أر رجلا أشد تشميرا ولا أقوم على ضيف منه ، قال ــ فبينما أنا عنده يوما وهو على سرير له ومعه كيس فيه حصى أو نوى وأسفل منه جارية سوداء وهو يسبح بها ، حتى اذا أنفد ما في الكيس فدفعته اليه يسبح •

قوله (تثويت) أى تضيفته ونزلت فى منزله ، والمثوى ــ المنزل •

وقيل ــ كان أبو هريرة رضي الله عنه يسبح بالنوى المجزع ، يعنى الذى حك بعضه حتى أبيض شيء منه وترك الباقى على لونه ، وكل ما فيه سواد وبياض فهو مجزع ، قاله أهل اللغة •

وذكر الحافظ عبد الغنى في الكمال فى ترجمة أبى الدرداء عويمر رضي الله عنه أنه كان يسبح في اليوم مائة ألف تسبيحة ، وذكر أيضا

عن سلمة بن شيب قال ــ كان خالد بن معدان يسبح فى اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقــرأ ، فلما وضع ليغســل جعل بأصبعه كــذا يحركها ــ يعنى بالتسبيح ــ ومن المعــلوم المحقق أن المائة ألف ، بل والأربعين ألفا وأقل من ذلك ، لا يحصر بالأنامل ، فقد صح بذلك وثبت أنهما كانا يعدان بآلة ، والله أعلم .

وكان لأبى مسلم الخــولانى رحمة الله عليه سبحة ، فقــام ليلة والســبحة في يده ، قال ــ فاستدارت الســبحة فالتفت على ذراعــه وجعلت تسبح ، فالتفت أبو مســلم والسبحة تدور في ذراعــه وهى تقول ــ سبحانك يا منبت النبات ، ويا دائم الثبات ، قال ــ هلمى يا أم مسلم فانظرى الى أعجب الأعاجيب ، قال ــ فجاءت أم مسلم والسبحة تدور وتسبح ، فلمــا جلست سكتت ، ذكره أبو القــاسم هبة الله بن الحسن الطبرى في كتاب كرامات الأولياء .

وقال الشيخ الامام العارف عمر البزار ــ كانت سبحة الشيخ أبى الوفا كاكيش ــ وبالعربى عبد الرحمن ــ التى أعطاها لسيدى الشيخ محى الدين عبد القادر الكيلانى قدس الله أرواحهــم اذا وضعها على الأرض تدور وحدها حبة حبة .

وذكر القاضي أبو العبــاس أحمد بن خلكان في وفيات الأعيان أنه رؤى في يد أبى القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله يوما سبحة ، فقيل له ــ أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟ قــال ــ طريق وصلت به الى ربى لا أفارقه ، قال ــ وقد رويت فى ذلك حديثا مسلســلا ــ وهو ما أخبرنى به شيخنا الامام أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عبد الله من لفظة ، ورأيت فى يده سبحة ــ قال أنا الامام أبو العبــاس أحمد بن أبى المحاسن يوسف بن البانياسي بقراءتى عليه ورأيت فى يده سبحة قال ــ عن أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود الترمذى ورأيت في يده سبحة ، قال ــ قرأت على شيخنا أبى الثناء ورأيت في يده سبحة ، قال ــ عن عبد الصمد بن أحمد بن عبد القــادر ورأيت في يده سبحة ، قال ــ عن ابو محمد يوسف بن أبى الفرج عبد الرحمن بن على ورأيت

فى يده سبحة ، قال : أنا ورأيت فى يده سبحة قال : قرأت على على أبى الفضل بن ناصر ورأيت في يده سبحة ، قــال ــ قرأت على أبى محمد عبد الله ابن أحمد السمرقندى ورأيت في يده سبحة ، قلت له ــ سمعت أبا بكر محمد بن على السلمى الحــداد ورأيت في يده سبحة ؟ فقال ــ نعم ، قال ــ رأيت أبا ناصر عبد الوهاب ابن عبد الله بن عمر المقرى ورأيت فى يده سبحة ، قال ــ رأيت أبا الحسن على بن الحسن بن أبى القاسم المترفق الصــوفي وفي يده سبحة ، قال ــ سمعت أبــا الحسن المالكى يقول : وقد رأيت في يده سبحة فقلت له : يــا أستاذ وأنت الى الآن مع السبحة ؟ فقال : كذلك رأيت أستاذى الجنيد وفى يده سبحة ، فقلت له ــ يا أستاذ وأنت الى الآن مع السبحة ؟ قال ــ كــذلك رأيت أستاذى سرى بن مغلس السقطى وفي يده سبحة ، فقلت ــ يا أستاذ أنت مع السبحة ؟ فقال ــ كذلك رأيت أستاذى معروفا الكرخى وفي يده سبحة ، فسألته عما سألتنى عنه فقال ــ كذلك رأيت (بشرا الحافي وفي يده سبحة فسألته عما سألتنى عنه فقال ــ كذلك رأيت (أستاذى عمر المالكى وفي يده سبحة فسألته عما سألتنى عنه فقال ــ رأيت أستاذى الحسن البصرى وفي يده ســبحة فقلت ــ يــا أستاذ مع عظم شــأنك وحسن عبــادتك وأنت الى الآن مع الســبحة ؟ فقال لى ــ شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنــا نتركه في النهايات ، أحب أن أذكر الله بقلبى وفي يدى ولسانى • فلو لم يكن في اتخــاذ السبحة غير موافقة هؤلاء الســادة والدخول في سلكهم والتماس بركتهم ، لصــارت بهذا الاعتبار (من أهم الأمور) وأوكدها ، فكيف بها وهى مذكرة بالله تعالى لأن الانسان قل أن يراها الا ويذكر الله ، وهــذا من أعظم فوائدها ، وبذلك كان يسميها بعض السلف رحمه الله تعالى • ومن فوائدها أيضا الاستعانة على دوام الذكر ، كلما رآها ذكر أنها آلة للذكر فقاده ذلك الى الذكر ، فيا حبذا سبب موصل الى دوام ذكر الله عز وجل ، وكان بعضهم يسميها حبل الوصل ، وبعضهم رابطة القلوب •

وقد أخبرنى من أثق بقوله أنه كان مع قافلة فى درب بيت المقدس ،

فقام عليهم سرية عرب ، وجردوا القافلة جميعهم وجردوني معهم ، فلما أخذوا عمامتي سقطت مسبحة من رأسي ، فلما رأوها قالوا — هذا صاحب سبحة ، فردوا على ما كان أخذ لي ، وانصرفت سالما منهم ، فانظر يا أخي الى هذه الآلة المباركة الزاهرة ، وما جمع فيها من خيري الدنيا والآخرة ، ولم ينقل عن أحد السلف ولا من الخلف المنع من جواز عد الذكر بالسبحة ، بل كان أكثرهم يعدونه بها ، ولا يرون ذلك مكروها وقد رؤى بعضهم يعد تسبيحا فقيل له — اتعد على الله ؟ فقال — لا ولكن أعد له ، والمقصود أن أكثر الذكر المعدود الذى جاءت به السنة الشريفة لا ينحصر بالأنامل غالبا ، ولو أمكن حصره لكان الاشتغال بذلك يذهب الخشوع ، وهو المراد ، والله أعلم •

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن بكر بن خنيس عن رجل سماه قال — كان في يد أبى مسلم الخولانى سبحة يسبح بها ، قال — فقام والسبحة في يده فاستدارت السبحة ، فالتفت على ذراعه وجعلت تسبح ، فالتفت أبو مسلم والسبحة تدور فى ذراعه وهى تقول — سبحانك يا منبت النبات ، ويا دايم الثبات ، فقال هلم يا أم مسلم وانظرى الى أعجب الأعاجيب ، فجاءت أم مسلم والسبحة تدور وتسبح ، فلما جلست سكتت •

وقال عماد الدين المناوى في سبحة : —

ومنظومة الشمل يخلو بها اللبيب فتجمع من همته
اذا ذكر الله جل اسمه عليها تفرق من هيبته

الفصــل الرابــع
في طبقات الأولياء ومراتبهم وأصنافهم

ذكر الشيخ الأكبر سيدى محى الدين بن العــربى مراتب الأولياء وطبقاتهــم على اختـــلاف أنواعهم في البـــاب الثـــالث والسبعين من الفتوحات المكّية ، وأطـــال في ذلك وقد رأيت الامام المناوى في مقدمة طبقاته الصغرى اختصر ذلك من الفتوحات ولكنه لم يتقيـــد بعباراتها بل تصرف فيها ، وترك فوائد كثيرة مهمة ، فأردت أن أختصر ذلك هنا منها وأحافظ على عبـــارات سيدى محى الدين وأنقل كثيرا من الفوائد التى تركها المناوى رحمه الله .

قال رضي الله عنه أعلم أن رجال الله في هذه الطريقة هم المسمون بعالم الأنفاس . وهو اسم يعم جميعهم ، وهو على طبقـــات كثيرة ، وأحوال مختلفة ، ومنهم من تجمع له الحالات كلها والطبقات ، ومنهم من يحصل له من ذلك ما شاء الله ، وما من طبقة الا لها لقب خاص من أهل الأحوال والمقامات ، ومنهم من يحصرد عدد من كل زمان ، ومنهم من لا عدد له لازم فيقلون ويكثرون . ولنذكر منهم أهل الأعداد ومن لا عدد له بألقابهم ان شاء الله تعالى .

القسم الأول
في ذكر أصحاب مراتب الولاية الذين يحصرهم عدد

(فمنهم رضي اللـــه عنهم الأقطـــاب) وهم الجـــامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابة ، وقد يتسعون في هذا الاطلاق فيسمون قطبا كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه . وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد ، وشيخ الجماعة ولكن الألقاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقا من غير اضافة لا يكون منهم فى الزمان الا واحدا وهو الغوث أيضـــا وهو من المقربين وهو سيد الجماعة فى زمانه ، ومنهم من يكون ظـــاهر الحكم ويحوز

الخلافة الظاهرة كما حاز الخــلافة الباطنة من جهة المقام ، كأبى بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن يزيد وعمــر بن عبد العزيز والمتوكل ، منهم من حاز الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له فى الظاهر كأحمد بن هــارون الرشــيد السبتي وكأبى يزيد البســطافي ، وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر •

(ومنهم رضي الله عنهم الأئمة) لا يزيدون فى كل زمان على اثنين لا ثالث لهما • الواحد عبد الرب ، والآخر عبد الملك ، والقطب عبد الله ولو كانت أسمائهم ما كانت ، وهما اللذان يخلفــان القطب اذا مات ، وهما له بمنزلة الوزيرين ، الواحــد منهم مقصــور على مشاهدة عالم الملكوت والآخر عالم الملك •

(ومنهم رضي الله عنهم الأوســاد) وهم الأربعــة في كل زمــان لا يزيدون ولا ينقصون • رأينا شخصا منهم بمدينة فاس يقال له ابن جعدون (كان ينخــل الحناء بالاجرة) • الواحــد منهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه ، والآخر في المغرب ، والآخر فى الجنوب والآخر فى الشمال والتقسيم من الكعبــة ، وقد يكون منهم النســاء ، وكذلك غيرهم ، وألقابهم عبد الحى ، وعبد العليم ، وعبد القادر ، وعبد المريد •

(ومنهم رضي الله عنهــم الأبدال) وهم ســبعة ، لا يزيدون ولا ينقصون ، يحفظ الله بهم الأقــاليم السبعة ، لكل بدل منهم اقليم فيه ولاية ، الواحد منهم على قدم الخليل وله الاقليم الأول ، والثانى على قدم الكليم ، والثالث على قدم هــارون ، والرابع على قــدم ادريس ، والخامس على قدم يوسف ، والسادس على قدم عيسى ، والسابع على قدم آدم على الكل الصلاة والسلام • وسموا أبدالا لكونهم اذا فارقوا موضعا ويريدون أن يخلفوا به بدلا منهم فى ذلك الموضــع لأمر يرون فيه مصلحة وقربه يتركون به شخصا على صورتهم ، لا يشــك أحدا ممن أدرك رؤية ذلك الشخص أنه عين ذلك الرجل ، وليس هو بل هو شخص روحــانى يتركه بدله بالقصــد على علم منه ، فكل من له هذه القوة فهو البــدل ، ومن يقيم الله عنه بدلا فى موضــع ما ولا علم له

بالذات فليس من الأبدال المـذكورين ، وقـد يتفق ذلك كثـيرا عايناه ورأيناه ، ورأينا هـؤلاء السبعة الأبدال بمكة ، لقينـاهم خلف حطيم الحنابلة ، وهناك اجتمعنا بهم فما رأيت أحدا أحسن سمه منهم ، وكنا قد رأينا منهم موسى البيـدرانى بأشبيلية سنة ٥٨٦ ، وصـل الينا بالقصد واجتمع بنا ، ورأينا منهم شيخ الجبال محمد بن أشرف الرندى ولقى منهم صاحبنا عبد المجيد بن سلمه شخصا اسمه معاذ بن أشرص كان من كبـارهم ، وبلغنى سـلامه علينا ، سـأله عبد المجيد هذا من الأبدال بماذا كانت لهم هذه المنزلة ؟ فقال بالأربعـة التى ذكرها أبو طالب المكى ، يعنى : الجوع والسهر والصمت والعزلة ٠

(ومنهم رضي الله عنهم النقباء) وهم أثنا عشر نقيبـا في كل مكان وزمان لا يزيدون ولا ينقصون على عدد بروج الفلك الاثنى عشر برجا كل نقيب عـالم بخاصية برج ٠ واعلم أن الله تعـالى قد جعل بأيدى هؤلاء النقبـاء علوم الشرائع المنزلة ولهم استخراج خبـايا النفوس وغوائلها ومعرفة مكرهـا وخداعها ٠ وأمـا ابليس فمتشوف عندهم يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسـه ٠ وهو من العـلم بحيث اذا رأى أحدهم أثر وطـأة شخص فى الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقى ، مثل العلماء بالآثار والقيافة وبالديار المصرية منهم كثير يخرجون الأثر فى الصخور واذا رأوا شخصا يقولون هذا الشخص هو صاحب ذلك الأثر ويكون كذلك ٠ وليسوا بأولياء لله تعالى فما ظنك بما يعطيه الله لهؤلاء النقباء من علوم الآثار ٠

(ومنهم رضي الله عنهم النجبـاء) وهم ثمانيـة فى كل زمان ، لا يزيدون ولا ينقصون وهم الذين تبدو منهم وعليهم أعلام القبول من أحوالهم وان لم يكن لهم فى ذلك اختيار لكن الحـال يقلب عليهم ولا يعرف ذلك منهم الا من هو فوقهم لا من هو دونهم ٠

(ومنهم رضي الله عنهم الحواريون) وهو واحـد فى كل زمان لا يكون فيه اثنان (فـاذا مات ذلك الواحـد أقيم غيره) وكان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الزبير بن العـوام هو كان صاحب

هذا المقام ، مع كثرة أنصـــار الدين بالسيف والحـــوارى من جمع في نصرة الدين بين السيف والحجـــة ، فأعطى العلم والعبـــادة والحجة وأعطى السيف والشجاعة والاقدام ، ومقامه التحرى فى اقامة الحجة على صحة الدين المشروع •

(ومنهم رضي الله عنهم الرجبيـــون) وهم أربعـــون نفسا فى كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون ، وهم رجال حالهم القيـــام بعظمة الله وهم من الأفراد وسموا رجبيين لأن حال هذا المقام لا يكون لهم الا في شهر رجب من أول استهلال هلاله الى يوم انفصاله ، ثم يفقدون ذلك الحال من أنفسهم فلا يجـــدونه الى دخول رجب من الســـنة الآتية ، وقليل من يعرفهم من أهل هـــذا الطريق ، وهم متفرقون فى البلاد ، ويعرف بعضهم بعضا ، منهم من يكون باليمن والشـــام وبديار بكر • قال سيدى محى الدين : لقيت واحدا منهم بدنسير بديار بكر ما رأيت منهم غيره ، وكنت بالأشـــواق الى رؤيتهم • ومنهم من يبقى عليه فى سائر السنة أمرا ما مما كان يكاشف به فى حـــالة رجب • ومنهم من لا يبقى عليه شيء من ذلك ، وكان هذا الذى رأيته قد أبقى عليه كشف الروافض من أهل الشيعة سائر السنة ، فكان يراهم خنازير ، فيأتى للرجل المستور الذى لا يعرف منه هذا فيقول له : « تب الى الله أنك شيعى رافضي » فيبقى الآخـــر متعجبا من ذلك ، فان تاب وصدق فى توبته رآه انسانا • وان قال له بلسانه تبت وهو يضمر مذهبه لا يزال يراه خنزيرا ، فيقـــول له كذبت فى قولك تبت ، واذا صـــدق يقول له صدقت ، فيعرف ذلك الرجل صدقه فى كشفه فيرجـــع عن مذهبه ذلك الرافضي ، ولقد جرى له مثل هـــذا مع رجلين عاقلين من أهل العدالة من الشافعية ما عرف فيهما قط التشـــيع ولم يكونا من بيت التشـــيع غير أنهمـــا أداهما اليـــه نظرهمـــا وكانا متملكين من عقولهمـــا ، فلم يظهـــرا ذلك وأصرا عليـــه بينهمـــا وبين اللـــه فكانا يعتقدان السوء فى أبو بكر وعمر ويتغاليـــــان فى على تغـــالى الشـــيعة ، فلمـــا مرا به ودخـــلا عليه أمر باخراجهمـــا من عنـــده ، فان الله قـــد كشف

له عن بواطنهما فى صورة خنازير وهى العلامة التى جعلها الله له فى أهل هذا المذهب وكانا قد علما من نفوسهما أن أحدا من أهل الأرض ما أطلع على حالهما ، وكانا شاهدين عدلين مشهورين بالسنة فقالا له فى ذلك فقال : أراكما خنزيرين ، وهى علامة بينى وبين الله فيمن كان مذهبه هذا ، فأضمرا التوبة في نفوسهما ، فقال لهما : انكما الآن قد رجعتما عن ذلك المذهب ، فانى أراكما انسانين ــ فتعجبا من ذلك وتابا الى الله تعالى .

وهؤلاء الرجبيون أول يوم يكون فى رجب يجدون كأنما أطبقت عليهم السماء فيجدون من الثقل بحيث لا يقدرون على أن يطوفوا ولا تتحرك فيهم جارحة ، ويضطجعون فلا يقدرون على حركة أصلا ، ولا قيام ولا قعود ولا حركة يد ولا رجل ولا جفن عين ، يبقى ذلك عليهم أول يوم ، ثم يخف فى ثانى يوم قليلا ، وفى ثالث يوم أقل وتقع لهم الكشوفات والتجليات والاطلاع على المغيبات ، ولا يزال مضطجعا مسجى ثم يتكلم بعد الثلاث أو اليومين ، فيتكلم معه فيقول : ــ

١) فيقال له الى أن يكمل الشهر ، فاذا فرغ الشهر ودخل شعبان قام كأنما نشط من عقال ، فان كان صاحب صناعة أو تجارة اشتغل بشغله وسلب عنه جميع حاله كله الا ما يشاء الله أن يبقى عليه من ذلك شيئا ــ هذا حالهم وهو حال غريب ، مجهول السبب والذى اجتمعت به منهم كان فى شهر رجب وكان فى هذه الحالة .

٢) (ومنهم رضي الله عنهم ثلثمائة نفس على قلب آدم عليه السلام) فى كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون ، وأعلم أن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حق هؤلاء الثلثمائة « أنهم على قلب آدم » وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في غير هؤلاء . فمن هو على قلب شخص من أكابر البشر أول الملائكة ، انما معناه أنهم يتقلبون فى المعارف الالاهية تتقلب ذلك الشخص اذا كانت واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب ، فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من ملك أو رسول فانه يرد على هذه القلوب التى هى على قلبه ، وربما يقول

بعضهم فلان على قدم فلان ، وهو بهذا المعنى نفسه ، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عن هؤلاء الثلثمائة أنهم على قلب آدم • قال سيدى محى الدين : وما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم الثلثمائة فى أمته فقط ، أو هم فى كل زمان وما علمنا أنهم فى كل زمان الا من طريق الكشف ، وان الزمان لا يخلو من هـذا العدد ولكل واحد من هؤلاء الثلثمائة من الأخلاق الالهيـة ثلثمائة خلق إلهى ، من تخـلق بواحد منها حصلت له السـعادة وهـؤلاء هم المجتبـون المصطفون ويستحيون من الدعاء بما ذكره الله سبحانه وتعـالى فى كتابه (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) •

٣) (ومنهم رضي الله عنهم أربعـون على قلب نوح عليه السلام) فى كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون ، هكذا ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الطبقـة ، ان فى أمته أربعين على قلب نوح عليه السلام وهو أول الرسل والرجال الذين هم على قلبه صفتهم القبض ودعاؤهم دعاء نوح : « رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا تزد الظالمين الا تبارا » ومقام هؤلاء الرجال مقام الغيرة الدينية وهو مقام صعب المرتقى ، وكل ما تفرق في هؤلاء الأربعين اجتمع فى نوح ، كما أنه كلما تفرق فى الثلثمائة اجتمع فى آدم وعلى معارج هؤلاء الأربعين عملت الطـائفة الأربعينيات في خلواتهـم لم يزيدوا على ذلك شـيئا وهى خلوات الفتـح عندهـم ، ويجتمعـون على ذلك بالخبر المروى عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينـابيع الحكمة من قلبه على لسانه » •

(ومنهم سبعة رضي الله عنهـم على قلب الخليل عليه السـلام) لا يزيدون ولا ينقصون فى كل زمان ، ورد به الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاؤهم دعاء الخليل : « رب هب لى حكما والحقنى بالصـالحين) ومقامهم مقـام السـلامة من جميـع الريب والشكوك ، وقد نزع الله عنهم الغل من صدورهم فى هذه الدنيا وسلم

الناس من سوء ظنهم ؛ اذ ليس لهم سوء الظن ، بل ما لهم ظن ، فانهم أهل علم صحيح فانما الظن يقع مما لا علم له فيحاط علمه له بضرب من الترجيح ، فلا يعلمون من الناس الا ما هم عليه،الناس من الخير ، وقد أسبل الله بينهـم وبين الشرور التى هم عليها النـاس حجبا • قال سيدى محى الدين : وقد لقيتهم يوما ما رأيت أحسن سمتا منهم علما وحلما : (اخوانا [1] على سرر متقابلين) وقد عجلت لهم جنـاتهم المعنوية الروحانية فى قلوبهم •

(ومنهم رضي الله عنهم خمسة على قلب جبريل عليه السلام) لا يزيدون ولا ينقصون فى كل زمان ورد بذلك الخبر المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم (هم ملوك أهل هذه الطريقة) لهم من العلوم على عدد ما لجبريل من القوى المعبر عنها بالأجنحة التى بها يصعد وينزل ولا يجاوز علم هؤلاء الخمسة علم جبريل وهو أن لهم من الغيب ومعه يقفون يوم القيامة في المحشر •

(ومنهم رضي الله عنهم ثلاثة على قلب ميكائيل عليه السلام) لا يزيدون ولا ينقصون فى كل زمان لهم الخير المحض والعطف والرحمة والحنان والغالب على هؤلاء الثلاثة البسط والتبسم ولين الجانب والشفقة المفرطة ومشاهدة ما يوجب الشفقة ولهم من العلوم على قدر ما لميكائيل من قوى •

(ومنهم رضي الله عنهم واحد على قلب اسرافيل عليه السلام) فى كل زمان وله الأمر ونقيضه جامع للطرفين ورد بذلك الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن له علم اسرافيل — وكان أبو يزيد البسطامى ممن كان على قلب اسرافيل وله من الأنبياء عيسى عليه السلام فمن كان على قلب عيسى فهو على قلب اسرافيل ومن كان على قلب اسرافيل قد لا يكون على قلب عيسى • قال سيدى محى الدين : وكان بعض شيوخنا على قلب عيسى وكان من الأكابر •

(وأما رجال عالم الأنفاس رضي الله عنهم) فأنا أذكرهم وهم على قلب داوود عليه السلام) لا يزيدون ولا ينقصون فى كل زمان دائما

---

(١) سورة الحجر •

نسبناهم الى قلب داؤود وقد كانوا موجودين قبل ذلك بهذه الصفة ـ فالمراد بذلك أنه ما تفرق من الأحوال والعلوم والمراتب اجتمع فى داؤود ولقيت هؤلاء العالم كلهم ولازمتهم • وهم على مراتب لا يتعدونها بعدد مخصوص لا يزيد ولا ينقص • وأنا أذكرهم انشاء الله تعالى •

(ومنهم رضي الله عنهم رجال الغيب) وهم عشرة لا يزيدون ولا ينقصون هم أهل خشوع فلا يتكلمون الا همسا لخلية تجلى الرحمن عليهم دائما فى أحوالهم • قال تعالى : (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا) وهؤلاء المستورون الذين لا يعرفون ، خبأهم الحق فى أرضه وسمائه فلا يناجون سواه ولا يشهدون غيره (ويمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) دأبهم الحياة اذا سمعوا أحدا يرفع صوته فى كلامه تراعد فرائصهم ويتعجبون ، واعلم أن لفظ رجال الغيب فى اصطلاح أهل الله يطلقونه ويريدون به هؤلاء الذين ذكرناهم وهى هذه الطبقة وقد يطلقونه ويريدونه به من يحتجب عن الأبصار من الأنس ، وقد يطلقونه أيضا ويريدون به رجالا من الجن صالحين مؤمنين • وقد يطلقونه أيضا على القوم الذين لا يأخذون شيئا من العلم والرزق المحسوس من الحسن ولكن يأخذونه من الغيب •

(ومنهم رضي الله عنهم ثمانية عشر نفسا أيضا ، هم الظاهرون بأمر الله عن أمر الله) لا يزيدون ولا ينقصون فى كل زمان ، ظهورهم بالله قائمون بحقوق الله) • (مثبتون بالأسباب الواردة) لهم عادة ، آيتهم (قل الله ثم ذرهم) وأيضا انى دعوتكم جهارا ، كان منهم شيخنا أبو مدين رحمة الله تعالى كان يقول لأصحابه : أظهروا للناس ما عندكم من الموافقة كما يظهر الناس بالمخالفة ، واظهروا ما أعطاكم الله من نعمة الظاهرة يعنى خرق العوائد والباطنة يعنى المعارف فان الله يقول : (وأما بنعمة ربك فحدث) وقال عليه الصلاة والسلام : « التحدث بالنعمة شكر » •

(ومنهم رضي الله عنهم ثمانية رجال يقال لهم رجال القوة الالهية) آيتهم من كتاب الله (أشداء على الكفار) لهم من الاسماء الالهية (ذو القوة المتين) لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، وقد يسمون رجال القهر ، لهم همم فعالة فى النفـــوس وبهذا يعرفون • كان بمدينة فارس منهم رجلا واحدا يقال له أبو عبد الله الدقاق ، كان يقول : « ما اغتبت أحدا قط ، ولا اغتيب بحضرتى أحـــد قط) • قال سيدى محى الدين ولقيت أنا منهم ببلاد الأندلس جمـــاعة ولقيت لهم أثر عجيب ومعنى غريب وكان بعض شيوخى منهم •

(ومن نمط هؤلاء رضي الله عنهم خمسة رجـــال) فى كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون هم على قدم هؤلاء الثمانية فى القوة غير أن فيهم لينا ليس فى الثمانية وهم على قدم الرسل فى هذا المقام ، آيتهم قوله تعالى (فقولا له قولا لينا) وقوله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم) فهم مع قوتهم لهم لين فى بعض المواطن • أما فى العـــزائم فهم على قوة الثمانية على السواء ويزيدون عليهم بما ذكرناه مما ليس للثمانية • قال سيدى محى الدين رضي الله عنه وقد لقينـــا منهم رضي الله عنهم وانتفعنا بهم •

(ومنهم رضي الله عنهـــم خمســـة عشر نفســـا) هم رجل الحنان والعطف الالهى) آيتهم آيـــة الريح السليمانية (تجـــرى بأمره رخاء حيث أصـــاب) لهم شفقة على عبـــاد الله مؤمنهم وكافرهم ، ينظرون الخلق بعين الجود والوجود ، لا بعين الحكم والقضاء ، لا يولى الله قط منهم أحدا ولاية ظاهرة من قضاء أو ملك لأن ذوقهم ومقامهم لا يحتمل القيام بأمر الخلق فهم مع الخلق فى الرحمة المطلقة التى قال الله تعالى فيها (ورحمتى وسعت كل شيء) ولقيت منهم جماعة وماشيتهم على هذا القـــدم •

(ومنهم رضي الله عنهم أربعة أنفس فى كل زمان) لا يزيدون ولا ينقصون ، آيتهم من كتاب الله (الله الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) هم رجال الهيبة والجلال •

كأنما الطير منهم فوق رؤسهم لا خوف ظلم ولكن خوف اجلال وهم الذين يمـــدون الأوتاد • الغـــالب على أحوالهم الروحـــانية ، قلوبهم سماوية ، مجهولون فى الأرض ، معروفون فى السماء • أحدهم على قلب محمد صلى الله عليـــه وسلم ، والآخـــر على قلب شعيب عليـــه الســــلام ، والثالث على قلب صالح عليـــه الســـلام ، والرابع على قلب هود عليه الســـلام • ينظر الى أحدهم من الملأ الأعلى عزرائيل ، والى الآخــر جبريل • والى الآخر ميكائيل • والى الآخر اسرافيل • شـــأنهم عجيب وأمرهم غـــريب • قـــال ســـيدى محى الـــدين مـــا لقيت فيمن لقيت مثلهـــم ، لقيتهم بدمشق فعرفت أنهم هم وقـــد كنت رأيتهم ببلاد الأندلس واجتمعـــوا بى ولكن لم أكن أعلم أن لهـــم هذا المقـــام ، بل كانوا عندى من جمـــلة عباد الله ، فشـــكرت الله على أن عرفنى بمقامهم وأطلعنى على حالهم •

(ومنهم رضي الله عنهم أربعة وعشرون نفسا فى كل زمان يسمون رجال الفتح) لا يزيدون ولا ينقصون ، بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتحه من المعارف والأسرار جعلهم الله على عدد الســـاعات ، لكل ساعة رجل منهم ، فكل من يفتح عليه فى شيء من العلوم والمعارف فى أى ســـاعـــة كانت من ليل أو نهار فهـــو لرجل تلك الســـاعة ، وهم متفرقون فى الأرض لا يجتمعـــون أبدا ، كل شخص منهم لازم مكانه لا يبرح أبدا ، فمنهم باليمن اثنان ، ومنهم ببلاد الشرق أربعة ، ومنهم بالمغرب ستة ، والباقى بسائر الجهات • آيتهم من كتاب الله (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) •

(ومنهم رضي الله عنهم سبعة أنفس فى كل زمان) لا يزيدون ولا ينقصون رجال المعارج العـــلا ، لهم فى كل نفس معراج ، وهم أعلى عالم الأنفاس ، أى الأوليـــاء أصحاب المراتب ، آيتهم من كتـــاب الله تعالى (وأنتم الأعلون والله معكم) يتخيـــل بعض النـــاس من أهـــل الطريق ، انهم الأبدال لما يرى أنهم سبعة كما يتخيل بعض الناس فى الرجبيين • انهم الأبدال لكونهـــم أربعين عنـــدما يقـــول أن الأبدال

أربعون نفسا • ومنهم من يقــول سبعة أنفس • وسبب ذلك أنهم لم يقع لهم التعريف من الله بذلك ، ولا بعدد مــا ، ولله فى العالم فى كل زمان من الرجال المصطفين ، الذين يحفظ الله بهم العالم فيسمعون أن ثم رجالا عددهم كذا ، كما أن أيضا مراتب محفوظة لا عدد لأصحابها معين فى كل زمان ـ بل يزيدون وينقصون كالأفراد ، ورجــال الماء ، والأحياء ، والاخلاء ، وأهل الله ، والمحدثين والسمراء ، والأصفياء ، وهم المصطفون ، فكل مرتبة من هــذه المراتب محفوظة برجال فى كل زمان ، غير أنهم لا يتقيدون بعدد مخصوص مثل من ذكرناهم •

(ومنهم رضي الله عنهــم أحد وعشرون نفسا وهم رجــال التحت الأسفل) وهم أهل النفس الذى يتلقونه من الله لا معرفة لهم بالنفس الخــارج عنهم ، وهم على هــذا العدد فى كل زمــان لا يزيدون ولا ينقصون ، آيتهم من كتــاب الله تعــالى (ثم رددناه أسفل سافلين) يريد تعالى عالم الطبيعــة اذا لا أسفل منه ، رده اليه ليحيــا به فان الطبع ميت بالأصالة فأحياه بهذا النفس الرحمانى الذى رده وهؤلاء الرجــال لا نظر لهم الا فيما يرد من عند الله مع الأنفــاس فهم أهل حضور على الدوام •

(ومنهم رضي الله عنهم ثلاثة أنفس) وهم رجــال الأمداد الالهى والكونى في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون فهم يستمدون من الحق ويمدون الخلق ولكن بلطف ولين ورحمــة لا بعنف ولا شدة ، ولا قهر يقبلون على اللــه بالاستفادة • ويقبــلون على الخلق بالافادة • فيهم رجال ونساء قد أهلهم الله لسعى فى حوائج الناس وقضائها عند الله لا عند غيرها وهم ثلاثة قــال سيدى محى الدين لقيت واحــدا منهم بأشبيلية وهو من أكبر من لقيتــه ويقال له موسى بن عمــران ، سيد وقته كان أحد الثلاثة لم يسأل أحدا حاجة من خلق الله • وقد ورد فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من تتقبل لى بواحدة تقبلت له بالجنة أن لا يسأل أحدا شيئا) • وصفة هؤلاء اذا أفادوا الخــلق ترى فيهم من اللطف وحسن التأنى حتى يظن أنهم هم الذين يستفيدون

من الخلق • وان الخلق هم الذين لهم اليد عليهم ما رأيت أحسن منهم في معاملة الناس •

(ومنهم رضي الله عنهم ثلاثة أنفس آلهيون رحمانيون في كل زمان) لا يزيدون ولا ينقصون ، يشبهون الأبدال في بعض الأحوال وليسوا بابدال آيتهم من كتاب الله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) لهم اعتقاد عجيب في كلام الله بين الاعتقاديين • هم أهل وحي إلهي لا يسمعونه أبدا الا كسلسلة على صفوان ، لا غير ذلك ، ومثل صلصلة الجرس هذا هو مقام هؤلاء القوم •

(ومنهم رضي الله عنهم رجل واحد وقد تكون امرأة في كل زمان ، آيته (وهو القاهر فوق عباده) له الاستطالة على كل شيء سوى الله شهم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق يقول حقا ويحكم عدلا • قال سيدي محي الدين كان صاحب هذا المقام شيخنا عبد القادر الجيلي ببغداد كانت له الصولة والاستطالة بحق على الخلق كان كبير الشأن أخباره مشهورة لم ألقه ولكني لقيت صاحب زماننا في هذا المقام ، ولكن كان عبد القادر أتم في أمور أخرى من هذا الشخص الذي لقيته ، وقد درج الآخر ولا علم لي بمن ولّي بعده هذا المقام الى الآن •

ومنهم رضي الله عنهم رجل واحد مركب ممتزج في كل زمان) لا يوجد غيره في مقامه وهو يشبه عيسى عليه السلام متولد بين الروح والبشر ولا يعلم له أب بشري كما يحكى عن بلقيس أنها تولدت بين الجن والأنس فهو مركب من جنسين مختلفين ، وهو رجل البرزخ به يحفظ الله تعالى عالم البرزخ دائما فلا يخلو كل زمان عن واحد مثل هذا الرجل يكون مولده على هذه الصفة فهو مخلوق من ماء امرأة خلافا لما ذكره أهل الطبائع أنه لا يتكون من ماء المرأة ولد ، بل الله على كل شيء قدير •

(ومنهم رضي الله عنهم رجل واحد قد يكون امرأة له دقائق ممتدة الى جميع العالم وهو شخص غريب المقام لا يوجد منه في كل زمان الا واحدا يلتبس على بعض أهل الطريق ممن يعرفه بحالة القطب ،

فيتخيل أنه القطب وليس بالقطب •

(ومنهم رضي الله عنهم رجل واحد يسمى بمقـــامة سقيط الرفرف ابن ساقط العرش) قال سيدى محى الدين : لقيتـــه بقونية آيته من كتاب الله (والنجم اذا هوى) حـــالة لا يتعداه شغله بنفسه وبربه ، كبير الشأن عظيم الحال ، رؤيته مؤثرة فى حال من يراه ، فيه انكسار ، هكذا شاهدته صاحب انكسار ، أعجبتنى صفته له لســـان فى المعارف شديد الحياء •

(ومنهم رضي الله عنهم رجلان يقال لهم رجال الغنى بالله) فى كل زمان من عـــالم النفس : أى الأوليـــاء) أصحاب المراتب كمـــا تقدم ، آيتهما من كتـــاب الله (والله غنى عن العـــالمين) يحفظ الله بهما هذا المقـــام ، للواحـــد منهمـــا امداد عـــالم الشهادة فكل غنى فى عـــالم الشهادة فمن هـــذا الرجل ، وللآخر منهما امداد عالم الملكوت فكل غنى بالله فى عالم الملكوت فمن هذا الرجـــل ، والذى يستمدان منه هـــذان الرجلان روح علوى متحقق بالحق غنـــاه الله ما هو تمنـــاه بالله ، فان أضفته اليهما فرجال الغنى ثلاثة وان نظرت الى بشرتيهما ، فرجـــال الغنى اثنان ، وقد يكون منهم النساء فغنى بالنفس وغنى بالله ، قال سيدى محى الدين : ولنا جزء لطيف فى معرفة هؤلاء الرجال الثلاثة رضي الله عنهم •

(ومنهم رضي الله عنهم شخص واحـــد يتكرر بقلبه فى كل نفس) لا ترى فى الرجال أعجب منه حالا ، وليس فى أهل المعرفة بالله أكبر من صاحب هـــذا المقام ، يخشى الله ويتقيـــه ، تحققت منه ورأيتـــه وأفادنى • آيته من كتاب الله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقوله تعالى (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) لا يزال ترعد فرائصهم من خشية الله هكذا شاهدناه •

(ومنهم رضي الله عنهم رجال عين التحكيم والزوائد وهم عشرة) أنفس فى كل زمـــان لا يزيدون ولا ينقصـــون) مقامهم اظهـــار غاية الخصوصية بلسان الانبساط فى الدعاء ، وحالهم زيادة الايمان بالغيب

واليقين فى تحصيل ذلك الغيب ، فلا يكون لهم غيب • اذ كل غيب لهم شهادة ، وكل حال لهم عبادة ، فلا يصير لهم غيب شهادة ، الا ويزيدون ايمانا بغيب آخر ويقينا فى تحصيله ، آيتهم من كتاب الله تعالى (وقل ربِّ زدنى علما) وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ــ فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون) بالزيادة وقوله تعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) •

(ومنهم رضي الله عنهم اثنى عشر نفسا يقال لهم البدلاء وما هم بالبدلاء) وهم فى كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون • مقامهم اظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط فى الدعاء ، وحالهم زيادة الايمان بالغيب واليقين ، وسموا بدلاء لأن الواحد منهم لو لم يوجد الباقين ، ناب منابهم وقام بما يقوم به جميعهم •

(ومنهم رضي الله عنهم رجال الاشتياق وهم خمسة أنفس وهم من ملوك طريق أهل الله) بهم يحفظ الله الوجود العالم آيتهم من كتاب الله تعالى (حافظوا على الصلوات ــ والصلاة الوسطى) لا يفترون عن صلاة فى ليل ولا نهار • قال سيدى محى الدين رضي الله عنه وكان صالح البربرى معهم لقيته وصحبته الى أن مات وانتفعت به ، وكذلك أبو عبد الله المهدى بمدينة فاس صحبته وكان من هؤلاء أيضا •

(ومنهم رضي الله عنهم ستة أنفس فى كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون • كان منهم ابن هارون الرشيد أحمد السبتى • قال سيدى محى الدين رضي الله عنه : لقيته بالطواف يوم الجمعة يوم الصلاة سنة ٥٩٩ وهو يطوف بالكعبة ، وسألته وآجابنى ونحن بالطواف ، وكأن روحه تجسد لى فى الطواف حسا كتجسيد جبريل فى صورة اعرابى ولهم سلطان على الجهات الست التى ظهرت بوجود الانسان • قال رضي الله عنه : وأخبرت أن واحدا منهم كان من جملة العوانية من أهل أرزن الروم ، أعرف ذلك الشخصية بعينه وصحبته ، وكان يعظمنى ويرانى كثير ، واجتمعت به فى دمشق وسواس وفى مليطة وفى قيصرية ، وخدمنى مدة ، وكانت له والدة كان بارا بها ، واجتمعت

به فى حران فى خدمة والدته ، فما رأيت فيمن رأيت من يبر أمه مثله ، وكان ذا مال وله سنون فقدته عن دمشق ، فما أدرى هل عاش أم مات وبالجملة فما من أمر محصور فى العالم فى عدد ما الا ولله رجال بعدده فى كل زمان يحفظ الله بهم الأمر •

القسم الثانى
فى ذكر ما لم يحصرهم عدد رضى الله عنهم

(قال سيدى محى الدين رضي الله عنه : وقد ذكرنا من الرجال المحصورين فى كل زمان فى عدد ما الذين لا يخلو الزمان منهم ما ذكرناه فى هذا الباب فلنذكر من رجال الله الذين لا يختصون بعدد خاص يثبت لهم فى كل زمان بل يزيدون وينقصون •

(فمنهم رضي الله عنهم الملامتية) وقد يقولون الملامية ، وهم سادات أهل طريق الله وأئمتهم ، وسيد العالم فيهم ومنهم ، وهو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الحكماء الذين وضعوا الأمور مواضعها واحكموها وأقروا الأسباب فى أماكنها ونفوها فى المواضع التى ينبغى أن تنبغى عنها ، ولا أخلوا بشيء مما رتبه الله فى خلقه على حسب ما رتبوه ، فما تقتضيه الدار الأولى للدار الأولى وما تقتضيه الدار الآخرة تركوه للدار الآخرة ، فنظروا فى الاشياء بالعين التى نظر الله اليها ، لم يخلطوا بين الحقائق • فالملامية مجهولة أقدارهم لا يفرقهم الا سيدهم الذى حباهم وخصهم بهذا المقام ، ولا عدد يحصرهم بل يزيدون وينقصون •

(ومنهم رضي الله عنهم الفقراء) ولا عدد يحصرهم أيضا بل يكثرون ويقلون • قال تعالى تشريفا لجميع الموجودات وشهادة له : (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) قال أبو يزيد : يا رب •• بماذا أتقرب اليك ؟ قال : بما ليس لى افقاره ولافتقاره • قال تعالى : (وما خلقت الأنس والجن الا ليعبدون) أى أيذلوا لى) •

(ومنهم رضي الله عنهم الصوفية) ولا عدد يحصرهم بل يكثرون ويقلون وهم أهل مكارم الأخلاق يقال من زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف مقامهم الاجتماع على قلب واحد أسقطوا الياءات الثلاثة • فلا يقولون لي ولا عندي ولا متاعي أي لا يضيفون الى أنفسهم شيئا أي لا ملك لهم دون خلق الله ، فهم فيما أيديهم على السواء مع جميع ما سوى الله مع تقدير ما بأيدي الخلق للخلق لا يطلبونهم بهذا المقام وهذه الطبقة هي التي يظهر عليهم خرق العوائد عند اختيار واحد منهم ليقيموا الدلالة على التصديق بالدين وصحته في مواضع الضرورة • وقد عينا مثل هذا من هذه الطائفة منهم من يفعل ذلك لكونه صار عادة لهم كسائر الأمور المعتادة عند أهلها فما هي من حقهم خرق عادة فيمشون على الماء وفي الهواء كما نمشي نحن وكل دابة على الأرض •

(ومنهم رضي الله عنهم العباد) وهم أهل الفرائض خاصة قال تعالى مثنيا عليهم (وكانوا لنا عابدين) ولم يكونوا يؤدون سوى الفرائض ، ومن هؤلاء المنقطعون بالجبال والشعاب والسواحب وبطون الأودية ويسمون السياح ومنهم من يلازم بيته وصلات الجماعات ويشتغل بنفسه ، ومنهم صاحب سبب • ومنهم تارك السبب وهم صلحاء الظاهر والباطن ، وقد عصموا في الغل والحسد ، والحرص والطمع والشره المذموم ، وصرفوا كل هذه الأوصاف الى الجهات المحمودة ، ولا رائحة عندهم من المعارف الالهية ، والأسرار ، وماطلعة الملكوت ، والفهم عن الله تعالى في آياته حين تتلى ، غير أن الثواب لهم مشهود ، والقيامة وأهوالها والجنة والنار لهما مشهودتان ، دموعهم في محاريبهم • (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ــ وتضرعا وخيفة ــ اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، واذا مروا باللغو مروا كراما • يبيتون لربهم سجدا وقياما) شغلهم هول المعاد عن الرقاد • وضمروا بطونهم بالصيام للسباق في حلبة النجاة (واذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)

ليسوا من أهل الاثم والباطل فى شيء عمـــال وأى عمال عاملوا الحق بالتعظيم والاجلال •

كان أبو مسلم الخولانى رحمـــه الله من أكابرهم كان يقوم الليل فاذا أدركه العياء ضرب رجليه بقضبان كانت عنده ويقول لرجليه أنتما أحق بالضرب من دابتى • أيظن أصحاب محمـــد صلى الله عليه وسلم أن يفوقوا بمحمد صلى الله عليـــه وسلم دوننا والله لنزاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا • قال سيدى محى الدين رضي الله عنه ، وكان بعض أحوالى منهم ، كان قد ملك مدينة تلمسان ويقال له يحى بن يغان ، وكان فى زمنه رجل فقيه عابد منقطع من أهل تونس يقال له عبد الله التونسي عابد وقته كان بموضع خارج تلمسان يقال له العباد وكان قد انقطع بمسجد ليعبد الله فيه وقبره مشهور بها بزار بينما هذا الصالح يمشي بمدينة تلمسان اذ لقيه خالنا يحى بن يغان ملك المدينة فى صولة وحشمة فقيل له هذا أبو عبد الله التونسي عابد وقته فمسك لجام فرسه وسلم على الشيخ فرد عليه السلام وكان على الملك ثياب فاخرة فقال له : يا شيخ هـــذه الثياب التى أنا لابسها تجوز لى الصلاة فيها ؟ فضحك الشيخ فقال له الملك : مم • فضحك • فقال : من سخف عقلك وجهلك • بنفسك وحـــالك ، مالك تشبيه عندى الا بالكلب يتمرغ فى دم الجيفـــة وقازوراتها • فاذا جـــاء يبول يرفع رجله حتى لا يصيبه البول • وأنى بوعاء مليان حراما وتسأل عن الثياب ومظالم العباد فى عنقك • قـــال : فبكى الملك ونزل عن دابته ، وخرج من ملكه من حينه ولزم خدمة الشيخ ، فسكنه الشيخ ثلاثة أيام ، ثم جاءه بحبل فقال له : أيها الملك قد فرغت أيام الضيافة ـــ فقم واحتطب ، فكان يأتى بالحطب على رأسه ويدخل به السوق والناس ينظرون اليه ويبكون فيبيع ويأخذ قوته ويتصدق بالباقى ، ولم يزل فى بلده كذلك حتى درج ودفن خارج قرية الشيخ • وقبره اليـــوم بها يزار • فكان الشيخ اذا جاءه الناس يطلبون أن يدعو لهم فيقول لهم التمســـوا الدعاء من يحى

ابن يفان ، فانه ملك وزهــد ، ولو ابتليت بما ابتلى به من الملك ، ربما لم أزهد •

(ومنهم رضي الله عنهم رجــال الماء) وهم قوم يعبــدون الله فى قصور البحــار والأنهار لا يعــلم بهم كل أحــد • أخبرنى أبو البدر التماسكى البغدادى ، وكان صدوقا ثقة عارفا بما ينقل حافظا ضابطا لما ينقل ، عن الشيخ أبى الســعود بن الشبل أمام وقته فى الطريق قال : كنت بشاطىء دجلة بغداد فخطر فى نفسي هل لله عباد يعبدونه فى الماء ؟ قال : فما استممت الخاطر الا واذا بالنهر قد انفلق عن رجل فسلم على وقال : نعم يا أبا السعود لله رجــال يعبدونه فى الماء وأنا منهم • أنا رجل من تكريت وقد خرجت منها لأنه بعــد كذا وكذا يوما يقع كذا وكذا وذكر أمرا يحــدث فيها ثم غاب فى الماء فلمــا انقضت خمسة عشر يوما وقع ذلك الأمر على صورة ما ذكره ذلك الرجل لأبى السعود وأعلمنى بالأمر كما كان •

(ومنهم رضي الله عنهم الأفراد) ولا عدد يحصرهم وهم المقربون بلسان الشرع ، كان منهم محمد الأوانى رحمه الله يعرف بابن قائد أو أنه من أعمال بغداد من أصحاب الامام عبد القــادر الجيلى وكان هذا ابن قائد يقول فيه عبد القادر رضي الله عنه معربد الحضرة كان يشهد له عبد القادر الحاكم فى هذه الطريقة المرجوع الى قوله فى الرجال أن محمد بن قــائد الأوانى من المفردين وهم رجــال خارجون عن دائرة القطب والخضر منهم ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمنة فى جلال اللهتعــالى وهم الكروبيون معتكفون فى حضرة الحــق ســبحانه لا يعرفون سواه ولا يشهدون سوى ما عرفوا منه ليس لهم بذواتهم علم عند نفوسهم مقامهم بين الصديقية والنبوة التشريعية وهو مقام جليل جهله أكثر الناس من أهل طريقنا •

(ومنهم رضي الله عنهم الأمناء) قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان لله أمناء » • وقال فى أبى عبيدة بن الجراح : « انه أمين هذه الأمة رضي الله عنه » وهم طائفــة من الملامتية لا تكون الأمنــاء من

غيرهم ، وهـــم أكابر الملامتية وخواصـــهم فلا يعرف ما عنـــدهم من أحوالهم لجريهم مع الخلق بحكم العوائد المعلومة التى يطلبها الايمان بما هو ايمان • وهو الوقوف عندما أمر الله ونهى على جهة الفرضية ، فاذا كان يوم القيامة ظهرت مقاماتهم للخلق وكانوا فى الدنيا مجهولين بين الناس • قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان لله أمناء » وكان الذى أمنوا عليه ما ذكرناه ولولا أن الخضر ظهر لموسى عليه السلام بما ظهر ما ظهـــر له بشيء من ذلك فانه من الأمنـــاء ويزيدون على سائر الطبقات انهم لا يعرف بعضهم بعضـــا بما عنده فكل واحد يتخيل فى صاحبه انه من عامة المؤمنين • وهذا ليس الا لهذه الطائفة خاصة لا يكون ذلك لغيرهم •

(ومنهم رضي الله عنهم القـــراء) أهل الله وخاصـــة لا عـــدد لهم يحصرهم قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » وأهل القرآن هم الذين حفظوه بالعمل به وحفظوا حروفه فاستظهروه حفظا وعملا وكان أبو يزيد البسطامى منهم فمن كان خلقه القرآن كان من أهله ومن كان من أهل القرآن كان من أهل الله • لأن القرآن كلام الله • ونال هـــذا المقام سهل بن عبد الله التسترى وهو ابن ست سنين •

(ومنهم رضي الله عنهم الأحباب) ولا عـــدد يحصرهم بل يكثرون ويقلون • قال تعالى : (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) فمن كونهم محبين ابتلاهم ومن كونهم محبوبين اجتباهم واصطفاهم وهذه الطائفة على قسمين : قسم أحبهم ابتداء ، وقسم استعملهم فى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعـــالى فأثمرت لهم تلك محبة الله اياهم ؛ قال تعـــالى : (ومن يطع الرســـول فقد أطاع الله) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فهذه محبة قد نتجت لم تكن ابتـــداء وان كانوا أحبابا كلهم ولا خفاء فيما بينهم من المقامات وما من مقام من المقـــامات الا وأهله فيه بين فاضل ومفضـــول وهؤلاء الأحبـــاب علامتهم الصفاء فلا يشوب

ودهم كدر أصلا ، ولهم الثبات على هذه القدم مع الله تعالى ، وهم مع الكون بحسب ما يقـام فيه ذلك الكون من محمـود ومذموم شرعا • فيعاملونه بما يقتضيه الأدب فهـم يوالون فى الله ويعـادون فى الله تعالى • يقول الله تعالى فيمن ادعى هذا المقام يا عبدى • هل عملت لى عمـلا قط ؟ فيقول العبد : يا رب صليت وجـاهدت فعلت وفعلت ويصف من أفعال الخير فيقول الله ، ذلك لك فيقول العبـد : يا رب فما هو العمل الذى هو لك ؟ فيقـول : هل واليت فى وليـا أو عاديت فى عدوا ؟ وهذاهو ايثار المحبوب • قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) وقال : لا تجـد قوما يؤمنون بالله واليـوم الآخر يوادون من حـاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبنـاءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئـك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) فهم أهل التأييـد والقوة ورد فى الخبر الصحيح : « وجبت محبتى للمتحـابين فى والمتجـالسين فى والمتباذلين فى والمتزاورين فى » •

(ومنهم رضي الله عنهم المحدثون) وعمر بن الخطـاب رضي الله عنه منهم قال : سيدى محى الدين بن العربى رضي الله عنه : وكان في زماننا منهم أبو العباس الخشاب وأبو زكريا البحائى بالمعرة بزاوية عمو بن عبد العزيز بريد البقرة • وهم صنفان : صنف يحدثه الحق من خلف حجاب الحديث قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب وهـذا الصنف من طبقـات كثيرة والصنف الآخر تحدثهم الملكية فى قلوبهم وأحيانا على آذانهم وقد يكتب لهم وهم كلهم أهل حديث • فالصنف الذى تحدثه الأرواح الطـريق اليه الرياضيات النفسية ، والمجاهدات البدنية بأى وجه كان • فان النفوس اذا صفت من كدر الوقوف مع الطبـع التحقت بعـاملها المنـاسب لها فأدركت الأرواح وان جمعهم أمر واحـد فلكل روح مقـام معلوم فهـم على درجات وطبقـات فمنهم الكبير والأكبر فجبريل وان كان من أكابرهم فميكائيل أكبر منه ومنصبه فوق منصبه واسرافيـل أكبر من ميكائيل

وجبريل أكبر من عزرائيل فالذى على قلب اسرافيل منه يأتى الامداد اليه وهو أعلى من الذين على قلب ميكائيل فكل محدث من هؤلاء يحدثهم الروح المناسب لهم ؛ وكم من محدث لا يعلم من يحدثه ؛ فهذا من آثار صفاء النفوس وتخليصها مل الوقوف مع الطبع وارتفاعها عن تأثير العناصر والأركان فيها فهى نفس فوق مزاج بدنها • وقنع قوم بهذا القدر من الحديث ولكن ما هو شرط فى السعادة الايمانية فى الدار الآخرة ، لأنه تخليص نفس • فان كان هذا المحدث أتى جميع هذه الصفات التى أوجبت له التخليص من الطبع بالطريقة المشروعة والاتباع النبوى والايمان الجزمى اقترنت بالحديث السعادة • فان أضاف الى ذلك الحديث النبوى الحديث مع الرب من الرب تعطلى اليهم ، كان من الصنف الأول الذى ذكرنا أنه على طبقات •

(ومنهم رضي الله عنهم الاخلاء) ولا عدد يحصرهم بل يكثرون ويقلون • قال تعالى : (واتخذ الله ابراهيم خليلا) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (لو كنت خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله) •

(ومنهم رضي الله عنهم السمراء) ولا عدد يحصرهم وهم صنف خاص من أهل الحديث وهذا الصنف لا حديث لهم مع الروح فحديثهم مع الله تعالى •

(ومنهم رضي الله عنهم الورثة) وهم ثلاثة أصناف : ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات • قال تعالى : (ثم أورثنا الكتاب اللذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) وقال صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الأنبياء » وأما قوله تعالى فى الوارث المصطفى أنه ظالم لنفسه يريد حال أبى الدرداء وأمثاله من الرجال الذين ظلموا أنفسهم لأنفسهم حتى يسعدوها فى الآخرة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا » فاذا صام الانسان دائما وسهر ليلة ولم ينم فقد ظلم نفسه فى حقها

وعينه فى حقها وذلك الظلم لها من أجلها ولهذا قال : (ظالم لنفسه) • فانه أراد بها العزائم وارتكاب الأشد لما عرف منها ومن جنوحها الى الرخص والبطالة وجاءت السنة بالأمرين لأجل الضعفاء فلم يرد الله تعالى بقوله : (ظالم لنفسه) الظلم المذموم فى الشرع ، فان ذلك ليس بمصطفى ، وأما الثانى من ورثة الكتاب فهو المقتصد وهو الذى يعطى نفسه حقها من راحة الدنيا ليستعين بذلك ما يحملها عليه من خدمة ربها فى قيامها بين الراحة وأعمال البر وهو حال بين حالين بين العزيمة والرخصة وفى قيام الليل يسمى المقتصد متهجدا ، لأنه يقوم وينام ، وعلى مثل هذا تجرى أفعاله • وأما السابق بالخيرات فهو المبادر الى الأمر قبل دخول وقته ليكون على أهبة واستعداد واذا دخل الوقت كان متهيئا لأداء فرض الوقت لئلا يمنعه من ذلك مانع كالمتوضىء قبل دخول الوقت والجالس فى المسجد قبل دخول وقت الصلاة فاذا دخل الوقت كان على طهارة فى المسجد فيسابق الى أداء فرضه وهى الصلاة • وكذلك ان كان له مال أخرج زكاته وعينها ليلة فراغ الحول ورفعها لربها فى أول ساعة من الحول الثانى للعامل الذى يكون عليها وكذلك فى جميع أفعال البر كلها يبادر اليها كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لبلال وبم سبقتنى الى الجنة ؟ فقال بلال ما أحدثت قط الا توضأت ولا توضأت الا صليت ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بهما » فهذا وأمثاله من السابق بالخيرات وهو كان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المشركين فى شبابه وحداثة سنه ولم يكن مكلفا بشرع فانقطع الى ربه وتحنث وسابق بالخيرات ومكارم الأخلاق حتى أعطاه الله الرسالة [١]

---

(١) من كتاب جامع كرامات الأولياء تأليف الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوه عضو المدرس بالأزهر الشريف الجزء الأول طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى صفحة (٦٨) .

ذكر أصناف أهل الولاية من البشر مضافا الى ما تقدم ممن حصرتهم الأعداد ومن لا يحصرهم عدد

فمن الاولياء رضى الله عنهم : الانبياء صلوات الله عليهم — تولاهم الله بالنبوة وهم رجال اصطنعهم الله لنفسه ؛ واختارهم لخدمته ، واختصهم من سائر العباد لحضرته شرع لهم ما تعبدهم به فى ذواتهم ، ولم يأمر بعضهم بأن تتعدى تلك العبادات الى غيرهم بطريق الوجوب ، فمقام النبوة مقام خاص فى الولاية ، فهم على شرع من الله أحل لهم أمورا قصرها عليهم دون غيرهم ، اذا كانت الدار الدنيا تقتضى ذلك لأنها دار الموت والحياة وقد قال تعالى (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم) والتكليف هو الابتلاء فالولاية نبوة عامة والنبوة التى بها التشريع نبوة خاصة •

ومن الاولياء رضوان الله عليهم : الرسل صلوات الله عليهم تولاهم الله بالرسالة ، فهم النبيون المرسلون الى طائفة من الناس ، أو يكون ارسالا عاما الى الناس ولم يحصل ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فبلغ عن الله ما أمره الله بتبليغه فى قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك — وما على الرسول الا البلاغ) فمقام التبليغ هو المعبر عنه بالرسالة لا غير • واعتذر سيدى محى الدين عن عدم كلامه على مقام النبوة والرسالة بأنه ليس له ذوق ولا لغيره ممن ليسوا أنبياء فى ذلك ، قال رضى الله عنه فحرام علينا الكلام فيه ، فما نتكلم الا فيما لنا فيه ذوق ، فما عدا هذين المقامين ، يعنى مقام النبوة ومقام الرسالة ، فلنا الكلام فيه عن ذوق لأن الله ما حجره •

(ومن الاولياء أيضا : الصديقون رضى الله عن الجميع) تولاهم الله بالصديقية ، قال الله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون) فالصديق من آمن بالله وبرسله عن قول المخبر لا عن دليل

سوى النور الايمانى الذى يجده فى قلبه المانع له من تردد أو شك يدخله فى قول المخبر الرسول وليس بين النبوة التى هى نبوة التشريع وبين الصديقية مقام ولا منزلة فمن تخطى قاب الصديقين وقع فى النبوة ومن ادعى نبوة التشريع بعد محمد صلى الله عليه وسلم فقد كذب وكفر بما جاء به ، الصادق رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أن ثم مقام القربة فوق الصديقية ودون نبوة التشريع • قال سيدى محى الدين رضى الله عنه : وهذا المقام الذى أثبتناه بين الصديقيه ونبوة التشريع الذى هو مقام القربة وهو للافراد وهو دون نبوة التشريع فى المنزلة عند الله ، وفوق المنزلة التشريعية عند الله هو المشار اليه بالسر الذى وقر فى صدر أبى بكر الصديق ففضل به الصديقين فليس بين أبى بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لأنه صاحب صديقه وصاحب سر •

ومن الأولياء أيضا : الشهداء رضي الله عنهم تولاهم الله بالشهادة وهم من المقربين ، وهم أهل الحضور مع الله على بساط العلم به ، قال تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) فجمعهم مع الملائكة فى بساط الشهادة ، فهم موحدون عن حضور الهى وعناية أزلية ، فهم الموحدون وشأنهم عجيب وأمرهم غريب ، وهؤلاء الشهداء الذين تعمهم هذه الآية هم العلماء بالله المؤمنون بعد العلم بما قاله سبحانه والصديق أتم نورا من الشهيد فان توحيده عن علم لا عن ايمان ، فنزل عن الصديق فى مرتبة ايمان ، وهو فوق الصديق فى مرتبة العلم ، فهو المتقدم بمرتبة العلم والمتأخر بمرتبة الايمان والتصديق •

(ومن الاولياء رضى الله عنهم) الصالحون : تولاهم الله تعالى بالصلاح وجعل رتبتهم بعد الشهداء فى المرتبة الرابعة وما من نبى الا وقد ذكر انه صالح وانه دعا أن يكون من الصالحين مع كونه نبيا ، فدل على أن رتبة الصلاح خصوص فى النبوة ، وقد تحصل لمن ليس بنبى ولا صديق ولا شهيد فصلاح الأنبياء هو مما يلى بدايتهم والصالحون

هم الذين لا يدخل فى عملهم ولا ايمانهم بالله وبما جاء من عند الله خلل ، فاذا دخله خلل بطل كونه صالحا ، فهذا هو الصلاح الذى رغب فيه الأنبياء صلوات الله عليهم فكل من لم يدخله خلل فى صديقته فهو صالح ، ولا فى شهادته فهو صالح ، ولا فى نبوته فهو صالح .

(ومنهم رضى الله عنهم : المسلمون والمسلمات) تولاهم الله بالاسلام ، وهو انقياد خاص لما جاء من عند الله لا غير فاذا وفى العبد الاسلام بكل لوازمه وشروطه وقواعده فهو مسلم وان انتقص شيئا من ذلك فليس بمسلم فيما أخل به من الشروط ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) واليد هنا بمعنى القدرة ، أى سلم المسلمون مما هو قادر على أن يفعل بهم مما لا يقتضيه من التأدى لحدود الله فيه . وذكر اللسان لأنه قد يؤذى بالذكر من لا يقدر على ايصال الأذى اليه بالفعل ولم يثبت الشارع صلى الله عليه وسلم الاسلام الا لمن سلم المسلمون منه .

(ومن الاولياء أيضا رضى الله عنهم : المؤمنين والمؤمنات) تولاهم الله بالايمان الذى هو القول والعمل والاعتقاد . وحقيقته الاعتقاد شرعا ولغة وهو فى القول والعمل شرعا لا لغة ، فالمؤمن من كان قوله وفعله مطابقا لما يعتقده ولذلك القول والفعل ولهذا قال تعالى بالمؤمنين (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) يريد ما قدموه من الاعمال الصالحة عند الله ، فاولئك من الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما . قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم » وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن من أمن جاره بوائقه » ولم يخص مؤمنا ولا مسلما ، بل قال الناس والجار من غيره تقييد ، فان المسلم قيده بسلامة المسلمين ، ففرق بين المسلم والمؤمن بما قيده به وبما أطلقه فعلمنا ان — للايمان خصوص وصف وهو التصديق تقليدا من غير دليل ليفرق بين الايمان — والعلم .

واعلم أن المؤمن المستطلح عليه فى طريق الله عند أهله الذى اعتبره الشرع له على مثان فى نفسه اذا وجده كان من المؤمنين ،

والعلامة الواحدة : ان يصير الغيب له كالشهادة فى عدم الريب ، والعلامة الثانية : ان يسرى الايمان منه فى نفس العالم كله ، فيؤمنه على القطع على أموالهم وأنفسهم وأهلهم من غير أن يتخلل ذلك الامان تهمة فى أنفسهم من هذا الشخص ، وذلك هو المشهود له بأنه من المؤمنين ، ومهما لم يجد هاتين العلامتين فلا يغالط نفسه ولا يدخلها فى المؤمنين فليس الا ما ذكرناه .

(ومن الاولياء أيضا : القانتون والقانتات رضى الله عنهم) تولاهم الله بالقنوت وهو الطاعة لله فى كل ما أمر به ونهى عنه ، قال الله تعالى (وقوموا لله قانتين) أى طائعين ، وقال تعالى (والقانتين والقانتات) .

قال سيدى محى الدين رضى الله عنه : وقفت يوما أنا وعبد صالح معى يقال له الحاج مدور يوسف الاوسنجى ، كان من الأميين المنقطعين الى الله ، المنورة بصائرهم على سائل يقول : من يعطى شيئا لوجه الله ففتح صرة دراهم كانت عنده وجعل ينقى له من بين الدراهم قطعة صغيرة يدفعها للسائل ، فوجد ثمن درهم فأعطاه اياه ، وهذا العبد الصالح ينظر اليه ، فقال له : يا فلان تدرى على ما يفتش هذا المعطى ؟ فقلت لا . قال على قدره عند الله ، لأنه أعطى السائل لوجه الله : فعلى قدر ما أعطى لوجهه تعالى ذلك قيمته عند ربه .

ولكن من شرط القانت عندنا أن يطيع الله من حيث ما هو عبد الله لا من حيث ما وعده الله به من الأجر والثواب لمن أطاعه ، وأما الأجر الذى يحصل للقانت فذلك من حيث العمل الذى أوجب له القنوت .

(من الاولياء أيضا الصادقون والصادقات رضى الله عنهم) تولاهم الله تعالى بالصدق فى أقوالهم وأحوالهم ، قال تعالى « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

(ومن الاولياء أيضا الصابرون والصابرات رضى الله عنهم) تولاهم الله بالصبر وهم الذين حبسوا أنفسهم مع الله على طاعته من

غير توقيت ، فجعل الله جزاهم على ذلك من غير توقيت ، فقال تعالى « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » • فما وقت لهم فانهم لم يوقتوا ، فعم صبرهم جميع المواطن التى يتطلبها الصبر ، فكما حبسوا نفوسهم عند وقوع البلايا والرزايا بهم عن سؤال ما حسبوا نفوسهم عند وقوع البلايا والرزايا بهم عن سؤال ما سوى الله فى رفعها عنهم بدعاء الغير أو بشفاعة أو طلب ، ولا يقدح فى صبرهم شكواهم الى الله فى رفع ذلك البلاء عنهم الا ترى أيوب عليه السلام سأل ربه رفع البلاء عنه بقوله (مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) ففى هذه الكلمة اثبات وضع الاسباب وعارض فيها لربه برفع البلاء عنه فاستجاب له ربه وكشف ما به من الضر • فأثبت بقوله تعالى (فاستجبنا له) ان دعائه كان فى رفع البلاء فكشف ما به من ضر ومع هذا أثنى عليه بالصبر وشهد له به فقال سبحانه وتعالى (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوَّاب) أى رجع الينا فيما ابتليناه به وأثنى عليه بالعبودية فلو كان الدعاء الى الله فى رفع الضر ورفع البلايا يناقض الصبر المشروع المطلوب فى هذا الطريق لم يثنى الله على أيوب الصبر وقد أثنى عليه به بل عندنا من سوء الأدب مع الله ان لا يسأل العبد رفع البلاء عنه لأن فيه رائحة من مقاومة القهر الالهى بما يجده من الصبر وقوته قال العارف : انه جوعنى لأبكى فالعارف وان وجد القوة الصبرية فليفر الى مواطن الضعف والعبودية وحسن الأدب فان القوة لله جميعا • فيسأل ربه رفع البلاء عنه أو عصمته منه أن توهم وقوعه وهذا لا يناقض الرضاء بالقضاء فان البلاء الى القضاء انما هو عين المقضى لا القضاء فيرضى بالقضاء ويسأل الله فى رفع المقضى به عنه فيكون راضيا صابرا فهؤلاء أيضا هم الصابرون الذين أثنى الله عليهم •

روى بعض السادة وهو يبكى من الجوع فقيل له أنت من أنت وتبكى من الجوع : انما جوعتنى لأبكى فهذه كلمة عالم بالله محقق فى طريق الله عارف بنفسه وبربه •

ومن الاولياء أيضا : الخاشعون والخاشعات رضى الله عنهم) تولاهم الله بالخشوع من ذل العبودية القائم بهم لتجلى سلطان الربوبية على قلوبهم فى دار الدنيا •

ومن الاولياء أيضا المتصدقون والمتصدقات رضى الله عنهم) تولاهم الله بجودة ليجودوا بما استخلفهم الله فيه مما افتقر اليه خلق الله تعالى فاحوج الله الخلق اليهم لغناهم بالله •

ومن الاولياء أيضا الصائمون والصائمات رضى الله عنهم) تولاهم الله بالامساك الذى يورثهم الرفعة عند الله تعالى على كل شىء أمرهم الحق ان يمسكوا عنه أنفسهم وجوارحهم ، فمنه ما هو واجب ومندوب •

ومن الاولياء أيضا : الحافظون لحدود الله والحافظات رضى الله عنهم) تولاهم الله بالحفظ الالهى فحفظوا به ما تعين عليهم أن يحفظوه وهم على طبقتين ذكرهم الله تعالى فخصص وعم وهم الحافظون فروجهم خصص والحافظون لحدود الله •

ومن الاولياء أيضا : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رضى الله عنهم) تولاهم الله بالالهام الذكر ليذكروه فيذكرهم قال تعالى (فاذكرونى أذكركم) فآخر ذكره اياهم عن ذكرهم اياه وقال تعالى : أى فى الحديث القدسى « من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه » وقال « من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا » وقال تعالى (فاتبعونى يحببكم الله) فالذكر أعلى المقامات كلها والذاكر هو الرجل ، الذى له الدرجة على غيره من أهل المقامات •

ومن الاولياء أيضا : التائبون والتائبات والتوابون رضى الله عنهم « تولاهم الله بالتوبة اليه فى كل حال أو فى حال واحد سار فى كل مقام والتائب الراجع اليه تعالى من عين المخالفة ولو رجع ألف مرة فى كل يوم فما يرجع الا من المخالفة فالتوابون أحباب الله بنص كتابه ،

الناطق بالحق الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) •

ومن الاولياء أيضا : المتطهرون من رجال ونساء رضى الله عنهم) تولاهم القدوس بتطهيره فتطهيره تطهير ذاتى لا فعلى وهى صفة تنزيل قال تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) واعلم أن المتطهرين فى هذا الطريق عباد الله الاولياء فالمتطهر هو الذى تطهر من كل صفة تحول بينه وبين الدخول على ربه ولهذا شرع فى الصلاة الطهارة لأن الصلاة طريق للصلة بين العبد وربه •

ون الاولياء أيضا : الحامدون من رجال ونساء رضى الله عنهم) تولاهم الله بعواقب ما تعطيه صفات الحمد فهم أهل عاقبة الامور • قال تعالى (ولله عاقبة الأمور) فالحامد من عباد الله من يرى الحمد المطلق على السنة العالم كله سواء كان الحامدون من أهل الله أو يكونوا وسواء كان المحمود الله أو كان مما يحمد الناس به بعضهم بعضا • فانه فى نفس الأمر ترجع عواقب الثناء كلها الى الله لا الى غيره فالحمد انما هو لله خاصة بأى وجه كان ؛ فالحامدون الذين أثنى الله عليهم فى القرآن هم الذين طالعوا نهايات الأمور فى ابتدائها وهم أهل السوابق فشرعوا فى حمده ابتداء بما يرجع اليه سبحانه وتعالى جل جلاله من حمد المحجوبين انتهاء • فهؤلاء هم الحامدون على الشهود بلسان الحق •

ومن الاولياء أيضا : السائحون وهم المجاهدون فى سبيل الله من رجال ونساء رضى الله عنهم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله » قال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون) والسياحة المشى فى الارض للاعتبار برؤية آثار القرون الماضية ومن هلك من الأمم السالفة وذلك أن العارفين بالله لما علموا أن الارض تزهو وتفخر بذكر الله عليها وهم رضى الله عنهم أهل ايثار وسعى فى حق الغير ورأوا أن المعمور من الأرض لا يخلو عن ذاكر الله فيه من عامة الناس • وان المفاوز المهلكة البعيدة

عن العمران لا يكون فيها ذاكر لله من البشر • لزم بعض العارفين السياحة صدقة منهم على البيد التى لا يطرقها الا أمثالهم وسواحل البحار وبطون الاودية وقمم الجبال والهضاب ، والجهاد فى أرض الكفر التى لا يوحد الله تعالى فيها ويعبد فيها غير الله ولذلك جعل النبى صلى الله عليه وسلم سياحة هذه الأمة الجهاد فان الارض ان لم يكفر عليها ولا ذكر الله فيها أحد من البشر فهى أقل حزنا وهما من الارض التى عبد غير الله فيها وكفر عليها وهى أرض المشركين والكفار فكانت السياحة بالجهاد أفضل من السياحة فى غير الجهاد ولكن بشرط أن يذكر الله عليها ولا بد فان ذكر الله فى الجهاد أفضل من لقاء العدو فيضرب المؤمنون رقابهم ويضرب الكفار رقاب المؤمنين والمقصود اعلاء كلمة الله فى الاماكن التى يعلو فيها ذكر غير الله ممن يعبد من دون الله فهؤلاء هم السائحون قال سيدى محى الدين رضى الله عنه : لقيت من أكابرهم يوسف المغاورى الجلاء ساح مجاهدا فى أرض العدو عشرين سنة • وممن رابط بثغر الاعداء شاب بجلمانية نشأ فى عبادة الله تعالى يقال له أحمد بن همام الشقاق بالاندلس وكان من كبار الرجال مع صغر سنه انقطع الى الله تعالى على هذا الطريق وهو دون البلوغ واستمر حاله على ذلك الى أن مات رضى الله عنه •

ومن الاولياء أيضا : الراكعون من رجال ونساء رضى الله عنهم) وصفهم الله تعالى فى كتابه بالراكعين وهو الخضوع والتواضع لله تعالى •

ومن الاولياء أيضا : الساجدون من رجال ونساء رضى الله عنهم) تولاهم بسجود القلوب فهم لا يرفعون رؤسهم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وهو حال القربة وصفة المقربين ، لا يكون السجود الا من قرب وشهود ولهذا قال تعالى (واسجد واقترب) يعنى اقتراب كرامة وبر وتحف كما يقول الملك للرجل اذا دخل عليه فحياه بالسجود له بين يديه فيقول له الملك : ادنه حتى ينتهى منه حيث يريد من القربة • فهذا معنى قوله تعالى « واقترب » فى حال السجود اعلاما بأنه قد شاهد من

سجد له وأنه بين يديه ، وهو يقول له اقترب ليضاعف له القربة كما قال تعالى فى الحديث القدسى : من تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا • فاذا كان اقتراب العبد عن أمر الهى كان أعظم وأتم فى بره واكرامه لأنه ممتثل أمر سيده على الكشف • فهذا هو سجود العارفين الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يطهر بيته لهم ولأمثالهم • فقال عز من قائل (وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) •

ومن الاولياء أيضا : الآمرون بالمعروف من رجال ونساء رضى الله عنهم) تولاهم الله بالأمر بالله اذا كان هو المعروف فلا فرق بين ان تقول الآمرون بالمعروف أو الآمرون بالله ؛ لأنه سبحانه وتعالى هو المعروف الذى لا ينكر قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات ليقولن الله) مع كونهم مشركين وقالوا (ما نعبدكم) يعنى الالهة (الا ليقربونا الى الله زلفى) وهو المعروف عندهم بلا خلاف فى ذلك فى جميع الملل والعقول • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عرف نفسه فقد عرف ربه » فهو المعروف ، فمن أمر به فقد أمر بالمعروف فقد أمر بالمعروف فهؤلاء هم الطبقة العليا فى الأمر بالمعروف وكل آمر بالمعروف فهو تحت حيطة هذا الأمر فاعلم ذلك •

ومن الاولياء أيضا : الناهون عن المنكر من رجال ونساء رضى الله عنهم) تولاهم الله بالنهى عن المنكر • والمنكر الشريك الذى أثبته المشركون بجهلهم فلم يقبله التوحيد العرفانى الالهى وأنكره فصار منكرا من القول وزورا فلم يكن ثم شريك له عين أصلا •

ومن الاولياء أيضا الحلماء من رجال ونساء رضى الله عنهم) تولاهم الله بالحلم وهو ترك الأخذ بالجريمة فى الحال مع القدرة على ذلك فلم يعجل فان العجلة بالأخذ عقيب الجريمة دليل على الضجر فالحليم هو الذى لا يعمل مع القدرة وارتفاع المانع •

ومن الاولياء أيضا : الأواهون من رجال ونساء رضى الله عنهم)

قال سيدى محى الدين رضى الله عنه : لقيت منهم امرأة بمرشانة الزيتون من بلاد الاندلس تدعى ياسمين مسنة تولى الله هذا الصنف بالتأوه مما يجدونه فى صدورهم أثنى الله تعالى على خليله ابراهيم عليه السلام بذلك بقوله (ان ابراهيم لحليم أواه منيب) الاواه الحليم فتأوه لما رأى من عباده قومه ما نعتوه وقد حلم فلم يعجل بأخذهم على ذلك مع قدرته عليهم بالدعاء عليهم ولهذا سمى حليما وكان يوجه لهم الايمان فيما بعد فهذا سبب حلمه فلو علم من قومه ما علم نوح عليه السلام حيث قال (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) ما حلم منهم •

ومن الاولياء أيضا : الاجناد الالهيون الذين لهم الغلبة على الاعداء من رجال ونساء رضى الله عنهم) قال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) وعدة هؤلاء الجند التقوى والمراقبة والحياء والخشية والصبر والافتقار • منهم أهل علم وايمان يكون عنه خرق عوائد يكون لهم ذلك مقام الأدلة للعالم فيدفعون بخرق العوائد أعداء الله وأعداءهم كما يدفعه صاحب الدليل • فمثل هذه الطبقة هم المسلمون جندا • وأما المؤمنون الذين ليس عندهم خرق عادة لدفع عدو فليسوا بأجناد ، وان كانوا مؤمنين • والجامع لمعرفة هذه الطبقة أن كل شخص يقدر على دفع عدو بآله تكون عنده فهو من جنده سبحانه وتعالى الذين لهم الغلبة والظفر والقهر وهو التأييد الالهى الذى يقع به ظهورهم على الاعداء • قال تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) •

ومن الاولياء أيضا : الاخيار من رجال ونساء رضى الله عنهم) قال تعالى (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) تولاهم الله بالخيرة قال تعالى (أولئك لهم الخيرات) جمع خيرة وهى الفاضلة من كل شىء • فالاخيار وهى الفاضلة من كل شىء • فالاخيار كل من زاد على جميع الاجناس بأمر لا يوجد فى غير جنسه من العلم بالله تعالى على طريق خاص لا يحصل الا لأهل ذلك الجنس •

(ومن الاولياء أيضا : الأوابون من رجال ونساء رضى الله عنهم)

تولاهم الله بالأوبة فى أحوالهم قال تعالى (انه كان للأوابين غفورا)
فالاواب : الرجاع الى الله تعالى من كل ناحية من الأربع التى يأتى
منها ابليس الى الانسان ، من ناحية ايديهم ، ومن خلفهم ، وعن
ايمانهم ، وعن شمائلهم ، فهم يرجعون فى ذلك كله الى الله تعالى أولا
وآخرا •

(ومن الاولياء أيضا : المخبتون من رجال ونساء رضى الله عنهم)
تولاهم الله بالاخبات وهو الطمأنينة قال ابراهيم عليه السلام (ولكن
ليطمئن قلبى) أى ليسكن ، والمخبت المطمئن من الأرض ، فالذين
اطمأنوا بالله من عباده وسكنت قلوبهم اطمأنوا اليه سبحانه فيه
وتواصفوا تحت اسمه رفيع الدرجات وذلوا لعزته واولئك هم
المخبتون الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى كتابه أن يبشرهم
فقال له (وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين
على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) فهذه صفات
المخبتين •

(ومن الاولياء أيضا : المنيبون الى الله تعالى من رجال ونساء
رضى الله عنهم) تولاهم الله بالانابة اليه سبحانه ، قال تعالى (ان
ابراهيم لحليم أواه منيب) فالرجال المنيبون هم الذين يرجعون الى
الله من كل شىء ، أمرهم الله بالرجوع عنه مع شهودهم فى حالهم
انهم نواب عن الله تعالى فى رجوعهم •

(ومن الاولياء أيضا : المبصرون من رجال ونساء رضى الله
عنهم) تولاهم الله بالابصار وهو من خصائص المتقين قال تعالى (ان
الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) •

(ومن الاولياء أيضا : المهاجرون والمهاجرات رضى الله عنهم)
تولاهم الله بالهجرة بأن الهمهم اياها ووفقهم لها ، قال الله تعالى (ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره
على الله) فالمهاجر من ترك ما أمره الله ورسوله بتركه •

(ومن الأولياء أيضا : المشفقون من رجال ونساء رضى الله عنهم) تولاهم الله بالاشفاق من خشية ربهم قال تعالى (ان الذين هم مــن خشية ربهم مشفقون) يقال : اشفقت منه فأنا مشفق اذا حذرته قال تعالى (من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهــم غير مأمــون) أى حذرون من عذاب ربهم غير أمنين وقوعه بهم ، فالمشفقون من الاولياء من خاف على نفسه من التبديل والتحويل فان أمنه الله بالبشرى رجع اشفاقه على خلق الله مثل اشفاق المرسلين على أممهم .

(ومن الأولياء أيضا : الموفون بعهد الله من رجال ونســاء رضى الله عنهم) تولاهم الله بوفاء العهد قال تعالى (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) وقال سبحانه (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وهم الذين لا يغدرون اذا عاهدوا ، فالوفاء من شيم خاصة أهل الله فمن أتى فى أموره التى كلفه الله ان يأتى بها على التمام أو أكثر ذلك فى حالاته كلها ، فهو وفى وقد وفى قال تعالى (وابراهيم الذى وفى) وقال تعالى (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيمــا) وهم أهل اشراف على الاسرار الالهية المخزونة وقال نوفى على الشىء اذا أشرف فمن كان بهذه المثابة من الوفاء بما كلفه الله وأشرف على ما اختزنه الله من المعارف عن أكثر عباده فذلك هو الوفى .

(ومن الأولياء أيضا : الخائفون من رجال ونســاء رضى اللــه عنهم) تولاهم الله تعالى بالخوف منه أو سما خوفهم منه امتثالا لأمره فقال (وخافون ان كنتم مؤمنين) اثنى عليهم بأنهم (يخافون يومــا تتقلب فيه القلوب والابصار — ويخافون سوء الحساب) فاذا خافوا التحقوا بالملأ الاعلى فى هذه الصفة فانه تعالى قال فيهم (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) .

(ومن الأولياء أيضا : المعرضون عمن أمرهم اليه بالاعراض عنه من رجال ونساء رضى الله عنهم) تولاهم الله بالاعراض عنهم ، قال تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) وقال تعالى (فأعرض عمــن تولى عن ذكرنا) .

(ومن الأولياء أيضا : الكرمائيون من رجال ونســاء رضى اللــه عنهم) تولاهم الله بكرم النفوس فقال تعالى (واذا مروا باللغو مروا كراما) أى لم ينظروا لما أسقط الله النظر اليه فلم يتدنسوا بشىء منه فمروا به غير ملتفتين اليهكراما ، فما أثر فيهم • هذا ما أردت نقله من الفتوحات المكية ، وهو آخر المقدمة والحمد لله رب العالمين [1] •

---

(1) نقل هذا الفصل من كتاب جامع الكرامات للاولياء للشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى الجزء الاول طبعه شركة ومكتبة ومطبعة البــالى الحلبى وأولاده بمصر صفحة (٨٦) •

التبرك بآثار الصالحين

ان فى ليلة الاسراء لكبير دلالة على التبرك بآثار الصالحين حيث قال عز وجل (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) وبين لنا صاحب السنة المطهرة ما كان من الاسراء الذى منه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نزل فصلى بأرض هجرته وفى المكان الذى سيدفن • ثم نزل عند الشجرة التى كانت سببا فى بدء رسالة موسى • ثم نزل على طور سيناء الذى كلم الله تعالى فيه عيسى عليه السلام وكان فى كل منزل يصلى فيه صلى الله تعالى عليه فيه ركعتين وهكذا حتى تم الاسراء فى جميع بقاع الأرض والأمور التى عاين فيها كل ما يجب على كل مسلم العمل به والنهى عنه• وما حصل بالاجتماع العام الذى جمع الله تعالى له فيه جميع الأنبياء المرسلين • وما حصل فى المعراج من انتظار المرسلين لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل سماء وما دار بينهم من الكلام الذى بينه فى السنة فى ذلك من خوارق العادات والكل كانوا أمواتا وما حصل من جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى من قوله الى هنا آخر مقامى يا محمد وهو ملك مخلوق من نور وما حصل لحضرته وهو صلى الله عليه تعالى وسلم بشر وقد أجازه الله تعالى الى ما فوق العرش حتى قال العارف بذلك :

بين عمران شرفت سيناء وبادريس والمسيح السماء
ولك العرش موطىء ووطاء كيف ترقى رقيك الأنبياء

يا سماء ما طاولتها سماء

فكان يكفى هذا فى بيان التبرك بآثار الصالحين وان السنة المطهرة لملأى من بياناته الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم التى منها ماء وضوءه صلى الله تعالى عليم وسلم •

ثم تقبيل يديه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى صار سنة لعباد

الله الصالحين للتبرك بهم من بعد حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم للتأسى بالصحابة مع حضرته وهكذا كان أمر التابعين ومن تبعهم الى يوم الدين ، والسنة مليئة بالبيان الشريف الصادر عنهم أجمعين وناهيك بما صدر من غير قصد وهو وفد عبد القيس وغيرهم وهناك بيان عبد الله ابن العباسى الذى أمسك بذمام دابته فقال ما هذا يابن عباس فقال : أمرنا بأن نفعل مع أشياخنا هكذا فقبل شيخه يده وقال وبهذا أمرنا أن نفعل مع آل بيت نبينا . فتقبيل يد الصالحين سنة من سيد العالمين ولا ينكرها الا الجاهلون المخالفون الخارجون عن اجماع المسلمين . هذا وان الشهاب الخفاجى محشى البيضاوى سأل شيخه فقال ان ناسا ينكرون على من يقبل يد الصالحين فقال :

قبل يد الخيرة أهل التقى ولا تخف طعن أعاديهم
ريحانة الرحمن عباده وشمها لثم أياديهم

واليك واقعة حال وقعت معى وهى أنى اطلعت على مجلة نداء الشرق وقلت فيها أن الامام أحمد بن حنبل كان يتبرك بآثار شيخه وأجاز تقبيل قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . والصالحين والوهابية يدعون أنهم حنابلة وينكرون كل ذلك بل يقولون لمن يفعل ذلك مشرك فرد على أحد الوهابية فقال : ان الشيخ عبد ربه رجل عظيم ولكنه سرد كلاما بدون دليل وقال ان الامام أحمد بن حنبل توسل بشيخه الامام الشافعى ولم يذكر لنا فى أى كتاب توسل الامام بشيخه الامام الشافعى وقال فى الرد كلاما فرددت عليه وقلت مانصه ــ بعد اطلاعنا على مقال الاستاذ عبد الله بن محمد العالم بنجد الذى لم يخرج فيه عن دائرة عقيدة الوهابية فى انكارهم ما عليه خيار الأمة الاسلامية من بيان ما اشتمل عليه صريح الآيات القرآنية التى حادوا عنها وخالفوها فى عقائدهم وهى لم تخرج عن مقال صاحبه امام المسجد الحرام . حذوك النعل بالنعل وقد سبق رددنا عليه فى خمس مقالات ويظهر أنهم اقتنعوا بما ذكرناه لهم فى سابق الاعداد غير انهم لم يصلوا الى معرفة ما توسل به سيدنا أحمد بن حنبل

بأشياخه وآثارهم المباركة حتى انهم طلبوا منا الدليل على ذلك • وها هو الدليل والبيان ، قال الحافظ العراقى فى كتابه فتح المتعال : اخبرنى الحافظ أبو سعد بن العلاء قال رأيت فى كلام والدي أحمد بن حنبل فى جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الامام أحمد ابن حنبل سئل عن تقبيل قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتقبيل غيره فقال لا بأس بذلك ، فأريناه الشيخ تقى الدين بن تيمه ، فصار يتعجب من ذلك • ويقول « عجب عندى أحمد جليل ، أيقول ذلك ؟ قال وأى عجب فى ذلك وقد روينا عن الامام انه غسل قميصا للشافعى وشرب الماء الذى غسله به • وموجود بخط الحافظ الضياء المقدسى الحنبلى فى كتابه الحكايات المنثورة المحفوظ الآن تحت رقم ٩٨ من المجاميع بظاهرية دمشق انه سمع الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى يقول انه خرج فى عضده شىء يشبه الدمل فأعيته مداواته ثم مسح به قبر أحمد بن حنبل فبرىء • ولم يعد اليه • وفى تاريخ الخطيب جزء أول ص ١٢٣ يسند الى الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال : انى لأتبرك بأبى حنيفة وأجىء الى قبره كل يوم يعنى زائرا • هذا ابن يتيمه الذى جمع لكم من المخالف لاجماع المسلمين والمتلون فى رسائلهم جميعا • يروى عن الامام أحمد أنه تبرك بآثار شيخه الشافعى فكيف تفهمون كلام رب العالمين وسنة رسوله سيد الاولين فيا للعجب والسلام • كان هذا ردى عليهم فلم يستطيعوا بعد ذلك كلاما • ثم أنه ثبت عن سيدى الامام الشافعى أنه فى توسلاته قال :

وبالعلماء العاملين بعلمهم وبالاولياء السالمين من الدعوى

وها هو المشهود عنه رضى الله تعالى عنه :

أحب الصالحين ولست منهم وعسى بالصالحين أنال الشفاعة
وأكره من تجارته المعاصى ولو كنا سويا فى البضاعة

قال له سيدى أحمد بن حنبل تلميذه رضى الله تعالى عنه :

أنت تحب الصالحين وأنت منهم وعسى بك الصالحون ينال الشفاعة

وحقا تكره من تجارته المعاصى حمـاك الله من تلـك البضاعـة

وهذه سنة الله تعالى فى خلقه التى جعل عباده أجمع على المقابلة والمماثلة فالصالحون يحبون الصالحين والمخالفون يحبون المخالفين •
ثم انا قدمنا لك بأن تقبيل قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقبور الصالحين جائز ، لا شىء فيـه • ونبينه لـك من وجهين أولا — ان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يقبلون قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا أمر سائد عندهم بالفطرة وأظنهم أخذوه من بيانه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم من تقبيله الحجر الأسـود لأنه ينسب الى جهة المعبود سبحانه وقس على ذلك قبره صلى اللـه تعالى عليه وسلم ولذا لما جاءت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها زائرة لقبر أبيها اللهم صلى وسلم وبارك عليه وآله قبضت قبضة من التراب الذى على القبر الشريف ثم قالت :

وماذا على من شم تربة أحمد انه لا يشم مدى الزمان غواليا
صبـت على مصائب لو أنها صبت على الايـام عدن لياليا

ثم قبلت التراب ووضعته وتناولها للتراب ولم تطئطىء أمـام الناس ولم ينكر عليها أحد من الصحابة وها هو سيدنا بلال لما جـاء للشام لزيارة معاوية ومكث عنده اثنى عشر يوما فرأى رسول اللـه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له « أوحشتنا يا بلال » فقام من نومه عازما على السفر وحاول الخليفة تأخيره الى الصباح فلم يستطع وجاء الى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجعل يمرغ خديه على قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويبكى ويقول : أوحشتنى يا رسول الله : ويقبل ويبكى فلم ينكر عليه أحد من الصحابة وهذا صار الأمر مستمرا الى يوم القيامة انشاء الله تعالى من المحبين • وثانيا : انه يجب على كل مؤمن أن يعتقد أن الله تعالى خالق المعانى والصور وقد جعـل سبحانه وتعالى لكل معنى صورة فى الخارج تدل عليه كما سنبين لك ذلك فى باب الموت والحياة لتعلم أن الموت معنى من المعانى وصورته فى الخارج عدم الحركة فى الحيوان والحيـاة معنى من المعانـى

وصورته فى الخارج الحركة كما أنه سبحانه جعل الحب معنى فى القلب وصورته فى الخارج التى تدل عليه أنواع وأقلها القبلة فالذى أتى بالزائر للمزيور انما هو الحب وحبنا فى الولى لا يكون الا لله تعالى لأن الله تعالى يحبه لأنه من آل بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآل البيت حبهم واجب وأجرى سبحانه عليه نعمة الكرامة فحبنا فيه لذلك فنحن نحب الله تعالى فيه ، وكما عرفت صورة الحب فكذلك صورة البغض فيجب عليك أيها المعارض المخالف أن تعرف ذلك وتعرف أسرار ربك كيف جعلها على المقابلة والمماثلة وأيضا الايمان الذى محله القلب معنى من المعانى وصورته فى الخارج الاسلام وما اشتمل من الاحكام الشرعية التى يعرف بها ومنها أنه مؤمن ومسلم .

ولنضرب لك مثلا لكى يستنير لك الأمر وهو أن لك طفلا صغيرا ولبرودة الجو لفته أمه بقميصها فوق ثيابه فرأت أيضا الجو أبرد فلفته بملف أثقل ورأت أن تلفه بأثقل أيضا وجئت سيادتك وناولتك الولد بهذه الحالة وبالطبع أنت تحبه فأردت أن تبرهن على حبك بالصورة الظاهرية وهى القبلة فأى شىء أمامك تقبله ؟ فلا تقبل الا اللحاف الصغير واذا رفعناه فلا تقبل الا الملف الذى تحته وهكذا حتى ثيابه ثم تقبل الجسد وهو المراد بالذات وهو الجسد فهل أنت صنعته ؟ الا هو صنعة الصانع المبدع الذى أحاطه بكرمه ونعمه وكذلك الزائر للولى أو أى نبى من الانبياء والمرسلين فانه يقبل ما هو محيط به لصلته بالمحبوب ولو الحيطان أو الضريح أو القبور فانه يجوز تقبيلها على ما قدمنا لك من الأدلة هذا ويظهر أن مجنون ليلى كان رجلا صالحا على ربك انه سيظهر خوارج معارضين لأهل الحق فانطقه بما يقطع به السنتهم بعد الادلة التى قدمنا حيث قال :

أمر على الديار ديار ليلى　　اقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبى　　ولكن حب من سكن الديار

صفحة ١٤٣ من كتاب فيض الوهاب الجزء الرابع .

التحذير من خدعة الشيطان الرجيم

اياك أيها المسلم الذى يعز عليه دينه ولا يشاب بالشك يقينه ان يخدعك الشيطان الرجيم كما خدع غيرك من ضعاف العقول بقوله هذا ابن تيمية وجماعته كابن القيم وابن عبد الهادى هم من أكابر العلماء وأئمة الاسلام باعتراف من يرد عليهم من العلماء والاعلام واذا كانوا كذلك فهم أعلم منك بهذه المسائل التى خالفوا فيها الأمة والأئمة ولولا ان ظهر لهم بطلان ما عليه جمهور المسلمين من السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم لما تجاسروا على جعلهم من جملة المشركين ولم يستثنوا من ذلك زوار سيد المرسلين والمستغيثين به من المسلمين فهذا دليل ظاهر على أنهم على الحق ، لأنهم انما راعوا جانب الله تعالى وتوحيده ولم يراعوا الخلق ، فاذا قال له الشيطان يا أخى هذا المقال وأراد أن يسوقك بهذه التمويهات الباطلة كما ساق غيرك الى سبيل الضلال فقل له فى الجواب : ان أئمة الضلال ورؤساء أصحاب البدع والاهواء هم أيضا من أكابر الأئمة وأعلم العلماء ولكن الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وعلم نبيا صلى الله تعالى عليه وسلم بتعليم الله تعالى له بأنه سيقع فى أمته اختلاف فى الدين أمرنا أن نكون مع السواد الاعظم وهو جمهور المسلمين وهم أهل المذاهب الأربعة وساداتنا الصوفية وأكابر المحدثين فهذه هى الأمة المحمدية وهم جميعا مخالفون بدع ابن تيمية وفيهم ممن هو أكثر منه علماوأدق فهما وأسلم ذوقا وأوسع معرفة وأفضل من كل الوجوه علما وعملا آلاف ألوف من عهده صلى الله عليه وسلم الى الآن أفيكون كل هؤلاء على الخطأ وتكون الأمة بأسرها ضالة بذلك وابن تيمية وطائفة الوهابية على الحق والهدى هذا مما لا يقبله الا كل جاهل بهيم فاقد للعقل والذوق السليم لا سيما وخطؤه فى هذه البدع بالنظر لشدة فحشه ظاهر على أنه من نوع الخيالات والاوهام لا من آراء أئمة الاسلام ولا يخفى على العوام فضلا عن العلماء الاعلام فلا

تقدر أيها الشيطان أن تقودنى بزخارفك الباطلة التى قدت بها ضعاف الاسلام الى استحسان قبائحه الظاهرة واستقباح محاسن الاسلام وهو مشروعية السفر لزيارة الانبياء والصالحين والاستغاثة بهم ولا سيما سيدهم الأعظم عليه الصلاة والسلام • وأما تسويلك لهم ولمن اتبعهم من ضعاف العقول أن فى بدعتهم مراعاة لجانب الله تعالى وتوحيده فهو من تمويه الحق بالباطل وخلطك الحالى بالباطل ولكن ذلك لا يروج الا على من أراد الله رواجه عليه مع ظهور بطلانه الى درجة لا تخفى على أجهل الجهلاء فضلا عمن فوقه من العقلاء والعلماء اذ من الجلى الواضح البين الذى لا يخفى على من وضع الله فى قلبه أدنى نور أن مراعاة جانب الله تعالى والمحافظة على توحيده انما تكون بتعظيم من عظمة الله تعالى وتحقيره من حقره الله تعالى وقد جعلهم سبحانه وتعالى وسائط لنا فى تبليغ شرائع دينه فوسطناهم له عز وجل لقضاء حوائجنا تبعا له فى توسيطهم لنا فى تبليغ شرائعه والاحتفاظ لأنفسنا عن أن نكون أهلا لطلب حوائجنا منه سبحانه وتعالى بلا واسطة لكثرة ذنوبنا ووفرة عيوبنا كما أنه تعالى قد حقرك أيها الشيطان ومن اتبعك من الانس والجان فحقرناك لذلك وفى تحقيرك ان لا نقبل منك هذه الوساوس والتمويهات التى تسوقها الينا وكلفها علينا فنحن عبيده سبحانه وتعالى نحب بحبه من أحبه ونعظم من عظمه ونبغض ببغضه من أبغضه ونحقر من حقره فنحن والحمد لله المراعون لجانب الله تعالى وتوحيده لا أولئك المبتدعون الذين قدتهم بزمام زخارفك وتمويهاتك الى التقصير فى حق أنبياء الله تعالى واصفيائه ولا سيما حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم فاذا فعلت هذا أيها المسلم فان فى تلك الوساوس تغلب ذلك الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •[1]

---

(١) من كتاب شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم لخادم السنة وقامع البدعة فقيد الاسلام السيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى ـ طبعه البابى الحلبى بمصر صفحة ٥٢ •

الشيخ العارف بالله تعالى سيدى ابراهيم الدسوقى القرشى رضى الله عنه

هو من أجلاء مشايخ الفقراء أصحاب الخرق ، وكان من صدور المقربين ، وكان صاحب كرامات ظاهرة ومقامات فاخرة ومآثر ظاهرة وبصائر باهرة وأحوال خارقة وأنفس صادقة وهمم عالية ورتب سنية ومناظرة بهية واشارات نورانية ونفحات روحانية وأسرار ملكوتية ومحاضرات قدسية ، له المعراج الأعلى فى المعارف ، والمنهاج الأسنى فى الحقائق ، والطور الارفع فى المعالى ، والقدم الراسخ فى أحوال النهايات ، واليد البيضاء فى علوم الموارد ، والباع الطويل فى التصريف النافذ ، والكشف الخارق عن حقائق الآيات ، والفتح المضاعف فى معنى المشاهدات • وهو أحد من أظهره الله عز وجل الى الوجود ، وأبرزه رحمة للخلق ، وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام ، وصرفه فى العالم ومكنه فى أحكام الولاية وقلب له الاعيان وخرق له العادات وأنطقه بالمغيبات وأظهر على يديه العجائب ، وصومه فى المهد رضى الله عنه ، وله كلام كثير عال على لسان أهل الطريق •

ومن كلامه رضى الله عنه من لم يكن مجتهدا فى بدايته لا يفلح له مريد ، فانه ان نام نام مريده ، وان قام قام مريده ، وان أمر الناس بالعبادة وهو بطال أو ثوبهم عن الباطل وهو يفعله ضحكوا عليه ولم يسمعوا منه • وكان ينشد كثيرا اذا قيل له انصحنا ، أرشدنا بمثالين من قول بعضهم •

لا تعدلين الحراير حتى تكونى مثلهن يقبح على معلولة تصف دواء للناس • وكان رضي الله عنه يقول : يجب على المريد أن لا يتكلم قط الا بدستور شيخه أن كان جسمه حاضرا ، وان كان غائبا يستأذنه بالقلب وذلك حتى يترقى الى الوصول الى هذا المقام فى حق ربه عز وجل • فان الشيخ اذا رأى المريد يراعيه هذه المراعاة رباه بلطيف الشراب

وأسقاه من ماء التربية ولاحظه بالسر المعنوى الالهى • فيا سعادة من أحسن الأدب مع مربيه ، ويا شقاوة من أساء • وكان رضى الله عنه يقول من عامل الله تعالى بالسرائر جعلـــه على الاسرة والحظائـــر • ومن خلص نظره من الاعتكاس سلم من الالتباس • وكان رضى اللـــه عنه يقول من غاب بقلبه فى حضرة ربه لا يكلف فى غيبته ، فاذا خرج الى عالم الشهادة قضى ما فاته • وهذا حال المبتدئين ، أما حال الكمال فلا يجرى عليهم هذا الحكم ، بل يردون لاداء فرضهم وسنتهم وكان رضى الله عنه يقول : من لم يكن متشرعا متحققا نظيفا عفيفا شريفا فليس من أولادى ولو كان ابنى لصلبى • وكل من كان من المريدين ملازما للشريعة والحقيقة والطريقة والديانة والصيانة والزهد والورع وقلة الطمع فهو ولدى وان كان من أقصى البلاد • وقيل له مرة ما تريد فقال أريد ما أراد الله عز وجل • وكان رضى الله عنه يقول ما كل من وقف عرف لذة الوقوف ، ولا كل من خدم عرف آداب الخدمة • ولذلك قطع بكثير من الناس مع شدة اجتهادهم • وكان رضى الله عنه يقول سألتكم بالله يا أولادى أن تكونوا خائفين من الله تعالى فانكم غنـــم السكين وكباش الفناء ، وخرفان العلف ، يا من تنور شواهم قد أوهج ، ويا من السكين لهم تحد وتجذب قوا أنفسهم وأهليكـــم نارا • وكان رضى الله عنه يقول لا يكمل الفقير حتى يكون محبا لجميع الناس ، مشفقا عليهم ، ساترا لعوراتهم ، فان ادعى الكمـــال على خلاف مـــا ذكرناه فهو كاذب • وكان يقول لا تنكروا على فقير حاله ، ولا لباسه ، ولا طعامه ، ولا على أى حال كان ، ولا على أى ثوب يلبس ، ولا انكار على أحد الا أن ارتكب محظـــوراً لم تصرح به الشريعـــة • وذلك أن الانكار يورث الوحشة ، والوحشة سبب لانقطاع العبد عن ربه عـــز وجل • فان الناس خاص وخاص الخاص ، ومبتدى ومنتهى ، ومتشبه ومتحقق ، ويرحم الله تعالى البعض بالبعض • والقوى من يقدر أن يمشى مع الضعيف وعكسه والفقراء غيث وهو سيف فاذا ضحك الفقير فى وجه أحدكم فاحذروه ولا تخالطوه الا بالأدب • وكان رضى الله

عنه يقول : الشريعة أصل ، والحقيقة فرع ، فالشريعة جامعة لكل علم مشروع ، والحقيقة جامعة لكل علم خفى • وجميع المقامات مندرجة فيهما • وكان رضي الله عنه يقول : يجب على المريد أن يأخذ من العلم ما يجب عليه فى تأديته فرضه ونفله ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة فان ذلك شغل له عن مراده • بل يفحص على آثار الصالحين فى العمل ، ويواظب على الذكر • وكان يقول : الرجال منهم رجل ، ونصف رجل ، وربع رجل ، ورجل كامل ، وبالغ ومدرك ، وواصل • وكان رضى الله عنه يقول : توبة الخواص ، محو لكل ما سوى الله تعالى • ولا يتطلعون الى عمل ولا قول ، يتوبون عن أن يختلج فى أسرارهم أن لى أو يتوهمون أن عندى • ويخشون من قول أنا ، فهم يراعون الخطوات وكان يقول : يا مريدى اجمع همة العزم وقوة شدة العزم ، لتعرف الطريق بالادراك بالوصف فأى مقام وقفت فيه حجبك ، بل أرفض كل ما يحجبك عن مولاك ، فان كل ما دون الله تعالى باطل • وكان رضى الله عنه يقول : الاعراض تورث الاعراض وكان يقول : دعنى يا ولدى من البطالات ، وتجرد من قالبك الى قلبك • وكان رضى الله عنه يقول : احذر يا أخى أن تدعى أن لك معاملة خالصة أو حالا • وأعلم أنك ان صمت فهو الذى صومك • وان قمت فهو الذى أقامك وان عملت فهو الذى استعملك وان رأيت ، فهو الذى أراك ، وان شربت شراب القوم فهو الذى أسقاك وان اتقيت فهو الذى وقاك وان ارتفعت فهو الذى رقى منزلتك وان نلت فهو الذى نولك وليس لك فى الوسط شيء الا أن تعترف بانك عاص ، مالك حسنة واحدة وهو صحيح من أين لك حسنة واحدة • وهو الذى أحسن اليك • وهو الحاكم فيك ، ان شاء قبلك ، وان شاء ردك • وكان رضى الله عنه يقول : ولد القلب خير ما ولد الصلب • فولد الصلب له أرث الظاهر من الميراث ، وولد القلب له ارث الباطن من السر • وكان يقول من أدخل دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة ، بقى هو بلا هو • فحينئذ يبقى زملنا فانيا ثم يعود فى حفظ الله تعالى وكلادته سواء حضر أو غاب ، ولا

يبقى له حظ فى كرامات ولا كلام ، ولا نظام نفسانى ، وخلص لجانب العبودية المحضة • وكان رضى الله عنه يقول : أصحاب العطاء كثير ، وأهل هذا الزمان ما بقى عندهم الا المنافسة أما يسألون عن معنى الصفات ، أو معنى الاسماء أو معنى مقطعات الحروف المعجم ، وهذا لا يليق بالمبتدى السؤال عنه • وأما المتمكن فله أن يلوح بذلك لمن يستحق غان علمها طريقة الكشف لا غير وأما من اشتغل بحفظ كلام الناس ، أو جمع الحقائق ولسان المتكلمين فى الطرق والطرائق ، فمتى يعيش عمرا آخر حتى يفرغ من عمر الفناء الى عمر البقاء • فان القوم كانوا محبين وكل منهم يتكلم بلسان محبته وذوقه ، فهو كلام لا يحصر وبحر غرق فيه خلق كثير ، ولا وصل أحد الى قعره ، ولا الى ساحله • وانما يذكر العارف كلام غيره تسترا على نفسه • أو تنفيسا لما يجده من ضيق الكتمان آه آه آه ولقد شهد الله العظيم أنى ما أتكلم قط أو أخط فى قرطاس الا وأتوخى أن يكون ذلك شاغلا ، أو بيانا لمعنى غامض على الناس لا غير • فأن الصدق قد ذهب من أكثر الناس • وكان رضى الله عنه يقول جميع المعبرين والمؤولين والمتكلمين فى علم التوحيد والتفسير لم يصلوا الى عشر معشار معرفة كنه ادراك معرفة معنى حرف واحد من حروف القرآن العظيم • وكان يقول : أول الطريق ، الخروج عن النفس والتلف والضيق والحظ فأن الفلاح والنجاح والصلاح والهدى والارباح لا تصلح الا لمن ترك الحظ • وقابل الأذى والشر بالاحتمال والخير ووسع خلقه • والفقير لا يكون له يد ولا لسان ولا كلام ولا صرف ولا شطح ولا فعل ردىء ولا يصرفه عن محبوبه صارف ولا ترده السيوف والمتالف • وكان رضى الله عنه يقول : أكل الحرام يوقف العمل ، ويوهن الدين ، وقول الحرام ، يفسد على المبتدى عمله والطعام الحرام ، يفسد على العامل عمله • ومعاشرة أهل الادناس ، تورث الظلمة للبصر والبصيرة • وكان رضى الله عنه يقول : ان الله عز وجل يحب من عباده أخوفهم منه وأطهرهم قلبا وفرجا ولسانا ويدا وأعفهم وأعفاهم وأكرمهم وأكثرهم ذكرا وأوسعهم صدرا وكان يقول: من كان فى الحضرة نظر الدنيا والآخرة•وكان يقول

أياكم والدعوات الكاذبة ، فانها تسود الوجه وتعمى البصيرة • وأياكم ومؤاخاة النساء ، واطلاق البصر فى رؤيتهن والقول بالشاهد والمشى مع الاحداث فى الطرقات • فان هذا كله نفوس وشهوات ومن أحدث فى طريق القوم ما ليس فيها فليس هو منا ولا فينا • قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا • وكان رضي الله عنه يتكلم بالعجمى والسريانى والعبرانى والزنجى ، وسائر لغات الطيور والوحوش ، وكتب رضى الله عنه الى بعض مريديه بعد السلام • وأننى أحب الولد وباطنى خلى من الحقد والحسد ؛ ولا بباطنى شظا ولا حريق لظى ، ولا جوى من مضى ولا مضض غضا ولا نكص نصا ولا سقط نطا ولا تطب غظا ولا عطل حظا ولا شنب سرى ولا سلب سبا ولا عتب فجا ولا سمد اذ صدا ولا بدع رضا ولا شطف جوا ولا حنف حرا ولا خمش خيش ، ولا حفص عفص ولا خفض خنس ولا حولد كنس ولا عنس كنس ولا عسعس خدس ولا جيقل خندس ولا سطاريس ولا عيطافيس ولا هطامرش ولا سطامريش ولا شوش أريش ولا ركاش قوش ولاسملادنوس ولا كتبا سمطلول الروس ولا بوس عكوس ولا افنفاد أفاد ولا قمداد أنكاد ولا بهداد ولا شهداد ولا بد من العيون وما لنا فعل الا فى الخير والنوال انتهى •

وكتب الى بعض مريديه أيضا سلام على العرائس المحشورة ، فى ظل وابل الرحمة ؛ وبعد : فان شجرة القلوب اذا هزت فاح منها شذا ، يغذى الروح فيستنشق من لا عنده زكم ، فتبدو له أنوار وعلوم مختلفة مانعة محجوبة معلومة ، لا معلومة معروفة ، لا معروفة غريبة ، عجيبة سهلة ؛ شطة فائقة ، طعم ورائحة وشم ؛ ميم محل جميل ، جهد راب علوب ، نغط نبوط ؛ هو بطسهبط حرموا ، غميطا غلب عمن عسب، غلب عرماد علمود على عروس علماس مسرود قد قد فرسم صباع صبع صبوغ نبوب جهمل جمايد حربوعى قنبود سماع بناع سرنوع ختلوف كداف كروب كمتوف شهدا سهنبيل ختلولف ختوف وصمن ما من قمن قرفنيود سعى طبوطاطابرطا كمط كهرجة جهد بيد قيلودات كهلودات

كيكل كلوب فافهم مبرم وأقرم منعم وأخبر سهدم سوس سفيوس كلافيد لا تهتر عن عنيلا سنعسد سج تزيط ولا تتكوكع زند حدام هـدام سكهدل ، وقد سطرنا لك يا ولدى تحفة سنية ، ودرة مضية ، وبانية سريانية شمسية قمرية ، كواكب درية ، وانجم خفية علوية ، وانما تصفح المبهم المغلق المغرب ، الذى سره مغطى بالرموز ، انتهى •

وكتب رضى الله عنه الى بعض مريديه أيضا سلام ان هب الجنوب المفتق أو الصبا المعبق أو الضحى المرنوق أو الشمس المتحفة أو الأضحية المعترفة فى الأبرجة المعونقة والمجبرة المحونقة والمثيرة المحتوطفة واللطيفات المختلفة المستوجنة والأرايح والأرياح المتولوجة المستودجة فالشهار والأنهار المستوطج والصفو المزرورق أو المفتودج والفنوع والسنبابول والسبايور والشوشاند والشربوساسع والبرقوا شاند تفهم يا ولدى ، فان كلام المغرب لا يشاكل المعرب ، وما ليس من لغة العرب لا يفهمه الا من له قلب أو أفهمه الرب ، ولا انكار على علماء الحقيقة ، وهم يتكلمون بكل لسان • ولهم لسن عجام •

وكتب رضى الله عنه سلاما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسله مع الحجاج سلام على أمير حى المحيا جميل المعنى سخى المراشف ، أرخى المعاطف ، كريم الخلق ، سنى الصدق ، عرفوط الوقت ، وردسانى الفهم ثاقب المرحب ، محبول الرحب ، قطابة النفل ، قيدوح النماطة ، ليدوح النباطة ، سر سامع الوحب بهديانى الوعب بهيسانى الحداقة ، سهيرى النساقة ، موز الرموز ، عموز النهوز ، سلاحات أفق فرد فانية أمق شوامق اليرامق حيد وفر قيد وفر غاط الاسباط ومبيط البساط الكرقولية والقدد القيلولية أن حدول شذول وان عزذل خردل السبل السبل بيط العقود النماحة النياحة جاجورى نبا كلكوى سبا مقطعات حم ومحكمات حكيم بدايع لوايع ان شدت انشدت عنيقيات رسمانية ناتوتية نلبهتنية باتلية أرس أرسون كمين كبيوت ناتون نون وجيم ونقطة عين تنعيم أزمح همدج تنسج هيج دهبر رعبوت قيداف قيدوف عراش مجليات شعشعانية على قطط النبط لا

النمط والبعب لا الشطط فلاق القندم خلاق الزيدم وأبقى الهندم ان طاطافطا وما ، وان تعاطى فاستبرق ، يسمع عنين النبك وعنين التبك من أرياح قوائد وأدراح قلائد ليش من لفظقس الايادى ولا له بهـا أيادى نهدبانية البهاسهانية الرياقل تيشلقت بالنباهة ابيا وتعطرفت بالسياجة عبباطر ايقا عجبا عرائفها جبا ان تمادى تمدى وان بعد أعدد لفظة بارق لحظة حاذق أن ينشد فرذقوينة قد اعتدلت بالرشطاط من قروربان وحرمور أن كروم المر تبلاه ولا أشباه ألم تك والدتك والرتك انتهى • وكان رضى الله عنه يقول عليك بالعمل واياك وشقشقة اللسان بالكلام فى الطريق دون التخلق بأخلاق أهلها • وقد كان صلى الله عليه وسلم يجوع حتى شد الحجر على بطنه • وقام حتى تورمت قدماه ثم تبعه أكابر الصحابة رضى الله عنهم على ذلك • فكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا تنهد يشم لكبده رائحة الكبد المشوى • وأنفق ماله فى سبيل الله كله • وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه شديد العمل والكد حتى رقع دلقه بالجلود ، ولف رأسه بقطعة خيش • وكان عثمان رضى الله عنه يختم القرآن قائما كل ليلة على أقدامه • وكان على رضى الله عنه من زهاد الصحابة ومجاهديهم ، حتى فتح أكثر بلاد الاسلام • هؤلاء خواص الصحابة رضى الله عنهم مع قربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم • هـذا كان عملهم • هـذا كان اجتهادهم وزهدهم وجوعهم ، فاحكموا الحقيقة والشريعـة ، ولا تفرطوا ان أردتم أن تكونوا يقتدى بكم • وما سميت الحقيقة حقيقة الا لكونها تحقق الأمور بالاعمال ، وتنتج الحقائق من بحر الشريعة • وكان رضى الله عنه يقول : ما دام لسانك يذوق الحرام ، فلا تطمح أن تذوق شيا من الحكم والمعـارف • وكان رضى الله عنه يقول : للبـاصر فى العين بصر ، وللقلب لسان يدق عن الادراك •

وكان رضى الله عنه يقول : أحببه يحبك أهل الأرضين والسماء ، وأطعه يطع لك الجن والإنس ويجف لك البحر والماء ويطع لك الهواء • وكان يقول : يا ولدى عليك بالتخلق بأخلاق الأولياء لتنال السـعادة ،

وأما اذا أخذت ورقة الاجازة وصار كل من نازعك تقول هذه اجازتى بالمشيخة دون التخلق فان ذلك لا شيء ، وانما هو حظ نفس ، لكن اقرأ الاجازة واعمل بما فيها من الوصـــايا وهناك تحصل على الفائدة ، ويحصل لك الاصطفاء • وهذه طريق مدارج الأولياء • قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل الى آخر الدنيا • وكان رضى الله عنه يقول : اذا اشتغل المريد بالفصاحة والبلاغة ، فقد تودع منه فى الطريق • وما اشتغل أحد بذلك الا وقطع به • وأما حكايات الصالحين وصفاتهم ، فمطالعتها للمريد جند من جنود الله تعالى ما لم يقنع بها فى الطريق • وكان يقول : العلم كله مجموع فى حرفين أن يعرف العبودية ويعبده ، فمن فعل ذلك فقد أدرك الشريعة والحقيقة ، وليس فى هذا تعطيل العلماء بل العلم أبن للعمل وانما قلنا ذلك من أجل قول الله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه ولكل فرقة منهاج والا فقد يجمع الله العلــم والعمل فى رجل واحد يفيد الناس كل الفوائد • فالشريعة هى الشجرة والحقيقة هى الثمرة • وكان يقول : الطريق الى الله تعالى تفنى الجـــلاذ وتفتت الأكباد وتضيء الأجساد وتدفع السهاد وتسقم القلب ، ويذيب الفؤاد فاذا ارتفع الحجاب ، سمع الخطاب ، وقرأ من اللوح المحفوظ الرموز وأطلع على معان دقت وشربت بأوان رقت فكان مع قلبه ، ثم يكون مع مقلبه ، لا مع قلبه لأن الله يحول بين المرء وقلبه ، فاذا خرج عن الكل ، طال لسانه بلا لسان مع شدة اجتهاده وأعمالـــه الظاهرة ، ثم الباطنة ، ثم بعد ذلك لا حركة ولا كلام ولا تسمع الا همسا انما هو صمت بلا حس ، ثم يصفون من صفاه الصفاء والوفاء ويخلص من اخلاص الاخلاص فى الاخلاص للاخلاص • ثم يتقرب بما يكون به جليسا ، فان المجالسة لها آداب أخر خاصة ، يعرفها العارفون • وكان رضى الله عنه يقول : اذا كمل العارف فى مكان العرفان أورثه الله علما بلا واسطة ، وأخذ العلوم المكتوبة فى ألواح المعانى ففهم رموزها وعرف كنوزها ، وفك طلسماتها ، وعلم اسمها ورسمها ، وأطلعه الله تعالى على العلوم المـــودعة فى النقط ، ولولا خوف الانكار لنطقوا بما يبهر العقول ، وكذلك لهم من اشارات العبارات عبارات معجمة ، وألسن

مختلفة • وكذلك لهم فى معانى الحروف والقطع والوصل والهمز ، والشكل والنصب والرفع ما لا يحصر ، ولا يطلع عليه الا هم ، وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء ، وما فى البر والبحر ، وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء ، وما فى جباه الانس والجان ، مما يقع لهم فى الدنيا والآخرة ، وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب بلا كتابة ، من جميع ما فوق الفوقى ، وما تحت التحت ولا عجب من حكيم يتلقى علما من حكيم عليم ، فان مواهب السر اللدنى قد ظهر بعضها فى قصة موسى والخضر عليهما السلام • وكان رضى الله عنه يقول : من الأولياء من لا يدرى الخطاب والجواب فهو كالحجارة مودعة أسرارا ناطقة بلسان حال صامتة عن الكلام • مودعة من غوامض الاسرار والعطاء • مفرق فمنهم عارف ومحب ومشغوف وذاكر ومذكر ومعتبر وناطق وصامت ومستغرق وصائم وقائم وهائم ومفطر ونائم صائن وصائم صائم وقائم دائم وقائموا صل وواصل سهران وواقف ذاهل وداهش واهن • وواهم وباك باسم ومقبوض وضاحك ، وخائف ومختلط ومختبط ومونه ومتوله وصائح ونائح ومجموع بجمعية وجمعه • ان خرج عن اياهما انتفع ومنهم من مزق الثياب حين حقق وتاب ، وغلب عليه الحال ، ويرحم الله البعض بالبعض •

وكان رضى الله عنه يقول : يا أولادى طوبى لمن وصل الى حال تقرب العباد من الله تعالى ثم وقف يدعوهم اليها • فكونوا داعين الى الله تعالى باذن الله •

وكان رضى الله عنه يقول : رأس مال المريد المحبة والتسليم والقاء عصا المعاندة والمخالفة والسكون تحت مراد شيخه وأمره • فاذا كان المريد فى زيادة محبة وتسليم سلم من القطع فان عوارض الطريق وعقبات الالتفاتات والارادات هى التى تقطع عن الامداد ، وتحجب عن الوصول •

وكان رضى الله عنه يقول : يا أولادى اذا لم يحسن أحدكم أن

يعامل مولاه فلا يقع فى أحوال لا يدريها • فان القوم تــارة يكلمون بلسان التمزيق ، وتارة بلسان التحقيق ، لا بحسب الحضرات التى يدخلونهــا ، وأنت يا ولدى لم تــذق حالهم ولا تمزقت ولا دخلت حضراتهم فمن أين لك أنهم على الضلال فتعوم يا ولدى البحر ولست بعوام ، ثم اذا غرقت فقد مت ميتة جاهلية لانك ألقيت نفسك للمهلك ، والحق قد حرم عليك ذلك ، بل الواجب عليك يا ولدى أن تطلب دعاة القوم وتلتمس بركاتهم ، هذا اذا لم تجد قدرة على عملهم ، فاذا وجدت قدرة على ذلك سعدت أبد الآبدين ، واعلم يا ولدى أن ألسن القوم اذا دخلوا الحضرات مختلفة وفى اشاراتهم وكلماتهم ما يفهم ومنها ما لا يفهم وكذلك من أحوالهم ما يعبر عنه ومنها ما لا يعبر ، وكذلك فى أسرارهم ما لا يصل اليه مؤول ولا معبر ، ولا مطلع ولا مفسر ، لأن أسرارهم موضع سر الله تعالى ، وقد عجز القوم عن معرفة أسرار الله تعالى فى أنفسهم ، فكيف فى غيرهم فيجب عليك يا ولدى التسليم لله تعالى فى أمر القوم ، وحسن الظن بهم لا غير ، فانى ناصح لك يا ولدى •

واذا رميت من يحبه الله تعــالى بالبهتان والزور وتجرأت على من قربه الله تعالى أبغضك الله تعالى ومقتك فلا تفلح بعد ذلك أبدا ولو كنت على عباده الثقلين •

وكان رضى اللــه عنه يقول : من قــام فى الأسحار ولزم فيها الاستغفار كشف الله له عن الأنوار ، وأسقى من دن الدنو من خمــار الخمار ، وأطلعت فى قلبه شموس المعانى والأقمار ، فيا ولد قلبى اعمل بما قلته لك تكن من المفلحين ، وكان يقول كم من يتلو الاسم الأعظم ولا يدريه وما فهم معناه وما لمس الأولياء الشجرة فأثمرت الا به • وما سال الماء من صخرة الا به ، ولا سخرت الوحوش لولى الا به ، ولا سأل ولى القطر فنزل الا به ولا أحيا الموتى الا به •

وكان رضى الله عنه يقول : لا يكون الرجل غواصا فى الطريق حتى يفر من قلبه وسره وعمله وهمــه وفكره وكل ما يخطر بباله غير ربــه •

فآه آه لو كشف الحجاب عن الاثواب ، وأبصر الاعمى الحرف الذى ليس بحرف ولا ظرف ، وفك ما خفى من الغمض ، وفتح قفل القفل ، وفك أزرار المزرور ، فوا شوقاه لصاحب تلك الحضرات ، مع أن الشوق لا يكون الا للبعيد •

وكان رضى الله عنه يقول : كل من تحجبه أعماله وأقواله عن درك ما شاء فهو محجوب عن مقـــام التوحيد ومقـــام التفريد ، ولا يزف الولى الى ربـــه حتى يترك الوقوف مـــع سواه من مقام أو درجة • وكان يقول : ان أردت أن تجتمع على ربك فطهر باطنـــك وضميرك من الخبث والنية الردية والأضمار بالسوء لأحـــد من خلق الله عز وجل • وكان رضي الله عنه يقول : اياك يا ولدى أن تقبل فتوى ابليس لك فى الرخص فتعمل بها بعد عملك بالعزائم فانه انمـــا يأمرك بالغى والبغى فى حجة رخصة الشرع لا سيما ان أوقعك فى محظور ، ثم قال لك هذا مقدور أين كنت أنت فانك تهلك بالكلية •

واعلم يا ولدى أن الله تعـــالى ما أمرك الا باتبـــاع نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد نهاك عن كل شىء يؤذيك فى الدنيـــا والآخرة • فما بالك تخالفه • وان كنت يا ولدى تقنع بورقة تزعم أنها اجازة ، انمـــا اجازتك حسن سريرتك وخلاص سريرتك • وشرط المجاز أن يكون أبعد الناس عن الآثام ، كثير القيام والصيام مواظبـــا على ذكر الله تعالى على الدوام ، فان العبد كلما خدم قدمه سيده على بقية العبيد فهذه هى الاجازة الحقيقية •

وأما اذا ادعيت المشيخة وعصيت ربك قال لك أف لك اما تستحى ، أين دعواك القرب منا ، أين غســـلك أثوابك المدنســـة لمجالستنا • كم توعى فى بطنك من الحـــرام ، وكم تنقل أقدامك الى الآثام ، كم تنام وأحبابى قد صفوا الأقدام ، أنت مدع كذاب والسلام •

وكان يقول الله خصم كل من شهر نفسه بطريقتنا ولم يقم بحقها واستهزأ بنا •

وكان يقول : من خان لا كان ، ومن لم يتعظ بكلامنا فلا يمشي فى

ركابنا ولا يلم بنا ولا نحب من أولادنا الا الشـــاطر المليح الشمائل ، وذلك يصلح لوضع السر فيه •

فيا أولادى ناشدتكم الله تعـــالى لا تسؤوا طريقى ولا تلعبوا فى تحقيقى ولا تدلســـوا و تلبسوا واخلصوا تتخلصـــوا فكلما أحببناكم واخترناكم فلا تكدروا علينا ، ولا ترموا طريقنا بالكلام ، وكما وفينا لكم حقكم فى التربية والنصح ، فوفوا لنا بالاستماع والاتعاظ ، وانما أمرتكم بما أمركم به ربكم فهو أمر اللـــه لا أمرى • فان نقضتم العهد فانما هو عهد الله ، وان كنتم لا تأخذوا منا الا أوراقا فلا حاجة لنا بكم وكان يقول : بايعت الله تعـــالى على انى لا ألتمس أموالكم ولا آخذ تراثكم ولا أدنس خرقتى بمـــا فى أيديكم ، فاسمعوا وأطيعـــوا وعلى أموالكم الأمان منى ، ومن جماعتى الذين أخلصوا معى ، وأسأل الله تعـــالى أن يلحق بقيـــة أولادى بمن خلص معى ، ويجعـــلهم مثلهـــم فيشفقون على اخوانهم وينصحونهم مع تجنب أموالهم ••

وكان رضي الله عنه يقول : من لم يزعم ان هلكته فى طاعته فهـــو هالك ، فان طاعتنا من جملة فضله وما لنا فى الوسط شيء •

وكان يقول : يا ولدى احذر أن تقـــول أنا فان الله يعجز المدعين ، فلو كنت على عمل الثقلين وصاحب منزلة سقطت • وكان يقول : والله لو وجدنا الى الخلوة سبيلا أو وجدنا الى الانقطاع عن أعين النـــاس من سبيل لفعلنا فان القلب فى هـــذا الزمان متعوب ، والكبد كل وقت يذوب ، فأين الملجأ وأين المفر من أهل هذا الزمان ، زمان كثر فيه القال والقيل ، ولكن الذى بلانا بأهـــله يدبرنا ويعيننا بحوله وقوته • وكان يقول من غفل عن مناقشة نفسه تلف ، وان لم يسارع الى المناقشـــــة كشف •• وكان يقول : ما ابتلى الله عز وجل الفقير بأمر الا وهو يريد أن يرقيه الى منازل الرجال ، فان صبر وكظم الغيظ وحلم وعفى وتكرم رقاه الى الدرجـــات والا أوقفه وطرده ، وكان رضي الله عنـــه يقول : لا يعصي أحدكم ربه عز وجل ويمر على الهوام الضعيفة الا وتود ان الله تعالى يعطيها قوة لتبطش به غيرة على جناب الحق تعالى •

ولا يمر على الطيور والوحـــوش الا ويستعيذون بالله تعالى من رؤيته ، ولا يرد ماء الا ويود ألا يشربه ، ولا يمر فى الهواء الا ويود أن لا يكون مر به • وكان يقول : كيف تطلبون ان الله تعالى ينبت لكم الزرع أو يدور لكم الضرع ، وأنتم تسلون السيوف على أحد من هذه الأمة المحمدية وتلطخون الحراب من دمائهم •

وكان يقول : اذا صدق الفقير فى الاقبال على الله تعالى انقلبت له الأضداد ، فعاد من كان يبغضه يحبه ، ومن كان يقاطعه يواصله ، ومن كان لا يشتهيه يثنى عليه ، ولا يصير يكرهه الا مجرم أو منافق •

وكان يقول : ما قطع مريد ورده يوما الا قطع الله عنه الامداد ذلك اليوم • واعلم يا ولدى ان طريقتنا هذه طريقة تحقيق وتصديق وجهد وعمل ، وتنزه وغض بصر وطهارة يد وفرج ولسان • فمن خالف شيئا من أفعالها رفضته الطريقة طوعا أو كرها •

وكان رضي الله عنه يقول : يا حامل القرآن لا تفرح بحمله ، حتى تنظر هل عملت به أم لا فان الله عز وجل يقول : (مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمـــل أسفارا) ولا تخرج عن كونك حمارا الا أن عملت بجميع ما فيه ولم يكن منه حرف واحد يشهد عليك • وكان يقول : يا أولادى كم غروركم لهوكم لعبكم عيكم هواكم افترائكم نكدكم غـــدركم سهوكم نســـيانكم غفلتكم زلتكم اجـــرامكم زوركم فتوركم وعظ تســـمعون ولا تتعظـــون ما أنتم إلا كالأموات • وكان يقول : لو فتح الحق تعالى عن قلوبكم أقفال السدد لاطلعتم على ما فى القرآن من العجائب والحكم والمعـــانى والعلوم واستغنيتم عن النظر فى سواه ، فان فيه جميـــع ما رقم فى صفحات الوجـــود • قال تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) ومن فَهَّمَهُ الله تعـــالى فى كتابه أعطاه تأويل كل حرف منه وما هو ، ومـــا معناه ، وما سبب كل حرف ، وما صفة كل حرف ، وعلم المكتوب من الحـــروف فى العـــلوى والسفلى والعرش والكرسي والسماء والماء والفلك والهواء والأرض والثرى •

وكان يقول : اذا كان المقتدى بالشرائع والكتـاب واقفا بين الأمر والنهى ، كان فتحه حقيقيا حتى يفك به كل مشكل ، ويحل به كل طلسم ويعرف به كل مبهم ، وأما اذا كان فتحه حفظ كـلام ، وترتيب وصف مقامات ، فذلك ليس بفتح ، انمـا هو حجـاب له عن ادراك الأدراك ، وعن مشاهدة علوم الحق ، وليس من وصف كمن عـرف وحمل ونطق بلسان العرفان ، زكم من حملته العنـاية حتى شاهـدوا مع ذلك فلو سئل عن وصف المقـامات ما وصفها ، ومقصودى لجميـع أولادى أن يكونوا ذائقين لا واصفين ، وأن يأخذوا العلوم من معادنها الربانيـة لا من الصدور والطروس ، فان القوم انما تكلموا عما ذاقوا وقلوبهم كانت ملآنة بعطاء الله تعالى ومواهبـه ، ففاضت منها قطرات من ماء الحياة التى فيها فانفجرت علومهم عن عين عين عين عين عن حاصـل ماء الحياة • أما الوصّاف فانما هو حاك عن حاك غيره ، وعند التخلق والفائدة لا يجر نقطة ولا ذرة من ذوق القوم • وينادى عليه هذا الذى قنع بالقشور فى دار الغرور ، ولقد أدركنا رجالا واحدهم يستحى أن يذكر مقاما لم يصل اليه ، ولو نشر بالمناشير مـا وصفه ، فيا جميـع أولادى اذا سألكم أحد عن التصوف مثلا أو عن المعـرفة والمحبة فلا تجيبوه قط بلسان قالكم ، حتى يبرز لكم من صـدق معاملتكم ما برز للقـوم فيكون كلامكم عن حاصـل وعن محصول ، فاذا قـام أحدكم بالأوامر الدينية ، وصدق فى العمل ، رجم لسانه بالفوائد التى أثمرت من صدقه ، وكل من ادعى الصدق والاخلاص ولم يحصـل عنده ثمرة الأدب والتواضع فهو كاذب وعمله رياء وسمعة ، لا يثمر له الا الكبر والعجب والنفـاق وسوء الاخـلاق شاء أم أبى • وكان يقـول ليس التصوف لبس الصوف ، انما الصـوف من بعض شعار التصوف فان دقيق التصوف رقيق صفاته ورونق بهجة ترقية لا يحصل الا بالتدريج فاذا وصل الصوفي الى حقيقة التصوف المعنوى لا يرضى بلبس مـا خشن لأنه وصل الى مقامات اللطافة ،وخرج عن مقامات الرعونة وعاد ظاهره الحسى فى باطنه الآلى ، واجتمع بعد فرقة وقذف فيه جذوة نار الاحتراق ، فعاد الماء يحرقه والثلج والبرد يقوى ضرامه ، والقميص

الرقيق لا يستطيع حمله ، للطافة سره وزوال كثافته ، بخلاف المريد في بدايته ، يلبس الخشن ويأكل الخشن ليؤدب نفسه ، وتخضع لمولاها ويحصل لصاحبها تمهيد للمقامات التى يترقى اليها ، فكلما رق الحجاب ثقلت الثياب .

وكان رضي الله عنه يقول : يا ولد قلبى اجمع همة العزم لتعرف معنى الطريق بالادراك لا بالوصف ، وكل مقام وقفت فيه حجبك عن مولاك ، وكل ما دون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وكتابه العزيز باطل . وذلك لأن الأعراض تورث الأغراض ، وكان رضي الله عنه يقول : يا ولد قلبى تجرد من قالبك الى قلبك ، والزم الصمت عن الاشتغال بما لا فائدة لك فيه ، من الجدال والنقل وزخرف القول ، وصمم العزم واركب جواد الطريق ، واحتم حمية قبل الشربة ، تكون باطنا ، ولا تشرب الا شرابا يكون فيه محو وسكر آه آه ما أحلى هذا الطريق ، ما أسناها ، ما أمرها ، ما اقتلها ، ما أجلاها ، ما أحياها ، ما أصعبها ، ما أكبدها ، ما أكثر مصايدها ، ما أصعب مواردها ، ما أعجب واردها ، ما أعمق بحرها ، ما أكثر أسرها ، ما أكثر مددها ، ما أكثر عقاربها وحيتانها ، فبالله يا أولادى لا تتفرقوا واجتمعوا يحميكم الله تعالى من الآفات ببركة أستاذكم .

وكان رضي الله عنه يقول : كيف تطلب ليلى وأنت ليلا ونهارا مع عذالها ولوامها والمنكرين على أهل حضرتها ، والمعترضين عليهم والخائنين لعهودهم ، انما تبرز ليلى لمن تهتك فيها ، ولم يقبل عزل عذالها ، ولم يسمع لكلام المنكرين على أهل حضرتها ، وليلى لا تحب من يحب سواها ، أو يخطر فى سره محبة لسواها ، انما تحب من كان بشرابها ثملان ولهان ذهلان غرقان نشوان هيمان لو اجتمع الثقلان على أن يلووا قلبه عنها ، ويحلوا عقدة عهدها معه ما استطاعوا ، فانظر حالك يا ولدى .

وكان يقول : يا أولادى لا تجالسوا أرباب المحال ، وزخرف الأقوال ولقلقة اللسان ، وجالسوا من هو مقبل على ربه ، حتى أخذت منه

الطريق ، ودقة التمزيق ، وتفرق عنه كل صديق ، حتى عاد كالخلال ، وذاب جسمه من تجرع شراب سموم الطريق ، وصار نومه أفضل من عبادة غيره ، لأنه في نومه في حضرة ربه ، وربما كان العابد في عبادته مع نفسه .

وكان رضي الله عنه يقول : عليكم بتصديق القوم في كل ما يدعون فقد أفلح المصدقون وخاب المستهزؤن فان الله تعالى قذف في سر خواص عباده ما لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا بدل ولا صديق ولا ولي . ما أنا قلت هذا من عندي انما هو كلام أهل العلم بالله تعالى . فما للعاقل الا التسليم والا فاتوه وفاتهم وحرم فوائدهم وخسر الدارين .

وكان رضي الله عنه يقول : علامة المريد الصادق أن يكون سائرا في الطريق ليلا ونهارا غدوا وابكارا لا مقيل له ولا مهد ووجوده قد فرغ من اللحم وامتلأ من الشجاعة والهم قد شف مطيته السرى وأسقمها البر ، لا يقيد همته مقيد ، ولا يهوله مهلك ، ولا توجعه ضربات الصوارم ، ولا يشغله شيطان غوي ، ولا مارد حتى كل من خاصمه في محبوبة عاد مخصوما لا يهدأ ولا ينام ولا يصحو بل الدهر كله له سرى ، حتى يدخل خيام ليلى ويضع خده على أطناب الخيام فاذا سمع الخطاب بالترحيب من الأحباب انتعش وطاب ، وسمع الخطاب بالترحيب من قاب قوسين هناك استراح ، يا طالما قطعت براري وقفارا وجبالا وبحارا وظلاما ونارا ، يا طول ما تعبت وتعنيت ، ويا طول ما رجع غيرك من الطريق ، وجئت فاكرم الله تعالى مثواك ، ولا خيب مسعاك ، أنت اليوم ضعيف عندنا ، ويومنا لا انقضاء له أبد الآبدين ودهر الداهرين .. وكان يقول من شأن الفقير : ان لا يكون عنده حسد ولا غيبة ولا بغي ولا مخادعة ولا مكابرة ولا مماراة ولا ممالقة ولا مكاذبة ولا كبر ولا عجب ولا ترف ولا افتخار ولا شطح ولا حظوظ نفس ولا تصدر في المجالس ولا رؤية نفس على أخيه ولا جدال ولا امتحان ولا تنقيص ولا سوء ظن بأحد من أهل الطريق ولا

ممن تزيق بالزيق ولا يقدح قط فى صاحب خرقة الا أن خالف صريح الكتاب والسنة اختيارا وكان يقول من شرط الفقير أن لايكون عنده التفات الى مراعاة المخلوقين له فى الحرمة والجـاه والقيام والقعود والقبول والأعراض وغير ذلك من الأحوال الظاهرة لانه لا يراعى الله تعالى •

وكان رضي الله عنه يقول : ما دام أنا وأنت فلا حب ، انمـا الحب التمازج واختلاط الأرواح بالأجساد • وكان يقول : ليس أحـد من القوم مبتدعا انما هم متبعون فى الأدب لسيد الأمم • وقد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) فلقد كان أحدهم بعد نزولها اذا وقف يقول نعم ثلاث مرات فان أذن له والا رجـع من حيث أتى • وكان يقول : كان السـلف يخـافون من آفات الاجتماع فلذلك آثروا العزلة الا فى صلاة الجمعة وحضـور مجالس العلم التى لا رياء فيها ولا جدال ، ولا عجب ولا مداراة والسلامة من هذه الامور فى زماننا هذا قل أن توجد • فعليك بالوحدة بعد معرفة ما أوجب الله تعالى اليك فانك يا ولدى فى القرن السـابع الذين أكثرهم يجعلون شريعة السـالك قد حافى الشريعة وحقيقة المحبـة بدعا فى الطريق كأنهم ما علموا قط عطاء الله ومواهب مدد الله وخوارق عجائبه بل رأوا من سوء حالهم أن باب العطاء قد أغلق ، فمن اعتقد ذلك فانما هو معترض على الله تعالى فى فعله ونعوذ بالله من التعرض فانه لا بد لأهل حضرته تعالى من التمييز عن المعرضين ، ليشتاق المعرضون اليها حين يرون الخوارق تقع على يد أوليائه فما أجهل من جهل قدر الفقراء وما أعماه أن يقـال فى قوم كلهم طالبون الله تعـالى • أينكر عليهم مسلم ؟ كلا والله •

وقيل للجنيد رضي الله عنه أن قومـا يتواجـدون ويتمايلون قال : دعهم مع الله يفرحـون ، ولا تنكر الا على العصـيان المصرح به فى الشريعة ، اما هؤلاء القوم فقد قطعت الطريق أكبادهم ، ومزق التعب والنصب امعائهم ، وضاقوا ذرعا فلا حرج عليهم اذا تنفسوا مداواة لحالهم ولو ذقت يا أخى مذاقهم لعذرتهم فى صياحهم وشق ثيابهم ، فالله يلهم أولادى سلوك سبيل الرشاد ، انه سميع مجيب •

وكان رضي الله عنه يقول : قلة معرفة أخلاق القوم من الحرمان ، لأن خرق سياج الأدب معهم يؤدى الى العطب ، والباب مفتوح ما غلق الا أن القوم واقفون بباب الله والجواب منادمات فى الغيب بالغيب •

وكان رضي الله عنه يقول : اسلمْ التفسير ما كان مرويا عن السلف وأنكره ما فتح به على القلوب فى كل عصر • ولولا محرك يحرك قلوبنا لما نطقت الا ما ورد عن السلف ، فاذا حرك قلوبنا وارد استفتحنا باب ربنا واستأذناه وسألناه الفهم فى كلامه فنتكلم فى ذلك الوقت بقدر ما يفتحه على قلوبنا • فسلموا لنا تسلموا فاننا فخارة فارغة والعلم علم الله تعالى • وكان يقول : فيض الربوبية اذا أفاض أغنى عن الاجتهاد ، فان صاحب الجهد قاصر ما لم يقرأ فى لوح المعانى سر عطاء القادر • فقد يعطى المولى من يكون قاصرا ما لم يعطى أصحاب المحابر • وليس مطلوب القوم الا هو ، فاذا حصلوا على معرفته عرفوا بتعريفه كل شيء من غير تعب ولا نصب ، ثم اذا صحت لهم المعرفة فلا حجاب له بعد ذلك الا أن خذل نسأل الله السلامة • وكان يقول : من فنى فى الفناء بقى فى البقاء ، والفناء من الحجب الا أن يكون فناء الباطل ، كما قال بعضهم أفنى موسى عن موسى حتى عاد هو المتكلم •

وكان رضي الله عنه يقول : من لم يكن عنده شفقة على خلق الله لا يرقى مراقى أهل الله تعالى • وقد ورد أن موسى عليه السلام لما رعى الغنم لم يضرب واحدة بعصا منهن ولا جوعها ولا أذاها فلما علم الله تعالى قوة شفقته على غنمه بعثه الله نبيا وجعله كليما راعيا لبنى اسرائيل وناجاه ؛ فمن أعز الخلق وأشفق عليهم ترقى الى مراتب الرجال والسلام •

وكان رضي الله عنه يقول : والله لو هاجر الناس مهاجرة صحيحة ودخلوا تحت الأوامر لاستغنوا عن الاشياخ ولكن جاؤا الى الطريق بعلل وأمراض ؛ فاحتاجوا الى حكيم • وكان اذا أخذ العهد على فقير يقول له : يا فلان أسلك طريق النبى على كتاب الله وسنة نبيه صلى

الله عليه وسلم وأقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام واتبـــاع جميع الأوامر المشروعة والأخبـــار المرضية والاشتغال بطاعة الله تعالى قولا وفعلا واعتقادا . ولا تنظر يا ولدى الى زخارف الدنيا ومطاياها وملابسها وقماشها وريشها وحظوظها . واتبع نبيك محمدا صلى الله عليـــه وسلم فى أخـــلاقه فان لم تستطع فاتبع خلق شيخك فان نزلت عن ذلك هلكت يا ولدى . واعلم أن التوبة ما هى بكتابة درج ورق ، ولا هى كلام من غير عمل ، انما التوبة العزم على ارتكاب مـــا الموت دونه صف أقدامك يـــا ولدى فى حندس الليل البهيم ولا تكن ممن يشتغل بالبطالة ويزعم أنه من أهل الطريقة ومن استهزأ بالاشياء استهزأت به والسلام .

وجاءه فقير يطلب أن يلبس الخرقة من الشيخ فنظر اليه وقال يا ولدى التلبس فى الأمور ما هو جيد ، لا يصلح لبس الخرقـــة الا لمن درسته الأيام وقطعته الطريق بجهدها وأخلص في معاملته وقراء معانى رموز القوم ونظر فى أخبارهم وعرف مقصـــودهم فى سائر حركاتهم وسكناتهم وأسفارهم وخلواتهم وجلواتهم ، فان كنت صادقا فلا تكن مجانا ولا لعابا ولا صبى العقل ، فما الأمر بقـــول العبد تبت الى الله تعالى باللفظ دون القلب ، ولا بكتابة الورق والدرج ، وانما الأمر توبة العبد عن أن يلحظ الأكوان بعينى قلبه أو يراعى غير مولاه ، فاذا صح للفقير لهذا الأمر فهناك يصلح للرقى فى مقامات الرجال .

وكان رضي الله عنه يقول : قوت المبتدىء الجوع ومطره الدموع ووطرة الرجوع يصـــوم حتى يرق ويلين وتدخل الرقـــة قلبه وتفتح مسامع لبه ويزول الوقر من سمعه فيسمع باذن وقلب كـــلام القرآن ومواعظه ، وأما من أكل ونام ولغا فى الكلام ، وترخص وقال : ليس على فاعل ذلك ملام فانه لا يجىء منه شيء والسلام .

وكان رضي الله عنه يقول : ما بنيت طريقتنا هـــذه الا على التيار والنار والبحر الهدار والجوع والاصفرار ما هى بمشدقتك ولا بالفشار دعنى فما وجدت من أولادى واحدا اقتفى آثار الرجـــال ولا صلح أن

يكون محلا للأسرار ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم من هذا الزمان الغدار •

وكان رضي الله عنه يقول : الفقير كالسلطان مهابة ، وكالعبد الذليل تواضعا ومهانة قلب ، وانما كان السلطان لعفته وترك أسقاطه نفسه وكثرة صفحه وعفوه وكرم نفسه وعدم منته وغير ذلك ، بل هو أحق بالهيبة من السلطان لأنه جليس الحق وربما لا يكون السلطان يصلح لمجالسة الحق ، لكونه أخذ المرتبة بالسيف أو يكون مبتدعا أو غير ذلك والله أعلم •

وكان رضي الله عنه يقول : الشيخ حكيم المريد ، فاذا لم يعمل المريض بقول الحكيم لا يحصل له شفاء • وكان يقول مذ صرفنا هممنا اليه أغنانا عما سواه ؛ انا لا نعرف قط ابليس اللعين •

وكان رضي الله عنه يقول : خلوة الفقير سجادته ، وجلوته سره وسريرته ، وكان يقول : يجب على تال القرآن أن يطهر فمه للتلاوة من اللغط والنطق الفاحش ، ولا يأكل الا حلالا صرفا قوت الوقت من غير سرف ، فان أكل حراما أساء الأدب ، ويعطر ثيابه وبدنه ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعطر لذلك حتى كان اذا لمس شيئا يمكث يفوح الطيب منه زمانا ، وكان وميض المسك يلمع من مفرقه صلى الله عليه وسلم • وكان يقول : الغيبة فاكهة القراء ، وضيافة الفساق ، وبستان الملوك ومراتع النسوان ومزابل الأتقياء •

وكان رضي الله عنه يقول : يا ولدى لا تود عن كلامى الا عند من كان منا ، وأحب أن يسلك طريقنا ، ولا تلقه الا لمحب محق ؛ يدخل تحت طيننا وينقاد لنا ؛ فان ذِكْرَ الكلام لغير أهله عورة" • وكان يقول : طريقتنا هذه ما هى طريق تمليق ، بل هى طريق تحقيق وصدق وتصديق وموت وكد وجهد وحزم وكدم وكسر نفس من غير دعوى واتضاع وخضوع وذلة وفراسة ورقوم وعلوم • فيا أولادى اذا عملتم بموعظتى وعادت ارشاداتى كلها فيكم كانت اجازتى مطهرة مكملة بالسر والمعنى • فان المقامات ما هى محجوبة عنكم الا بكم •

القرقعية واستعمالها فوعزته وجلاله من صدق منكم وأخلص لا يمس أحدا الا نبعث فيه الحكمة وحصل عنده الشراب ، والسكر عن هذه الدار ، يا أولادى الدنيا كحلقة بين أعين أهل التمكين ، قوم يمشون الى الأقطاب ، وقوم تأتى اليهم الأقطاب ، لا أحب من أولادى الا من أراه يترقى فى كل ساعة من مقام الى مقام فهناك تقر عينى وهناك يصير ينتفع به ، يا ولدى ان أردت أن يسمع دعائك فاحفظ لسانك عن الكلام فى الناس ، وعن تناول الشبهات ، يا ولدى ان شككت فى قولى فافعل بما أقول لك وجرب نفسك شيئا بعد شيء تعرف صدق قولى فمن ثبت ثبت ومن أطاع أطيع ، فاذا أطعت مولاك أطاع لك الماء والنار والهواء والخطوة والأنس والجن •

وكان رضي الله عنه يقول : لا تفيد الخلوة الا ان كانت باشارة شيخ ، والا ففسادها أكثر من صلاحها • وكان يقول : لا يحق أن تأمر غيرك الا ان كانت الشريعة تزكيك بوقوفك على حدودها • وكان يقول : الجسد ثلاثة أقسام قلب ولسان وأعضاء ، فاللسان والأعضاء وكل بهما ملائكة ، والقلب تولاه الله تعالى • وجاءه رجل فقال : أريد أن أسلك طريق الحقيقة • فقال : يا ولدى الزم أولا طريق النسك ، على كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المرضية الزاهرة الباهرة التى نورها جلا الظلم وأنار بطاح مكةوالمدينة والشام ومصر والعراق واليمن والمشرق والمغرب والأفق العلوى والسفلى • فاذا أعملت بها انفدح لك منها علم الحقائق والأسرار فاسلك يا أخى كما قلت لك على التدريج شيئا بعد شيء والله يحفظك ان صدقت •

وكان رضي الله عنه يقول : ما ثم عمل أزكى ولا أنور ولا أكثر فائدة من علم أهل الله عز وجل فان الذرة منة ترجح على جبال من عمل غيرهم ، لخلوه من العلل وأيضا فان عمل القوم بقلوبهم وأبدانهم ، وعمل غيرهم بأبدانهم دون قلوبهم ولذلك لا يزدادون بكثرة الطاعات الأكبرا وعجبا وكان يقول : لو خشع قلبك يا ولدى فى صلاتك ، لاختلط عقلك وذهب ولم تقرأ سورة واحدة من كتاب الله تعالى فى تلك

الحضرة . فان موسى عليه السلام خر صعقا يتخبط كالطير المذبوح ، حين تجلى له مقدار جزء واحد من تسعة وتسعين جزء من سم الخياط وهذا التجلى واقع لكل مصل لو عقل كما عقل موسى عليه السلام . وكان يقول أهل الشريعة يبطلون الصلاة باللحن الفاحش وأهل الحقيقة يبطلون الصلاة بالخلق الفاحش فاذا كان فى باطنه حقد أو حسد أو سوء ظن بأحد أو محبة للدنيا فصلاته باطلة لأن أهل هذه الأخلاق فى حجاب عن شهود عظمة الله تعالى فى الصلاة ؛ ومن كان قلبه محجوبا فما صلى لأن الصلاة صلة بالله تعالى .

وكان رضي الله عنه يقول : يا ولد قلبى تجنب معاشرة أولى الأقوال والجدال ؛ ولا تتخذ أحدا منهم صاحبا وجالس من جمع بين الشريعة والحقيقة فانه أعون لك على سلوكك . وكان رضي الله عنه يقول : أن كنت ولدى حقا ومتبعى صدقا فاخلص الرزق لله ، واجعل واعظك من قلبك ؛ وكن عمالا ولا تلتمس لأحد درهما فان هذه طريقى ومن أحبنى سلك معى فيها فان الفقير الصادق هو الذى يُطعِم ولا يُطعَم ويعطِى ولا يعطَى ولا يلتمس الدنيا ولا شيئا من عروضها . فان الرشا فى الطريق حرام وشيخكم قد بايع الله تعالى أن لا يأخذ لأحد فلسا ولا درهما وانما آمركم بذلك لله لا لغرض ولا لأمر دنيوى ولا لأثاث وليس دعوى انما المراد سلامة الذمة من الخلل فى نصح الاخوان . واعلموا يا جميع أولادى من استحسن فى طريقى أخذ شيء حين لعب به هواه وسولت نفسه فقد خرج عن طريق شيخه يا أولادى أوساخ الدنيا تسود القلوب وتوقف المطلوب وتكتب بها الذنوب وانى غير راض عمن أخذ فى اجازة فلسا واحدا ومن الدنيا بالباس الفقراء الخرقة مقته الله تعالى ولو ذهب الى أعمال الدنيا واحترف لنفسه وعياله كان خيرا له وطريقى انما هى طريق تحقيق وتصديق وتمزيق وانى أبرأ الى الله تعالى ممن يأخذ على الطريق عرضا من الدنيا ويتلف طريقى من بعدى ويأكل الدنيا بالدين ويخالف ما كنت عليه أنا وأصحابى . اللهم ان كان هؤلاء الأصحاب خلفى

يفعلون خلاف طريقتي فلا تهلكني بذنوبهم ان الله لا يحب الفقير الذى يبيع سره أو يأكل عليه لقمة •

وكان رضي الله عنه يقول : أحب يا ولدى أن تكون متنسكا لا تحيد خاشعا خاضعا حمالا لكل هول سكران من حب مولاه ، لا التفات له الى زوجة ولا الى ولد ، ولا أخ ولا صاحب ولا وظيفة دنيوية ولا يلتفت لسوى مولاه ، وكان يقول : يا ولدى ان صح عهدك معى فأنا منك قريب غير بعيد وأنا فى ذهنك ، وأنا فى سمعك ، وأنـــا فى طرفك ، وأنا فى جميع حواسك الظاهرة والباطنة وان لم يصح لك عهد لا تشهد منى الا البعـــد •

وكان رضي الله عنه يقـــول : ما أرضى اللعب لأحـــد من خلق الله تعالى فكيف أرضاه لأحد من أولادى • فاذا أخذت يـــا ولدى وصيتى بالقبـــول ، وجهدت فى سرك وراقبته سمعت كـــلام شيخك ولو كنت بالمشرق وهو بالمغـــرب ، ورأيت شبح شخصه فمهما ورد عليـــك من مشكلات سرك أو شيء تستخير فيه ربك أو أحد يقصدك بأذى أو غير ذلك ، فوجه شيخك ، وصف سرك ، وأطبق عين حســـك ، وافتح عين قلبك فانك ترى شيخك وتستشيره فى جميع أمورك وتطلب منه حاجتك فمهما قال لك فاقبله وامتثله •

وكان رضي الله عنه يقول : يا ولدى اذا كنت تصوم الدهر ، وتقوم الليل ولك سريرة طاهرة ومعاملة خالصة فلا تدع وتقول الا أنك عاص مفلس لاغير واحذر من غرور النفس وزورها فكم تلف من ذلك فقير •

وكان رضي الله عنه يقول : ان كنت تطلب أن تكون من أولادى فقم قياما دائما وجاهد جهادا ملازما ولا تمل ولا تول ولا ترخص لنفسك في تركك الاشتغال بالعبادة فى حجة خـــوف الملل ، فان النـــاقد بصير ، والنفس فى شأنها التلبيس على صاحبها • وكان يقول : ليس من تزى بزى القوم ينفعه زيه أو درجة أو خرقته فان هـــذه أمور ظـــاهرة • والقوم انما عملهم جوانى اذا بذلك يرقون الى مراقى درجة الرجال وما رأينا أحد يلبس جبة أو كتب له اجـــازة فبلغ مبلغ الرجـــال بذلك قط

بل فعل ذلك يوقف المريد عن طلب المزيد والامر ليس له قرار وكان يقول : يا أولادى اذا طلبتم أن تغتابوا أحدا فاغتابوا والديكم فانهما أحق بحسناتكم من غيرهما وكان يقول : ان الله تعالى يطلع على قلوب عباده فى اليوم والليلة اثنتين وسبعين مرة فنظفوا يا أولادى محل نظر ربكم واجعلوه طاهرا مطهرا حسنا نقيا زاهرا نيرا صادقا خالصا لترتع فى الرياض بالقرب ، ويظهر فيها النور ، فان الاناء ان لم يكن شفافا لا يظهر للفتيلة فيه نور . وكان يقول : يا ولدى انقش على صحيفة صفحة لوح خدك توراة درسك وانجيل فهمك ومزامير ذكرك وزبور صفائك وفرقان تفريقك ومجموع جمعك واشتغل بافنان حضورك ومراقبة رقيبك واشتغل بنفسك عن القيل والقال ولا تلتفت قط الى صحبة من يتكرم بضياع أوقاته أو أنفاسه فى الغفلات فان صحبته هلاك لك .

وكان رضي الله عنه يقول : يا ولدى صحح عزمات عزمك واترك تخيلات وهمك ولج بحر الحقائق ، وسلم الأمر لله واقتد واقتف أوامر شيخك ، والق عصاك ولا تطلب خبر نفسك من غيرك ، بل اعمل حتى تنكشف لك حقائقك من عرف نفسه عرف ربه . وكان يقول : اذا عمل الفقير على نسق الاتباع الشرعى تروحنت نفسه وصارت روحانية لطيفة نورانية تجول جولان للسير وللقلب والمعنى . ومعنى قولنا نسق الاتباع الشرعى نحو قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) .

وكان رضي الله عنه يقول : يجب على المريد أن يطهر أعضاءه عن الغفلات ، والفتور عن ذكر الله ، كما يجب تطهيرها عن المعاصي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين . وكان يقول : لا ينبغى لحامل القرآن العظيم أن يدنس فمه بكلام حرام ولا أكل حرام فى عرض مؤمن ولا مؤمنة . قال تعالى : (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة) الآية ومثال من ينطق بالقرآن الكريم مع تدنس فمه بغيبة أو نميمة أو بهتان مثال من وضع المصحف

فى قاذورة وقد قال العلماء بكفره • وكان يقــول : يا أولادى لا يسر أحدكم سريرة سيئة فان الله تعــالى سيظهر ما كنتم تكتمون ، ومــا كنتم تخفون ، وما كنتم تستترون وينادى عليكم بالصريح والتوبيخ فلأن عمل كذا وكذا وكان يستتر من الناس ولا يستتر من الله تعالى • فلأن كان يرتكب المحارم والقبائح ويظهر للناس الصلاح زورا وبهتانا فلأن كان يطلق بصره الى النساء ويدعى أنها نظرة فجــأة وهو يعطف طرفه ويميل كأنه لص سارق فيا فضيحة من تزيا بزى الفقراء وخالف طريقهم • فيا أولادى جميعكم انمــا كلامى مواعظ وتذكير وتحــذير وترغيب لمن يتأدب •

وكان رضي الله عنه يقول : يا أولادى لا تصــحبوا غير شيخكم • واصبروا على جفاه فانه ربما امتحنكم ليريد بكم الخــير ، وأن تكونوا محلا لأسراره ومطلعا لأنواره ، ليرقيكم بذلك الى معرفة الله عز وجل فمن أشغل قلبه بمحبة شيخه رقاه الله عز وجل ، ولولا أن الشيخ سلم لترقية المريدين ، لمقت الله تعالى كل قلب وجــد فيه محبة لسواه فان الله تعالى غيور • وكان يقول : يا أولاد قلبى ان أردتم أن تنادوا يوم المنة (يا أيتها النفس المطمئنــة) فليكن طعــامكم الذكر وقولكم الفكر وخلوتكم الأنس واشتغالكم بالله تعــالى ولا خوف عقــاب ولا رجاء ثواب ، ولا بد لكل من معلم ونحن ننتظر من فيض ما أفاض الله علينا ، ولا نعرف غير طريق ربنا ، وثم علم مكسوب من الكتب وعلم موهوب من قبل ربنــا • وكان يقول المراقب لا يتفرغ لطلب المكاسب وكل من ادعى الحب ولم يُفنــه الحب فهو لا شيء • وكان يقــول اذا تجــلى عروس الكلام فى رتبة الالهام طلعت شموس المعــارف وتجلى البدر المنير فى الليل البهيم فهم سكرى الظواهر صحوى البواطن والضمائر اذا جن عليهم الليل باتوا قائمين ، فاذا ذهب عليهم نسيم السحر مالوا مستغفرين ، فلما رجعوا عند الفجر بالأجر نادى منادى الهجر يا خيبة النائمين • وكان يقول من لم ينخلع من طوره ويخرج عن نفسه ويأتى هو بلا هو ، لا يجد عند ذلك هو ، وقــد بالغت لكم جهدى فى النصح

فان اتبعتم أفلحتم • وكان يقول : يا ولدى أليس قميص الفقر النظيف الظريف ما الامر بلبس الثياب ، ولا بسكنى القباب والخـانقات ، ولا بالزاويات ، ولا بلبس العبايات ولا بلبس القبـاء ولا بالأزرق وحف الشوارب ولا بلبس الصـوف ولا بالنعل المخصـوف ، انما الفقر أن تخلص عملك كله فى قلبك وتلبس ثوب صـدق عزمك وتحترم بحزم ايمانك ، فاذا كان عملك كله فى قلبك ، كان فائدة وربحـا وأضرم نار القلب ، واحترق الحشي ، وامتلأ القلب خوفا من الله تعالى ومحبة له فما رقيق الثياب حينئـذ وما خشنها فـاذا قويت فى القلب الأنوار لم يطق صاحبه حمل ثوب رقيق ، ولا أزار قلت وهـذا سبب ترك بعض القوم لبس الثيـاب من مجاذيب وصحاة والله أعلم • قـال الشيخ رضي الله عنه فان تهتك هذا فلا يلام وان صاح أو باح فقـد حل عنه الملام ، وان رش عليه الماء فى ليالى الأربعينيات فلا يزيد الا ضراما وكل شيء نزل باطنه من الطعـام والماء نار واستنار • فيـا أولادى الفقراء كلهم عندى ملاح فليكونوا عندكم كذلك ، فاحذروا الانكار •

وكان رضي الله عنه يقول : خاص الخـاص من أهل الخصـوصية جعلوا زواياهم قلوبهم ولبسهم تقواهم وخوفهم من ربهم ومولاهم • قد رفضوا الكرامات ولم يرضوا بها وحرجوا عنها لعلمهم أنها من ثمرة أعمالهم فلم يطيروا فى الهـواء ولم يمشوا على ماء ولم تسـخر لهم الهوام ولم تبصبص لهم الأسود ولم يضربوا أرجلهم بالأرض فتنفجر ماء ولامسوا أجـذم ، ولا أبرص ، فبرىء ولا غير ذلك فخرجـوا من الدنيا وأجورهم موفورة رضي الله عنهم أجمعين •

وكان رضي الله عنه يقول : يا أولادى عمركم فى انتهاب ، وأجلكم فى اقتراب ، وقد طويت الدنيا وجئنا أولها عند آخرهـا فالسعادة كل السـعادة لمن طوى منكم صحيفته كل يوم مضمخة معنبرة ممسـكة معطرة بأعماله الزكية وشيمته المرضية • والشـقاوة كل الشقاوة لمن طوى منكم صحيفته كل يوم على زلات وقبائح عظيمات • يا أولادى كأنكم بالساهرة وقد مدت وبالجبال وقد دكت وبالحجارة وقد صاخت

بالحصى وهو يقطر دما فبـــادروا واعملوا ولا تسرفوا تنـــدموا هذه وصيتى لكم وهديتى اليكم • وكان يقول : انما قالوا حسنات الأبرار سيئات المقربين •• لأن المقرب يراعى الخطرات واللحظات ويعد ذلك من الهفوات ، ويفتش على هواجس النفوس ويراقب خروج أنفاسه ويخاف من حسناته كما يخاف المذنب من سيئاته • والأبرار لا يقدرون على هذه الحال ، وأيضا فالمقرب لا يقول عند شرابه أواه ولا ما أحلاه ولا يصفق بكف ، ولا يصرخ ، ولا يشق ، ولا يضرب برأسه الحجر ولا يهيم ، ولا يمشي على الماء ولا يقفز فى الهواء ، فلما لم يقع منه شيء من ذلك أثبته أهل الطريق ونفقوا من فعل ذلك لقلة ثبوته على الواردات مع أنهم سلموا له حـــاله لغلبته عليه ، وجعلوا حسناته سيئات مع أن المقربين ليس لهم سيئات انما هى محاسبات عاليات نفيسات • وكان يقول كيف يدعى أحـــدكم أنه من الصـــالحين ، وهو يقع فى الأفعال الردية ، ويأكل طعام المكاسين وأهل الرشا والربا والظلمة وأعوانهم ، وكيف يدعى أنه من الصالحين وهو يقع فى الكذب والغيبة ، والوقيعة فى الناس ، وفى أعراضهم ، وكيف يطلب أن يكتب عند الله صادقا أو وليا ، أو حبيبـــا أو زكيا أو رضـــيا وهو يقـــع فى شيء من المناهى ، ولعمرى هذا الآن لم يتب فكيف يدعى الطريق أو يتوب غيره • وكان يقول : ان أردت يا ولدى أن تفهم أسرار القـــرآن العظيم فاقتل نفس دعواك ، واذبح شبح قولك ، واطرح نفس نفسيتك تحت قدم أقدامك ، وعفر خديك على الثرى ، واشهد أن نفسك قبضـــة من تراب واعترف بكثرة ذنوبك وخف أن يرد عليك عبادتك وقل يـــا ترى مثلى يقبل منه عمل فاذا كنت على هذا الوصف فيرجى لك أن تشم رائحة من معـــانى كلام ربك ، والا فبـــاب الفهم عنك مغلق وعزة ربى ان كل حـــرف من القرآن العظيم يعجز عن تفسيره الثقـــلان ولو اجتمع الخلق كلهم أن يعلموا معنى بعقولهم لعجزوا وما لأحد من ذات نفسه شيء قل ولا جل وان لم يكن الله تعالى يعلم العبـــد والا فهو عـــائم فى البحر مزكوم محجوب لا شم ولا لم ولا علم ولا حس ومن لم يذق مقام القوم ويرى ويشاهد لم يحسن أن يصف بحرا لا قرار له أو يترجم عن ساحل لا

آخر له أو يعوم فى قعر التخوم أو يصل الى النون أو يدرك معانى السر المصون • وأما اذا أعطى عبده علم ذلك فلا مانع •

وكان رضي الله عنه يقول : شراب القوم لا يشربه من فى قلبه عكر دنس ، ولا بقايا غلس ، ولا حظوظ نفسانية ، ولا دعاوى شيطانية ، ولأكبر ترث ولا نفس ثائرة •

وكان رضي الله عنه يقول : كم من علم يسمعه من لا يفهمه ، فيتلفه ولذلك أخذت العهود على العلماء أن لا يودعوا العلم الا عند من له عقل عاقل وفهم ثاقب • وكان يقول : الصحيح من قول العلماء أن العقل في القلب لحديث أن فى الجسد لمضغة ، ولكن اذا فكرت فى كنه العقل وجدت الرأس يدبر أمر الدنيا ووجدت القلب يدبر أمر الآخرة فمن جاهد شاهد ومن رقد تباعد • وكان يقول : ليس أحدهم يقدم فى الطريق بكبر سنه ، وتقادم عهده ، انما يتقدم فتحه ومع هذا فمن فتح عليه منكم فلا يرى نفسه على من لم يفتح عليه ، وتأمل يا ولدى ابليس اللعين لما رأى نفسه على آدم عليه السلام • وقال أنا أقدم منه وأكثر عبادة ونورا كيف لعنه الله تعالى وطرده وكان يقول يجب على حامل القرآن أن لا يملأ جوفه حراما ولا يلبس حراما فان فعل ذلك لعنه القرآن من جوفه • وقال لعنة الله على من لم يجل كلام الله تعالى • وكان يقول : من أحب أن يكون ولدى فليجلس نفسه فى قمقم الشريعة وليختم عليها بخاتم الحقيقة وليقتلها بسيف المجاهدة ، وتجرع المرارات ومن رأى أن له عملا سقط من عين ربه وحرم من ملاحظته • وكان يقول العارف يرى حسناته ذنوبا ولو آخذه الله تعالى بتقصيره فيها لكان عدلا • وكان يقول يا أولادى أطلبوا العلم ولا تقفوا ولا تسأموا فان الله تعالى قال لسيد المرسلين وقل ربى زدنى علما فكيف بنا ونحن مساكين فى أضعف حال وآخر زمان وسبب طلب الزيادة من العلم انما هى للأدب يعنى اطلب الزيادة من العلم لتزداد معى أدبا على أدبك وما قدروا الله حق قدره • كان رضي الله عنه يقول : اذا لبس مريد الخرقة اعلم يا ولدى أن صحة هذه

الطريق وقاعدتها ومجلاها ومحكمها الجوع فان أردت السعادة فعليك بالجوع ولا تأكل الا على فاقه فان الجوع يغسل من الجسد موضع ابليس • فيا ولدى تريد شربة بلا حمية هذا لا يكون • وكان يقول : اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بواطنكم بنور الله تعالى فيجد فيها ما يسخط الله تعالى فان أحببت يا ولدى أن تسمع وتبصر وتعقل فع فى بطنك الفوائد ولا تقنع ببوس اليد ولا بالرياسة ، ولا يكمل الفقير الا أن تكلم بمعانى الحقيقه ذوقا لا نقلا وفعلا لا قولا ولا تحلى فى باطنه لحلية الاصطفاء بالسر والمعنى ، فتغنى وتتكلم بالحكم ونطق بالمعجم ، وبالسر المكتم • واطلع وحقق فما ينطق الا صدقا ولا يتكلم الا حقا وعند ذلك يصح له أن يدعو الخلق الى الله تعالى •

وكان رضي الله عنه يقول : يا ولد قلبى كن على حذر من الدخلاء والدخيل السوء وان عانيت من أخيك عنفا أو حمدا فعاشره بالمعروف واحفظ نفسك عنه وأما صديقك فان صدقك فاحفظه وما للمرء يا ولدى الا أن يكون على حذر من جميع البشر ؛ فأنا فى آخر زمان وقد قل النصح حتى لا تكاد تنظرنا صحا وعاد من توليه سرورا يوليك نكدا وشرورا ومن ترفعه يسعى أن يضعك ومن لم تحسن اليه يسيء اليك بل ثم من تحسن اليه يسيء اليك ومن تشفق عليه يود لو على الرماح رماك أو على الشوك داسك ومن تنفعه يضرك ومن توليه معروفا يوليك جفاء ومن توصله يقطعك ومن تطعمه يحرمك ، ومن تقدمه ان استطاع أخرك ، ومن تربيه يقول أنا الذى ربيتك ومن تخلص له يغشك ، ومن تهش له بكش فوا عجبا للدنيا ولأهلها واذا كان النفاق داخلا فى أيام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف يخلو فى قرن سابع فاستعمل يا ولدى الوحدة عن أهل السوء والكسب من أهل الخير وان استطعت أن لا تصحب من تتعب فى صحبته فافعل فانك ان صحبته ندمت على صحبته وقد نصحتك يا ولدى • وأما أهل التمكين فى هذا الزمان فقد تركوا أخلاق الأرذال من الناس وغفروا لهم أفعالهم وغضوا أبصارهم عن نقصانهم وصموا آذانهم عن سماع أقوالهم • وتركوا الكل لله

وطلبوا من الله تعالى لأهل هذا الزمان عفوا شاملا وقابلوا سيئاتهم بالحسنات ومضراتهم بالمسرات والمبرات قلت ويشهد لأهل التمكين قوله صلى الله عليه وسلم ومن لا يمالئكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله وفيما فعله أهل التمكين دليل لغلق باب الملوك فى هذا الزمان من باب أولى ، لأن معالجة أهله تشغل الفقير عن مهمات نفسه من غير ثمرة كما هو مشاهد والله أعلم •

وكان رضى الله عنه يقول : المريد مع شيخه على صورة الميت لا حركة ولا كلام ولا يقدر أن يتحدث بين يديه الا باذنه ، ولا يعمل شيئا الا باذنه من زواج أو سفر أو خروج أو دخول أو عزلة أو مخالطة أو اشتغال بعلم أو قرآن أو ذكر أو خدمة فى الزاوية أو غير ذلك • هكذا كانت طريق السلف والخلف مع أشياخهم فان الشيخ هو والد السر ويجب على الولد عدم العقوق لوالده ولا يعرف للعقوق ضابط يضبطه به انما الأمر عام فى سائر الاحوال وما جعلوه الا كالميت بين يدى الغاسل فعليك يا ولدى بطاعة والدك وقدمه على والد الجسم • فان والد السر أنفع من والد الظهر لأنه يأخذ الولد قطعة حديد جامد فيسبكه ويذيبه ويقطره ويلقى عليه من سر الصنعة سرا فيجعله ذهبا ابريزا فاسمع يا ولدى تنتفع وكثير من الفقراء صحبوا أشياخهم حتى ماتوا ولم ينتفعوا لعدم الأدب • وبعضهم مقتوا آه من صدود الرجال ومن صحبة الاضداد ومن سماع المريد للمحال •

وكان رضى الله عنه يقول : انا موسى عليه السلام فى مناجاته ، أنا على رضى الله عنه فى حملاته ، أنا كل ولى فى الأرض خلعته بيدى البس منهم من شئت أنا فى السماء شاهدت ربى وعلى الكرسى خاطبته أنا بيدى أبواب النار غلقتها ، وبيدى جنة الفردوس فتحتها من زارنى أسكنته جنة الفردوس • وأعلم يا ولدى أن أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون متصلون بالله،وماكان ولى متصل بالله تعالى ألا وهو يناجى ربه ، كماكان موسى عليه السلام يناجى ربه وما من ولى الا ويحمل على الكفار كما كان على بن أبى طالب رضى

الله عنه يحمل • وقد كنت أنا وأولياء الله تعالى أشياخا فى الأزل بين يدى قديم الأزل وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وان الله عز وجل خلقنى من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنى أن أخلع على جميع الاولياء بيدى فخلعت عليهم بيدى • وقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابراهيـم أنت نقيب عليهم ، فكنـت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأخى عبد القـادر خلفى وابـن الرفاعى خلف عبد القادر ثم التفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لى يا ابراهيم سر الى مالك وقـل له يغلق النيـران وسر الى رضوان وقل له يفتح الجنان ، ففعل مالك ما أمر به ورضوان ما أمر به وأطال فى معانى هذا الكلام • ثم قال رضى الله عنه وما يعلم ما قلته الا من انخلع من كثافة حجبه وصار مرووحنا كالملائكة • قلت وهذا الكلام من مقام الاستطالة تعطى الرتبة صاحبها أن ينطق بما ينطق وقد سبقه الى نحو ذلك الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله عنه وغيره فلا ينبغى مخالفته الا بنص صريح والسلام وهو ابراهيم بن أبى المجدين قريش بن محمد ابن أبى النجاء بن زين العابدين بن عبد الخالق بـن محمد بن أبى الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبى القاسم ابن جعفر الزكى بن على بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على الزاهد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب القرشى الهاشمى رضى الله عنهم أجمعين تفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ثـم اقتفى آثار السادة الصوفية وجلس فى مرتبة الشيخوخة وحمل الراية البيضاء وعاش من العمر ثلاثا وأربعين سنة ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ست وسـبعين وستمائة رضى الله تعالى عنه •

(ومن نظمة رضى الله تعالى)

سقانى محبـوبى بكأس المحبة فتهت عن العشاق سكرا بخلوتى
ولاح لنا نور الجلالـة لو أضاء لصم الجبال الراسيات لدكـت

وكنت أنا الساقى لمن كان حاضرا أطوف عليهم كرة بعـــد كــرة
ونـــاد منى سرا بسر وحكمــــة وأنا رسول الله شيخى وقدوتى
وعاهدنى عهــدا حفظت لعهــده وعشت وثيقــا صادقا بمحبتى
وحكمنى فى سائر الارض كلها وفى الجن والاشباح والمرديـــة
وفىأرض صين الصين والشرق كلها لأقصى بلاد الله صحت ولايتى
أنا الحرف لا أقــرأ لــكل مناظر وكل الورى من أمر ربى رعيتى
وكم عالم قد جاءنا وهو منــكر فصار بفضل الله من أهل خرقتى
وما قلت هذا القول فخرا وانما أتى الأذن كى لا يجهلون طريقتى

(وله أيضا عفا الله عنا به)

تجلى لى المحبوب فى كل وجهة فشاهدته فى كل معنى وصــورة
وخاطبنى منى بكشف سرائــرى فقال أتدرى من أنـــا قلت منيتى
فأنت منائى بل أنا أنت دائمـــا اذا كنت أنت اليوم عين حقيقتى
فقال كـــذا لك الامر لكنـــه اذا تعينت الاشياء كنـــت كنسختى
فأوصلت ذاتى باتحادى بذاتـــه بغير حلول بل بتحقيق نســبتى
فصرت فناء فى بقـــــاء مؤبــد لذات بديمومـــــة سرمديـــــة
وغيبنى عنى فأصبحـــت سائــلا لذاتى عن ذاتى لشــغلى بغيبتى
وأنظر فى مرآة ذاتى مشاهــدا لذاتى بذاتى وهى غايـــة بغيتى
فأغدوا وامرى بين أمرين واقف علومى تمحونى ووهمـــى مثبتى
خبأت له فى جنـــة القلب منــزلا ترفع عن دعد وهنــد وعلـــوة
أنا ذلك القطب المبارك أمــــره فان مدار الكل من حول ذروتـــى
أنا شمس أشراق العقول ولم أنل ولا غبت الا عن قلــوب عميـــة
يرونى فى المرآة وهى صديـــة وليس يرونى بالمرآة الصقليـــة
وبى قامت الأنباء فى كل أمـــة بمختلـــف الآراء والــــكل أمتى
ولا جامع الا ولى فيـــه منبـــر وفى حضرة المختار فزت ببغيتى
وماشهدت عينى سوى عين ذاتها وان سواهـــا لا يلـــم بفكرتى

بذاتي تقوم الذات في كل ذروة أجدد فيها حلة بعد حلة
فليلى وهند والرباب وزينب وعلوى وسلمى بعدها وبثينة
عبارات أسماء بغير حقيقة وما لوحوا بالقصد الا لصورتي
نعم نشأتي في الحب من قبل آدم وسرى في الأكوان من قبل نشأتي
أنا كنت في العلياء مع نور أحمد على الدرة البيضاء في خلويتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فدائه بلطف عنايات وعين حقيقة
أنا كنهت مع ادريس لما أتى العلا وأسكن في الفردوس أنعم بقعة
أناكنت مع عيسى على المهد ناطقا وأعطيت داوودا حلاوة نغمة
أنا كنت مع نوح بما شهد الورى بحارا وطوفانا على كف قدرة
أنا القطب شيخ الوقت في كل حالة أنا العبد ابراهيم شيخ الطريقة

قلت وجميع ما فيه استطالة من هذه الأبيات انما هو بلسان الأرواح ولا يعرفه الا من شهد صدور الأرواح من أين جاءت والى أين تذهب وكونهاكالعضو الواحد من المؤمن اذا اشتكى فيه ألما تداعى له سائر الجسد وذلك خاص بالكامل المحمدى لا يعرفه غيره • وقد كان سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه يقول : أعرف تلامذتى من يوم الست بربكم وأعرف من كان فى ذلك الموقف عن يمينى ومن كان عن شمالى ولم أزل من ذلك اليوم أربى تلامذتى وهم فى الأصلاب لم يحجبوا عنى الى وقتى هذا نقله ابن العربى رضى الله عنه فى الفتوحات •

وكان رضى الله عنه يقول : أشهدنى الله تعالى ما فى العلى وأنا ابن ست سنين ونظرت فى اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين ، ورأيت فى السبع المثانى حرفا معجما حار فيه الجن والانس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته • وحركت ما سكن وسكنت ما تحرك باذن الله تعالى وأنا ابن أربع عشرة سنة والحمد لله رب العالمين هذا ما لخصته من كتاب الجواهر

له رضى الله عنه وهو مجلد ضخم ومنهم السيد الحسيب النسيب أبو العباس سيدى أحمد البدوى الشريف رضى الله تعالى عنه وشهرته فى جميع أقطار الارض تغنى عن تعريفه ولكن نذكر جملة من أحواله تبركا به فنقول وبالله التوفيق مولده رضى اللـــه عنه بمدينــة فاس بالمغرب لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج اليها حين أكثر القتـــل فى الشرفاء فلما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلا يقول له فى منامه يا على انتقل من هذه البلاد الى مكة المشرفة لنا فى ذلك شأنا وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة قال الشريف حسن أخو سيدى أحمد رضى الله عنه فما زلنا ننزل على عرب ونرحل عن عرب فيتلقونا بالترحيب والاكرام حتى وصلنا الى مكة المشرفة فى أربع سنين •

فى نقل كلام الامام العلامة ناصر السنة فى هذا الزمان سيدى السيد أحمد دحلان مفتى الشافعية فى مكة المشرفة فى كتابه • وخلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ، وله كتاب مستقل فى الرد على الوهابية • ولكن كلامه فى الكتاب المذكور كاف واف شاف • وها أنا أنقله برمته وهو جامع مع كل ما يلزم ذكره فى هذا الشأن فى اثبات الحق ودحض الاباطيل ورد شبههم بأوضح بيان وأقوى دليل •

قال رحمه الله تعالى ــ ذكر الشبه الذى تتمسك بها الوهابية ــ ينبغى أولا أن نذكر الشبهات التى تمسك بها ابن عبد الوهاب فى أضلال العباد • ثم نذكر الرد عليه ببيان ان كل ما تمسك به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين ، فمن شبهاته التى تمسك بها زعمه ان الناس مشركون فى توسلهم بالنبى « صلعم » وبغيره من الانبياء والأولياء والصالحين • وفى زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وندائهم له بقولهم يا رسول الله نسألك الشفاعة ، وزعم ان ذلك كله اشراك وحمل الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين • كقوله تعالى ــ « فلا تدعوا مع الله أحدا » وقوله تعالى « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون • واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » وقوله تعالى « ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين » وقوله تعالى « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين » وقوله تعالى « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال » وفى قوله تعالى « والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير » وقوله تعالى « قل

ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا » وأمثال هذه الآيات كثير فى القرآن ، كلها حملها على الموحدين • قال محمد بن عبد الوهاب : ان من استغاث وتوسل بالنبى « صلعم » أو بغيره من الانبياء ، والاولياء ، والصالحين ، أو ناداه ، أو سأله الشفاعة ، فانه يكون مثل هؤلاء المشركين ، ويكون داخلا فى عموم هذه الآيات •

وجعل زيارة قبر النبى « صلعم » أيضا مثل ذلك • وقال فى قوله تعالى حكاية عن المشركين فى اعتذارهم عن عبادة الاصنام ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، فان المشركين ما اعتقدوا فى الاصنام انها تخلق شيئا ، بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى ، بدليل قوله تعالى ولئن سألتم عن خلقهم ليقولون الله » وقوله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولون الله » فما حكم الله عليهم بالكفر والاشراك لقولهم ليقربونا الى الله زلفى • فهؤلاء مثلهم • هكذا احتج محمد بن عبد الوهاب ومن يتبعه على المؤمنين ، وهى حجة باطلة • فان المؤمنين ما اتخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة ، جعلوهم شركاء لله بل هم يعتقدون أنهم عبيد الله مخلوقون ، له ، ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ، ولا

أنهم يخلقون شيئا ، ولا أنهم يملكون نفعا أو ضرا • وانما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين ، الذين اصطفاهم واجتباهم ، وببركتهم يرحم الله عباده • ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة سنذكر لك كثيرا منها • فاعتقاد المسلمين أن الخالق النافع الضار هو الله وحده • ولا يعتقدون استحقاق العبادة الا لله وحده ، ولا يعتقدون التأثير لا حد سواه • وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها فكانوا يتخذون الاصنام آلهة ، والآلهة منها المستحق للعبادة فهم يعتقدون استحقاق الاصنام للعبادة هو الذى أوقعهم فى

الشرك ، فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعا ولا ضرا • قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى • فكيف يجوز لمحمد بن عبد الوهاب وأتباعه أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية الاصنام •

اذا علمت هذا تعلم أن جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيا تخاص بالكفار والمشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لأنهم لا يعتقدون الوهية غير الله تعالى ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره • وقد تقدم حديث البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما فى وصف الخوارج أنهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فحملوها على المؤمنين • فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب وأتباعه فيما صنعوا ، ولو كان شيئا مما صنعه المؤمنون من التوسل اشراكا ما كان يصدر من النبى « صلعم » وأصحابه وسلف الأمة وخلفها فانهم جميعهم كانوا يتوسلون « فقد كان من دعائه « صلعم » اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك » وهذا توسل صريح لا شك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه رضى الله عنهم ، ويأمرهم بالاتيان به • فقد روى ابن ماجه باسناد صحيح عن ابن سعيد الخدرى رضى الله عنه قال « قال رسول الله « صلعم » من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تعيذنى من النار وان تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنب الا أنت ، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك • وذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير • وذكره أيضا كثير من الأئمة فى كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة بل قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله أسألك بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن • وروى الحديث المذكور أيضا ابن السنى باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله « صلعم » ورضى الله عنه

ولفظة « كان الرسول » « صلعم » اذا خرج الى الصلاة قال : بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم أنى أسألك بحق السائلين عليه وبحق مخرجى هذا فانى لم أخرج بطرا ولا شرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك أن تعيذنى من النار وان تدخلنى الجنة • ورواه الحافظ أبو نعيم فى عمل اليوم والليلة من حديث أبى سعيد بلفظ كان رسول الله « صلعم » اذا خرج الى الصلاة قال « اللهم » الى آخر ما تقدم فى رواية ابن السنى • ورواه البيهقى فى كتاب الدعوات من حديث أبى سعيد أمينا ومحل الاستدلال، قوله بحق السائلين عليك، فهذا توسل صدر منه « صلعم » وأمر أصحابه ان يقولوه ولم يزل السلف من التابعين واتباعاهم من بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد فى الدعاء به •

ومما جاء عنه « صلعم » من التوسل قول النبى « صلعم » اغفر لأمى فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حيان والحاكم • وصححه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال — لما ماتت فاطمة بنت اسد رضى الله عنها وكانت ربت النبى « صلعم » وهى أم على بن أبى طالب رضى الله عنه دخل عليها رسول الله « صلعم » فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمى بعد أمى وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببردة وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره « صلعم » بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل « صلعم » فاضجع فيه ثم قال الله تعالى هو الذى يحى ويميت وهو حى لا يموت أغفر لأمى فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحمين » • وروى ابن أبى شيبة عن جابر رضى الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضى الله عنه ، ذكر ذلك كله الحافظ السيوطى فى الجامع

الكبير • ومن الاحاديث الصحيحة التى جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمــزى ، والنســائى ، والبيهقى ، والطبرانى ، باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف ، وهو صحابى مشهور رضى الله عنه ، « ان رجلا ضريرا أتى النبى « صلعم » فقال ادع الله أن يعافينى • فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير ، قال فادعه فأمره أن يتوضأ فليحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء « اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى اللهم شفعة فى » فعاد وقد أبصر ، وفى رواية قال ابن حنيف « فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط » وأخرج هذا الحديث أيضــا البخارى فى تاريخه ، وابن ماجة والحاكم فى المستدرك باسناد صحيح ، وذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير والصغير ، ففى هذا الحديث التوسل والنداء ، وابن عبد الوهاب يمنلا كلا منهما ويحكم بكفر من فعل ذلك ، وليس لابن عبد الوهاب أن يقول أن هذا انما كان فى حياة النبى « صلعم » لأن الدعاء استعملته أيضا الصحابة والتابعون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم ، فقد روى الطبرانى والبيهقى « ان رجلا كان يختلف الى عثمان رضى الله عنه فى زمن خلافته فى حاجة ، فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر فى حاجته ، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف فقال له ائت الميضاء فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ، ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتى وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضى الله عنه ، فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معــه ، وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال لــه ما كان لك من حاجة فاذكرها ، ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف والله ما كلمته ولكنى شهدت رسول الله « صلعم » وأتاه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره » الى آخر الحديث المتقدم ، فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وروى البيهقى وابن أبى شيبة باسناد صحيح « ان الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر

رضى الله عنه ، فجـاء بلال بن الحرث رضى الله عنه الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسـول الله استسق لأمتك فانهم هلكوا ، فأتاه رسول الله « صلعم » فى المنام وأخبره أنهم يسقون وليس الاستدال بالرؤيا للنبى « صلعم » فان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائى لا لشك فى الرؤيا وانما الاستدلال بفعل بلال بن الحرث فى اليقظة فانه من أصحاب النبى « صلعم » فاتيانه لقبر النبى « صلعم » ونداؤه لـه وطلبه أن يستسقى لأمته دليل على أن ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستقاءة به « صلعم » وذلك من أعظم القربات ، وقد توسل به « صلعم » أبوه آدم قبل وجود سيدنا محمد « صلعم » حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها « قال بعض المفسرين فى قوله تعالى ـ فتلقى آدم من ربه كلمـات فتاب عليه ـ ان الكلمات هى توسله بالنبى « صلعم » وروى البيهقى باسناد صحيح فى كتابه (دلائل النبوة) الذى قال فيه الحافظ الذهبى . عليك به كلـه هدى ونور . عن عمر بن الخطاب رضى اللـه عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لى فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمد ولم أخلقه . قال يا رب انك لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك . فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخـلق الى واذا سألتنى بحقه غفرت لك ، ولـولا محمد ما خلقتك » ورواه أيضا الحاكم وصححه ، والطبرانى وزاد فيه « وهو آخر الانبياء من ذريتك والى هذا التوسل أشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثانى من بنى العباس وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين . وذلـك انه لما حج المنصور المـذكور وزار قبر النبى « صلعم » سأل الامام مالك وهو بالمسجد النبوى وقال يا عبد الله أستقبل القبلة وادعو أم أستقبل رسول الله « صلعم » ؟ فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسـيلة أبوك آدم الى الله

تعالى ، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك • قال تعالى ــ ولو أنهم اذ ظلمــوا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ــ ذكره القاضى عياض فى الشفاء وساقه باسناد صحيح وذكره الامام السبكى فى (شفاء السقام فى زيارة خير الانــام) والسيد السمهودى فى خلاصــة الوفــا ، والعلامة القسطلانى فى (المواهب اللدنية) والعلامــة ابن حجر فى (تحفة الزوار والجواهر المنظم) وذكره كثير من أرباب المناسك فى آداب زيارة النبى « صلعم » • قال العلامــة ابن حجر فى الجواهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذى لا مطعن فيه ، وقال العلامة الزرقانى فى (شرح المواهب) ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضى عياض فى الشفاء باسناد صحيح رجاله ثقات ليس فى اسنادها وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك ، ونسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهة الى الامام مردودة ، واستقى عمر رضى الله عنــه فى زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب عم النبى « صلعم » ورضى الله عنه لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا ، وذلك مــذكور فى صحيح البخارى من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه وذلك من التوسل ، بل فى المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى أن عمر رضى الله عنه لما استقى بالعباس رضى الله عنه قال يا أيها الناس ان الرســول « صلعم » كان يرى للعباس الولد للوالد فاقتدوا به فى عمه العباس واتخذوا وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل • وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان بالاحياء أو بالامــوات • وقول من منع ذلك بغير النبى « صلعم » لان فعل عمر رضى الله عنه حجه لقولــه صلى الله عليه وسلم « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقبله » رواه الامام أحمد وغيره عن ابن محمد وغيره وروى الطبرانى فى الكبير وابن عدوى فى الكامل عن الفضل بن العباس رضى الله عنهما أن رسول الله « صلعم » قال « عمر معى وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان » وهــذا مثل واضــح فى حق على رضى الله عنه حيث

قال صلى الله عليه وسلم فى حقـــه : « وأدر الحق معـــه حيث دار » حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن ، فكل من عمر وعلى رضى الله عنهما يكون الحق معه حيث كان ، وهذان الحديثان من جملة الأدلة التى استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الأربعة ، لان عليا رضى الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبلـــه لم ينازعهم فى الخلافة ، فلما جاءت الخلافة له ونازعه غيره قاتلـــه ، ومن الأدلة الدالة على أن توسل عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه حجة على جواز التوسل لقوله « صلعم » لو كان بعدى نبى لكان عمر « رواه الامام أحمد وغيره عن عقبة بن عامر وغيره ؛ وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله « صلعم » قال ـــ اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر فانهما حبل الله المدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها • وانما استسقى عمر رضى الله عنه بالعباس ولم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم ليبين للناس أن الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم جـــائز ومشروع لا حرج فيه ، لان الاستسقاء بالنبى « صلعم » كان معلوما عندهم فلربما يتوهم بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وســـلم فبين لهم عمر رضى الله عنـــه الجواز ، ولو استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم لأفهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم ؛ ولايصح أن يقال انما استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم ؛ لان العباس حى والنبى صلى الله عليه وسلم قد مـــات ، لان الاستسقاء انما يكون بالحى ، لان هذا القول باطل مردود بأدلةكثيرة ـــ منهـــا توسل الصحابة به « صلعم » بعد وفاته كما تقدم فى القصة التى رواها عثمان بن حنيف وكما فى حديث بلال بن الحرث المتقدم ، كما فى توسل آدم الذى رواه عمر رضى الله عنه كما تقدم فكيف يعتقد عدم صحته بعد وفاته ، وقد روى التوسل به قبل وجوده مع أنه « صلعم » حى فى قبره •

فتلخص من هذا أنه يصح التوسل بـــه « صلعم » قبل وجوده وفى حياته وبعد وفاته ، وانه يصح التوسل أيضا بغيره من الأخيار

كما فعله عمر رضى الله عنه حين استسقى بالعباس رضى الله عنه ، وذلك من أنواع التوسل كما تقدم ، وانما خص عمر العباس رضى الله عنهما من سائر الصحـابة لاظهار شرف أهل بيت رسول الله « صلعم » ولبيان انه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ، فان عليا رضي الله عنه كان موجودا وهو أفضل من العباس رضي الله عنـه .

وقال بعض العارفين ـ وفى توسل عمر بالعباس رضى الله عنهما دون النبى « صلعم » نكتة أخرى زيادة على ما تقدم ، وهى شفقة عمر رضى الله عنه على ضعفاء المؤمنين وعوامهم ، فانه لو استسقى بالنبى « صلعم » لربما تتأخر الاجابـة لانها معلقـة بارادة الله ومشيئته ، فاذا تأخرت الاجابة ربما يقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخير الاجابة ، بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبى « صلعم » فانـه اذا تأخرت الاجابـة لا تحصل تلـك الوسوسة والاضطراب .

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبى « صلعم » فى حياته وبعد وفاته ، وكـذا بغيره من الانبياء والمرسلين والأولياء والصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لأنا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا خلقـا ولا ايجـادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الا لله وحده لا شريك له فلانعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبى « صلعم » باعتبار الخلق والايجـاد والتأثير ولا لغيره من الاحياء أو الاموات فلا فرق فى التوسل بالنبى « صلعم » وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكذا بالاولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياء أو أموات لانهم لا يخلقون شيئا وليس لهم تأثير فى شىء وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى ، والخلق والايجـاد والتأثير لله وحده لا شريك له .

وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات فانهم يعتقدون التأثير للاحياء دون الامـوات ونحن نقول ـ الله خالق كل شىء والله خلقكم وما تعلمون فهؤلاء المجوزون التوسل بالاحياء دون الامـوات ، هم

الذين دخل الشرك فى توحيدهم ، لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات ، فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعـالى فكيف يدعون المحافظة على التوحيد ، وينسبون غيرهم الى الاشراك (سبحانك هذا بهتان عظيم) ، فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد ، وليس لها فى قلوب المؤمنين الا التبرك بذكر أحباء الله لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أموات ، المؤثر والموجود حقيقة هو الله تعالى • وهؤلاء سبب عادى فى ذلـك لا تأثير لهم ، وذلك مثل السبب العادى فانه لا تأثير له وحياة الانبياء فى قبورهم ثابتة بأدلة كثيرة استدل بها أهل السنة وكذا حياة الشهداء والأولياء وليس هذا محل بسط الكـلام عليها •

وشبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يتوسعون فى الكلام ويأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى ويقولون للولى افعل لى كذا وكذا وربما يعتقدون الولاية فى أشخاص لم يتصفوا بهـا ، بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة ، وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوال ومقامات ليسوا بأهل لها ، ولم يوجد فيهم شىء منها ، فانما أراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسـعات دفعـا للايهام وسدا للذريعة وان كانوا يعلمون أن العامة لا تعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ، ولا تقتدى بالتوسل الا التبرك ولو أسندوا للاولياء شيئا لا يعتقدون فيهم تأثيرا • فنقول لهم ـــ اذا كان الامر كذلك وقصـدتم سد الذريعة ، فما الحـامل لكم على تكفير الأمـة ، عالمهم وجاهلهم ، خاصهم وعامهم ، وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا ، بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الألفـاظ الموهمة وتأمروهم اسلوب الأدب فى التوسل مع أن تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على الاسناد المجازى مجازا عقليا كما يحمل على ذلك قول القائل ـــ هذا الطعام أشبعنى وهذا المـاء أروانى ، وهذا الدواء أو الطبيب نفعنى ، فان ذلك كله عند أهل السنة محمول على المجاز العقلى فان الطعام لا

يشبع ، والمشبع هو الله تعالى والطعام سبب عادى لا تأثير له وكذا ما بعده ، فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد الشىء لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلى ، واسلامه وتوحيده قرينة على ذلك كما نص على ذلك علماء المعانى فى كتبهم وأجمعوا عليه •

وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته فى الاحاديث الصحيحة وصدوره من النبى (ص) وأصحابه وسلف الامة وخلفها ؛ فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه — منهم من يجعله حراما ، ومنهم من يجعله كفرا واشراكا ، وكل ذلك باطل لانه يؤدى الى اجتماع معظم الامة على الحرام والاشراك لان من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسل صدر منهم بل ومن كل مؤمن فى أوقات كثيرة واجتماع أكثرهم على الحرام أو الاشراك لا يجوز لقوله (ص) فى الحديث الصحيح — لا تجتمع أمتى على ضلالة • بل قال بعضهم انه حديث متواتر ، وقال تعالى — كنتم خير أمة أخرجت للناس • فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة ؛ وهى خير أمة أخرجت للناس فاللائق بهؤلاء المنكرين اذا أرادوا سد الذريعة ومنع الألفاظ الموهمة كما زعموا أن يقولوا — ينبغى أن يكون التوسل بالأدب وبالالفاظ التى ليس فيها ايهام ، كأن يقول المتوسل — اللهم انى أسألك وأتوسل اليك بنبيك (ص) وبالانبياء قبله وبعبادك الصالحين أن تفعل بى كذا وكذا ، لا انهم يمنعون التوسل مطلقا ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير الا لله وحده لا شريك له •

ومما تمسك به هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى — لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا • فان الله نهى المؤمنين فى هذه الآية أن يخاطبوا النبى (ص) بمثل ما يخاطب بعضهم بعضا — كأن ينادوه باسمه ، وقياسا على ذلك لا ينبغى أن يطلب من غير الله تعالى ، كالانبياء والصالحين الاشياء التى جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وان كان الطلب من الله تعالى على سبيل التأثير والايجاد من

غيره على سبيل التسبب والكسب ولكنه ربما يوهم تأثير غير الله تعالى فمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام • والجواب ان هذا لا يقتضى المنع من التوسل مطلقا ولا يقتضى منع الطلب اذا صدر من موحد فانه يحمل على المجاز العقلى بقرينة صدوره من موحد فانه يحمل على المجاز فما وجه كونه حراما أو اشراكا ؟ فلو قالوا انه خلاف الادب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه يكون بالادب والاحتراز عن الالفاظ الموهمة لكان له وجه • فالمنع مطلقا لا وجه له •

ومن الأدلة الدالة على صحة التوسل به (ص) بعد وفاته ما ذكره العلامة السيد السمهورى فى خلاصة الوفا حيث قال — روى الدارمى فى صحيحه عن أبى الجرزاء قال — قحط أهل المدينة قحطا شديدا ؛ فشكوا الى عائشة رضى الله عنها ، فقالت انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم ، فسمى عام الفتق • قال العلامة المراغى — وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة يفتحون كوة فى أسفل الحجرة وان كان السقف حائلا بين القبر الشريف والماء قال السيد السمهورى وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف والاجتماع هناك ، وليس القصد الا التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم والاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله تعالى • وقال أيضا العلامة السيد / السمهورى فى خلاصة الوفا — ان التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وببركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين ، وذكر كثير من علماء المذاهب الاربعة فى كتب المناسك عند ذكرهم زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم انه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى فى غفران ربه وقضاء حاجته ويستشفع به صلى الله عليه وسلم • قالوا — ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبى ؛ وهو مروى أيضا عن أبى سفيان بن عيينه وكان منهما من مشائخ الشافعى رضى الله عنه ثم بعد أن ذكر قصة العتبى المشهورة قال — وليس محل

الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبت بها أحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائى ؛ وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا للزائر الاتيان بما قاله الاعرابى • قال العلامة بن حجر فى الجواهر المنظم ، روى بعض الحفاظ عن أبى سعيد السمعانى انه روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم اعرابى فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وحثى من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزله عليك قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى الى ربى ، فنودى من القبر الشريف أن قد غفر لك ، وجاء ذلك عن على أيضا من طريق آخر ويؤيد ذلك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله (حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم •) ومما ذكره العلماء فى آداب الزيارة انه يستحب أن يجدد الزائر التوبة فى ذلك الموقف الشريف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة نصوحة ويستشفع به صلى الله عليه وسلم الى ربه عز وجل فى قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) ويقولون نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نأمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا فى زمرة عباده الصالحين والعلماء والعاملين [1] •

---

(١) من كتاب خلاصة الكلام فى بيان امداد البيت الحرام للعلامة ناصر السنة سيدى أحمد دحلان مفتى الشافعية فى مكة المشرفة .

التوســل والوســيلة

معنى التوسل والوسيلة :

شرع الله عز وجـل الوسيلة وجعلها أصـلا يرتكز عليها ولا يقبل العمل الا بها وجعلها ضرورية من ضروريات الحيـاة البشرية ولفت عباده النظر اليها بعد أن خلقهم بالفطرة والطبيعـة فيها واليها • فقال عز وجل من قائل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) قال صاحب الكشـاف فى تفسيره : الوسيلة كل مـا يتوسل به — أى يتقرب به — من قرابة أو صنعة أو غير ذلك • فاستعير كما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المنهيات وأنشد :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم　　الا كل ذى لب الى الله واصـل

فاعلم يا أخى أن الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا عكس الآخرة من جميـع الوجود وان هذه الدنيـا هى دار العمـل بالتكاليف الشرعية والتوجيهات الالهية • والتعاليم الربانية فلم يوجد الحق عز وجل فيها شيئا الا بالعمل ولذا قال عز وجل من قائل : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) وناهيك بالآية الجامعة فى قوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) بل جميـع أوامر الحق عز وجل ونواهيه فى كتـابه العزيز وسنة نبيه الكـريم ترشد عباده الى العمل فى هذه الحياة •

وان من تأمل بعين الفكر ونظـر بمنظـار الايمان وعلم من كثرة الاطلاع وجد أن جميع ما سبق من الأدلة بحث على الأخذ فى الاسباب وهى الوسيلة الموصلة الى الغاية المرجوة دنيا وأخرى لما تبين واتضح ان كل موجود للحق عز وجل لم يوجده الا بالوسيلة •

والوسيلة فى جميع ما بينا تنقسـم الى قسمين مادية « حسية » ومعنوية « روحية » فالمادية الحسية ، هى ما يشاهد ويلمس بحاسة اللمس ولو للأعمى فى جميع المكونات ، ولا نذهب بك بعيدا ، بل نلفت

نظرك الى قول الحق عز وجل (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) فمن أى شيء وُجدت أيها القارىء الكريم ؟ وبأى شيء تعيش ؟ وفى أى شيء تعمل ؟ وما هو الناشيء منك وعنك ؟ أفلا ترى الا أنها كلها وسائل وقس على ذلك كل حالة مادية حسية •

والمعنوية الروحية ما لفت الله سبحانه وتعالى عباده النظر اليه من حكمة ارسال الرسل وتوجيههم العباد الى الله عز شأنه بالايمان الذى هو معنى من المعانى ، والذى لا يعرف الا بالصورة التى جعلها الله تبارك وتعالى مقابلة لهذا المعنى الروحى ، اذ لا يعرف الا بها ، وهى قيامك بالمأمورات ظاهرا حتى يبرهن به عنك بالمعنى الباطنى الروحى الذى لا يعرف الا بهذا الظاهر وفى دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الى الله أكبر دلالة على الوسيلة المعنوية والروحية • قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) • وقال : (يا أيها الناس أعبدوا ربكم) وقال تعالى : (واتقون يا أولى الألباب) وليس فى كل معنى ما تقدم الا بعد نفى جميع ما عدا أوامره باطل واثبات ما هو جدير به وأحق بكل تلك الأوامر وهو الله تعالى •

لعل قد استبان لك مما قدمنا أن الوسيلة على قسمين : مادية وروحية • فالمادية عليها جميع التكاليف الشرعية من امتثال الأوامر واجتناب النواهى • ومِنْ أهمها معاملة الخالق جل وعلا ومعاملة المخلوقين كما أمر سبحانه وتعالى اذ يفتح من هذه المعاملات التى هى وسائل بنص الشرع عملا يستحق عليه الجزاء دنيا وأخرى فالعمل الباطنى الروحى ينشأ عنه العمل الجزائى وهذا الجزاء لا يتوصل اليه الا بالوسائل التى شرعها الله عز وجل لعباده ، وجعل تبارك وتعالى نسبة العمل اليها نسبة حقيقية ، وتضاف اليها الأعمال ، وتنسب اليها ، اذ لا يترتب الثواب والعقاب عليها الا بهذه النسبة والاضافة الحقيقية هذا هو أصل التوسل والوسيلة • وحقيقة مشروعيتهم وتوجيه الله سبحانه وتعالى عباده اليها • ومن جهل ذلك فقد جهل سنن التكوين الالهى وجهل سنن التشريع الربانى لعباده ولا ينكره الا كل مخالف لاجماع المسلمين •

ولما كانت حكمة العليم الحكيم وجود المخـــالفين فى الدنيا من لون آدم الى أن تقوم الســـاعة ضد الحق وأهله (ليميز اللـــه الخبيث من الطيب) وجود المخالفين الذين لا يفرقون بين الحق والباطل بانكارهم جميع أنواع الوسيلة حسدا منهم وحقـــدا وتوهينا وتضعيفا فى قدر سيد العالمين صلى الله تعـــالى عليه وسلم ومن بعده من الصـــالحين الطيبين الطاهرين جهلا منهم وضلالة عن الحق الواضح وعدم نظرهم الى الصراط السوى الذى شرعه الله عز وجل لعبـــاده وجموحهم الى الضلال بتمسكهم ببعض آيات فى القرآن العزيز وبعض الأحاديث فى السنة المطهـــرة التى لا يعقلون لها معنى كقـــوله تعـــالى : (ادعونى أستجب لكم) يظن القمران هذه وأشباهها تنفى التوسل والوســـيلة أليست هـــذه وأشباهها ترشد الى التوســـل والوسيلة • لأن الذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ويعلم خـــائنة الأعين وما تخفى الصدور لا يحتاج الى دعاء ولا طلب (اذ هو قائم على كل نفس بما كسبت)وانما شرع لهم الدعاء ليلتفت لهم النظر ان لهم إلها قادرا ينفع ويضر ويجيب دعوة المضطر لا كالأصنام التى يعبدونها من دون الله •
ويقول أيضا جاهلهم فى استدلاله على عدم الوسيلة • قال الله تعالى : (واسألوا الله من فضله) فقل لهذا الأخرق أليست هـــذه الآية الكريمة هى دعوة من الله عز وجل لعباده التمسك بالوســـيلة اذ فضـــله الذى وجهنا اليه تعالى هو مما قربه الينـــا وجعله بين أيدينا كمـــا عليه أهل التحقيق من المفسرين فهى عين الارشاد لعباد الله تعالى الى التوسل والوسيلة والأخذ فى الأسباب ظاهرا وباطنـــا هو سنة الله تعالى فى مكوناته وهو عين التوسل •

ويقول أيضا هـــذا الغبى فى استدلاله وانكاره على عدم التوســـل بالحـــديث المشهور المروى عن أصحاب الصـــحاح من قوله صلى الله تعالى عليه وســـلم : « اذا سألت فاســـأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » الحـــديث فبالله أليس هـــذا هو عين الارشاد الى التوســـل والوسيلة لأن السائل للمخلوق انمـــا هو فى الحقيقة سائل لله تعالى

ظاهرا وباطنا أما الظـاهر فبلسان المقال والبـاطن بلسان الحال لأنك تعرف أن الوجود كله على زوجين منه الظاهر والباطن ومنه قولنا على المقابلة والمماثلة وهذا هو الحق والتحقيق • ونضرب لك مثلا ليستنير لك الحال ويتضح لك المقال • وذلك كحال من به علة مرض ، فلا يسعه الا أن يذهب الى الطبيب ليسأله عن العلة ؛ فلسان الحال الذهاب اليه ، ولسان المقال الشكاية وبيان العلة له ؛ وهذا ليس بحرام ولا منتقد ولا عيب فيه ، بل هو واجب بالفطرة التى فطر الله الناس عليها • بل يقول المريض ومن معه مبتهلا اللهم اجعـل فى يده الشفاء وألهمه الصواب ووفقه لمعرفة الداء • وان الحديث كان فى صدر الاسلام وانهم كانوا قريبى عهد بكفر ؛ فهم فى أشد الحاجة الى توجيههم الى فاعل الكائنات والمكونات ظاهرا وباطنا سبحانه وتعالى • وكانت مخالطتهم للأعمال الدنيوية أشد لما فيها من المنافع العائدة على حياتهم وذويهم وما يترتب عليه ؛ حسن المثوبة الأخـروية • فكان المراد والغـرض من ارشاده التشريف صلى الله تعالى عليه وسلم للعباد ، ليعرفوا أن جميع الأقوال والأفعال والحـركة والسكون منه سبحانه وتعـالى • ولا ننسى أن مستعمل الدواء عند تعاطيه يقول اللهم اشفنى أو بسم الله الشافى ، فالغرض المداومة على تعليق قلبه بمن هو شأنه كذلك سبحانه وتعالى ، المداومة للتوفيق والهداية لمرضـاته • وأما ما فهمه أجهل الجهلاء فى الحديث بأن الغرض منه صرف العبد عن مكونات الحق عز وجل ، فهو من الخـرافة بمكان ، لما يترتب على ذلـك من تعارض الآيات بعضها بعضا • وكذلك السنة على مقتضى افهامهم الفاسدة وأباطيلهم الكاسدة واليك شيئا من الآيات الكريمة التى قص علينا سبحانه وتعالى ليعلمنا أسراره فى مكوناته بقوله تعـالى : (والله خلقكم وما تعملون) (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) • (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) هذه تدل على أنه هو الفعال وهو الحق • فكيف بهذا مع قوله تعالى : (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) • فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء) وهكذا من جميـع الآيات التى ذكر الحق عز وجـل وجعل

بنسبة الأعمال للعباد وها هى الآية الجامعة وهى قوله تعالى : (فمن يعمل مثقـــال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقـــال ذرة شرا يره) • (وهو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا) وكيف بذلك لما يريد) • (هو الذى خلق لكم مافي الأرض جميعا) وكيف بذلك كله مع توجيه الله عز وجل عباده ولفت النظر الى مكوناته من أخذ الأمور من أسبابها كقوله تعالى (واسألوا الله من فضله) • قال العلامة البيضاوى وعليه جميع عقلاء الأمة والمفسرين للقرآن المجيد أى مما قربه اليكم وجعله بين أيديكم • وعليه فالأخذ بالأسباب حق لازم من هذه الموجودات • وهى الوسائل للحق عز وجل خصوصا وقد وضـــع الله سبحانه الأســـباب وسماها أبوابا • وقال تعالى : (وأتوا البيوت من أبوابها) وقال : (وأن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هـــو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) وقال تعـــالى : (حرض المؤمنين على القتـــال) • وقال تعالى : (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) • وقال تعالى : (ويذيق بعضكم بأس بعض) • على أن الحـــديث الذى لم يفهموا له معنى آخـــر يغطى نفع العبـــاد وضرهم ببعض فالحديث يحث على الأخذ بالأسباب •

ومعناه اذا سألت مخلوقا فلا تنسى الخالق • لأنه هو الذى بيده ملكوت كل شيء • وهو الخالق لك ولمن تستعين به والآيات والأحاديث لا تـُعطى الا ذلك المعنى لأنه لا يعقل التوجـــه الى الله الا بالأخذ فى الأسباب • وجميـــع بيانات السنة لا تعقـــل الا كذلك فكيف يفهمها قاصروا الذهن بهذا المعنى مع قوله صلوات الله وسلامه عليه : « دع الناس فى غفلاتهم يرزق بعضـــهم من بعض » وهكذا جميـــع بيانات السنة وما ورد فيها من أنواع التوسل والوسيلة التى لا تكاد تقف عند حد من توسلاته الشريفة صلى الله تعـــالى عليه وسلم بأنواع نـِعَمِ الله عز وجل ومن النعمة الزمان والمكان من الموجودات كما سيأتى من بعض ما ورد عنه فى صحيح السنة صلوات الله تعالى وسلامه عليه •

---

(١) من كتاب فيض الوهاب الجزء الرابع ــ للشيخ عبد ربه ابن سلمان بن محمد ابن سليمان ــ صفحة : ١٢٨ •

فانظر يا أخى : فلست أدرى من أن لهم قصرهم الوسيلة على العبادة فحسب بعد اطلاق الحق عز وجل فى قوله تعالى بعد أمره لعباده بالتقوى وملازمتهم لها لا ينسوا الوسيلة (وابتغوا اليه الوسيلة) وقد عرفهم بأنهم فى الدنيا الأسباب التى لا يتأتى فيها حصول شيء الا بالأسباب • وكل الأسباب والمسببات من نعمه تعالى وعظيم قدرته وبديع صنعته • وأمرهم بأن يأخذوا بها ويعملوا ببيانه الحكيم وارشاد رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام • فلست أدرى ما حقيقة عقول هؤلاء الذين لا يفقهون ولا يتفقهون ويقولون • قال الله تعالى : (ادعونى أستجب لكم) أليس قول عز من قائل ادعونى هو عين الوسيلة اليه عز وعلا (واذا سألت فاسأل الله) الحديث هو عين الوسيلة ، لأن الدعاء والسؤال هو عين الوسيلة لمن ترجو منه حاجتك وهو الدين • وقدقدمنا من تفسير الكشاف وقال العلامة أبو حيان فى تفسيره البحر وكذا تفسير النهر : الوسيلة القربة التى ينبغى أن يطلب بها أو الحاجة أو الطاعة أو الجنة أو أفضل درجاتها • فكيف يقصرها على العبادة فكان الرغيف من الخبز الذى يعيش به ، والماء أليس بوسيلة • وقد قال الامام الفخر : اعلم أن مجامع التكليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما أحدهما : ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله تعالى : (اتقوا الله) • وثانيهما : فعل المأمورات واليه الاشارة بقوله تعالى : (ابتغوه اليه الوسيلة) ولما كان ترك المنهيات مقدما على فعل المأمورات بالذات لا جرم قدمه تعالى عليه فى الذكر ، وانما قلنا أن الترك مقدم على الفعل لأن الترك عبادة عن بقاء الشيء على عدمه الأصلى والفعل هو الايقاع والتحصيل • ولا شك أن عدم جميع المحدثات سابق على وجودها • فكانت ترك قبل الفعل لا محالة • فان قيل ولم جعلت الوسيلة مخصوصة بالفعل مع انا نعلم أن ترك المعاصي قد يتوسل به الى الله تعالى • قلنا الترك ابقاء الشيء على عدمه الأصلى وذلك المقدم

المستمر لا يمكن التوسل به الى الشيء البتة فثبت أن الترك لا يمكن أن يكون وسيلة بل من دعاة داعى الشهوة الى فعــل قبيح ثم تركه لمطلب مرضاة الله تعالى فها هنا يحصل التوصل بذلك الامتناع الى الله تعالى الا أن ذلك الامتناع من باب الأفعال ولهذا قال المحققــون ترك الشيء عبادة عن فعل ضده كما وقع فى حديث الثلاثة الذين آووا غارا : يرويه أصحاب السنن والمسانيد •

اذا عرفت هذا فنقول : ان الترك والفعــل أمران معتبران فى ظاهر الأفعـــال ، فالذى يجب تركه هو المحـــرمات ، والذى يجب فعـــله هو الواجبات • ومعتبران أيضـــا فى الأخـــلاق فالذى يجب حصوله هو الأخلاق الفاضلة ، والذى يجب تركه هو الأخلاق الذميمة • ومعتبران أيضا فى الأفكار ، فالذى يجب فعله هو التفكر فى الدلائل الدالة على التوحيد والنبوة والمعادة والذى يجب تركه هو الالتفات الى الشبهات• ومعتبران أيضا فى مقام التخلى فالفعل هو الاستغراق فى الله تعالى وأهل الرياضـــة يسمون الفعـــل والترك بالتحـــلية والتخلية وبالمحو والصحو وبالنفى والاثبات وبالفناء والبقاء ، وفى جميع المقامات النفى مقدم على الاثبات ، ولذلك كان قولنا لا إله الا الله النفى مقدم فيه على الاثبات والوسيلة فعليه ، من وصل اليـــه اذا تقرب اليه • قـــال لبيد الشـــاعر :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمورهم   الا كل ذى لب الى الله واصل

أى متوسل • فالوسيلة هى التى يتوسل بها الى المقصود أ هـ منه • وقال العـــلامة الألوسي فى تفسيره : الوسيلة ملاك الأمر كـــله ، فهى الذريعة لكل خير والمنجاة من كل ضير • وأخرج ابن الانبـــارى وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الوسيلة الحـــاجة وأنشد له قول عنترة :

ان الرجال لهم اليك وسيلة   أن يأخذوك تكحلى وتخضبى

فكيف بعد هذا الذى ظهر من بيان عقلاء المسلمين فى معنى تعميم

الحق عز وجل لأنواع الوســيلة يقصرونها هم على أنها بمعنى العبادة فقط • ما هو الا تعصب وجهالة ، خصوصا قولهم لا تعصب ، وان الله ليس فى احتياج الى الوسيلة وغاية أمرهم انكارهم على المتوســلين بعباد الله الصالحين ولم يفطنوا لقول رب العــالمين (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) فلم يعب الحق عز وجل عليهم الوسيلة بالغائب المنتظر بل عاب عليهم فى انكارهم عليه وعدم الايمان به صلى الله تعالى وسلم أو لم يقرأوا قوله تعالى (ألم ترى الى الملأ من بنى اسرائيل من بعــد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا) الآيات ، اذا الجماعات من بنى اسرائيل لما سألوا نبيهم هل كفروا على زعمهم الباطل : سنوضح ذلك ونبين لهم ما يخزيهم •

(من كتاب فيض الوهاب ــ الجزء الرابع ــ صفحة : ١٣٢)

في انكارهم التوسل وان عمل الغير لا ينفع الغير

فمن أعجب أحوالهم وأغرب أقوالهم انهم ينكرون التوسل وقد شرعه الله تعالى بالبهائم وانه موجود فى جميع كتب الفقه فى المذاهب الأربعة وهو باب الاستسقاء بالمطر ومنه أن المصلين يخرجون الى الخلاء ويخرجون ماشيتهم معهم فما السر فى اخراج الماشية أليس فيه الاشارة بالتوسل بها الى الله تعالى أن يسقيهم لأجلها ولا يردهم خائبين وخاصة أن المشرع الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول فى دعائه : « اللهم اسق بلدك وبهيمتك » فاذا كان التوسل بالبهائم نافعا أفلا يكون بالصالحين أنفع • نعم فيهم فرقة من أسلافهم يقولون التوسل بالصالحين الأحياء جائز وسيأتى بياننا لهم • ان الميت فى قبره أحيا من حى الدنيا من القرآن والسنة • وعليه يكون التوسل به أنفع من حى الدنيا وان الله تعالى لم يسلبه نعمة الكرامة التى كان بها مميزا عن غيره وهى من كمالات الله تعالى التى لا تتناهى فكيف بموته لا تنقطع الكرامة لأنه فى نظرهم متى مات ابن آدم انتهى مستدلين بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية » وهم لا يفهمون له معنى هل قال صلى الله تعالى عليه وسلم انقطعت حياته أو قال انقطع عمله لو قال انقطعت حياته فان لهم العذر في فهمهم الخاطىء لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : انقطع عمله الذى يضاف الى ما يكون له به الميراث فى الجنة ونحن لم نقل أنه يصبح يأخذ المفاتيح ويفتح الدكان أو يتسلم عمله في وظيفته انما نقول أنه أصبح فى حياته الأخرى أوسع من هذه الحياة الدنيا والحياة الأخرى انما هى أكبر وأوسع من الحياة الدنيا على ما بيناه وسيأتى (عمل الغير لا ينفع الغير) قولهم هذا غريب وليس له أصل فى الدين يستدلون بقوله تعالى : (وان ليس للانسان الا ما سعى) وهم مع جهلهم لا يفهمون لها معنى لأنه لو كان على جهلهم لاستضمت مع التشريع الكريم كيف ذلك والقرآن الكريم بخلاف ما فهموا ؟ ومدة

سمعت شيخا من أشياخهم يذيع فى الاذاعة بهذه الألفاظ التى لا يقول بها الا كل مجنون فى عقله فقابلته وقلت له : كيف تذيع هذه الألفاظ الخارجة عن الدين • فقال : أنا عالم ولى أن أقول ما أشاء وأنت عالم لك أن تقول ما تشاء • فقلت له : يظهر أنك لم تصل على أحد من أموات المسلمين فى حياته ولم يرتدع عن غيه وطبعها فى كتابه المليىء بالكلام الفارغ كلام من سبقه فى الضلال • والحمد لله قد رددنا عليه وعلى غيره فى طرقاتهم الكاذبة فلست أدرى أهؤلاء أنفسهم من المسلمين وهم يهدمون فى عقائدهم ويطعنون فيما يتقولون على الله •

وأيضا ابان لنا سبحانه وتعالى أن غير الآدمى وهو جنس الملائكة يدعون للمؤمنين فى قوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) الآيات ولا يخفى أن دعاء الملائكة مستجاب وكان من حسن الرد عليه أمام جمع كبير من العلماء وكثير من طلبة الأزهر صدمته سيارة أمام بيته بالزيتون فجاؤا به ليصلوا عليه بالأزهر ودخلوا به قبل الميعاد المحدد • فوضعوه أمام القبلة القديمة ، في الأزهر على غير القبلة ، يعنى على عكس القبلة ودخلت لأصلى عليه مع المصلين فوجدت الحال مخالفا ، فقلت يا سبحان الله فى الأزهر ، وأمام علماء الأزهر الرجل يوجه على غير القبلة • فحالا تنبهوا وعدلوه الى القبلة ، ثم وجدت له أهلا يبكون عليه ، فقلت لجميع الحاضرين لا تبكوا عليه • فالأفضل اقرؤا قرآنا لأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ القرآن على الميت • ثم قال : « يا معشر الناس من لم يكن متوضئا منكم فليتوضأ ليكثر الشفعاء للميت » لأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « من صلى عليه أربعون قبلت شفاعتهم » وأشرت الى من قال : (عمل الغير لا ينفع الغير) وهو جالس مع وزير الأوقاف وقلت لأجل أن تردوا على من قال فى الاذاعة عمل الغير لا ينفع الغير ، مستدلا بقوله تعالى : (وأن ليس للانسان الا ما سعى)وهو لا يفهم للآية معنى •

فكان هذا أحسن من الرد فى الكتاب وان كنت لم أدع لهم مخالفا الا قطعت عليه ألسنتهم •

اذ لا يخفى على ذوى العقول الراجحة أن الفـرق الضـــالة الذين ينكرون التوسل والوسيلة خصوصا لعباد الله الصالحين يستهجنون قول القائل لله عز وجل وكذا المتوســـل به قائلين انه لا يجب على الله حق لعباده أو لخلقه انكارا فاحشا .

وحكمهم على القـــائل بذلك انه مشرك كافر وهم يضـــللون بيـــان القرآن الكـــريم وصريح السنة المطهرة اذ يقول الحـــق تبارك وتعالى لعباده تفضـــلا منه لا وجوبا عليه (وكان حقا علينـــا نصر المؤمنين) والحق بمعنى الوعد الثابت المتحقق الوقوع وفى الآية الأخرى (وعدا عليه حقا) وفى الأخرى (وعدا علينا انا كنا فاعلين) وفى الصحيح من حديث معاذ بن جبل (هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله ؟) قلت : الله ورسوله أعلم . قـــال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحقهم عليه ان فعلوا ذلك ان لا يعذبهم). ومنه ما رواه ابن ماجـــه عن أبى سعيد الخـــدرى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعاء الخارج الى الصلاة « اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم أخـــرج أشرا ولا بطرا ولا رياءا ولا سمعة ولكنى خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضـــاتك فأسألك أن تنقذنى من النار وان تدخلنى الجنة » ومنه حـــديث السيدة فاطمة بنت أسد والـــدة سيدنا على بن أبى طـــالب الذى يرويه الطبرانى فى معجمه الكبير والاوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه الذى قال فيه : « بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى أن ترحم أمى فاطمـــة بنت أسد اللهم أكرم نزلها ووسع قبرها » الحديث .

فانظر يا أخى هؤلاء الذين يجهلون كتاب الله تعـــالى وسنة نبيه صلى الله تعـــالى عليه وسلم والى مـــا يضللون به عباد الله تعـــالى وتحريفهم كلام الله تعالى عن مواضعه وتعميتهم فى كل ما يدعون اليه ويجعلونه مذهبا لهم خارجا عن اجماع المسلمين وما عليه أهل التحقيق

ومن العجيب أنهم يسمون أسلافهم الضالين والمضللين الذين هم على قدمهم أهل الاجماع • وان الاجماع مصــدره من الصحابة والتابعين وهم أهل السواد الأعظم من المسلمين على ما قدمنا وهم المعنيون فى الكتــاب العزيز والسنة المطهــرة بالأمة التى يستحيل تواطئهــا على الكذب • ثم أنهم قد يجيزون التوسل بالصالحين الأحياء منهم فى هذه الحياة الدنيا كما قــال ابن تيمية فى رسائله أن الأنبيــاء والمرسلين وسيلتنا الى الله فى دعوتهــم وارشــادهم الخلق الى الله تعــالى ثم استمر الى أن نفاها عنهم أمواتا : نتشأ من على قدمهم الآن ينكرون التوسل بالأموات اعتقادا منهم بأنهم ماتوا وانتهوا على عقيدة اليهود والنصارى بل يعتقدون أن المســاجد التى فيها الموتى لا يصلى فيها ، والصــلاة فيها باطلة • كما كان المشركون يصلون للأصــنام • هذا ، والله تعالى ابان فى كتابه العزيز ان ميت الآدمى ولو كان كافرا أحيا من حياة الدنيــا على ما بينا وسيأتى قريبا البيــان الذى يجعل أدلتهم واهية بل وعاطلة لا يقبلها ذو عقــل سليم وسيتضح لك ذلك أن شاء الله تعالى •

وقد أفردنا للميت الآدمى بابا خاصا أوضحنا فيه أنه أحيا من حياة الدنيا من الكتاب العزيز والسنة المطهرة واجماع عقلاء الأمة على ذلك بما لا يستطيع أحد أن يرده ولم ندع فيه قولة لقــائل واذا كان هــذا الميت حيــا أحيا من حياة الدنيــا أفلا يجــوز التوسل به • ومن أول الدلائل على حياة الآدمى الميت قول الله تعــالى : (وسل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنــا من دون الرحمن آلهــة يعبــدون) وهل الله سبحانه وتعالى يرشد رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أموات بادوا وانتهوا وما قال الله تعــالى ذلك الا أنهم كانوا قــالوا لرسوله ــ والله أمرنا بها ــ والله تعــالى عالم بأن ميت الآدمى حى أحيا من حياة الدنيا ولو كافرا وكذا رسوله صلى الله تعــالى عليه وسلم كذلك انما رد عليهم بذلك تعزيرا لهم وخزيا وكل المؤمنين يعلمون كذلك بمــا

ـ كيف لا وقد توسل صلى الله تعالى عليه وسلم بالآدميين الأموات ـ فى حديث السيدة فاطمة بنت أسد الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم : (اللهم بحقى وحق النبيين من قبلى أغفر لأمى فاطمة بنت أسد) الحديث تتقدم قريبا • وقد توسل صلى الله تعالى عليه وسلم بنعم الله تعالى على عباده • ببسم الله والماء وبالتراب فى الحديث المروى عن البخارى حيث قال : « بسم ربنا وبريقة بعضنا وتربة أرضنا يشفى ربنا » قال شارحه توسل صلى الله تعالى عليه وسلم بسم مبدع الكائنات وأشار الى الأصليين الذين خلق منهما ابن آدم ـ الماء والتراب ـ فماذا تقول بعد ذلك ياذا العقل السليم لهؤلاء المنحرفين المارقين فى عقائدهم الزائفة ودعواهم الباطلة انهم على الحق ويناصرون السنة ويكتبون كتبا ويطبعون منشورات ويقولون في المحاضرات والخطب فى الجمعيات التى لا يسمعها الا من أنشأه الله تعالى على تلك الضلالات فى قولهم ان المتوجه الى شيء من خلق الله فهو متوجه الى غير الله فهو مشرك ويسردون الآيات التى لا يعقلون لها معنى الا المخالفة ومتابعة أنفسهم وهواها • فانظر واعتبر وميز في الفرق بين قولهم لا إله الا الله فقط وان غيره من المخلوقات له أعمال تغاير أعمال الله تعالى ولا يخفى أن هذا هو عين الضلال المعارض لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم • وهل يوجد الله تعالى شيئا فى الوجود خال من نعمه تعالى ورحمته التى وسعت كل شيء • وهل يجردها منه بعد أن يموت وكيف يقول فى توجيه الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام الى الخضر ـ أهل كان موسى عليه السلام مشركا بالله وهو ذاهب الى مخلوق مثله ؟ أم هل حين استشار سليمان عليه السلام أهل مجلسه والتجأ الى المخلوقين بقوله « أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين • أكان مشركا ؟ » ولما سأل بنو اسرائيل موسى عليه السلام عن من قتل هذا المقتول وقال لهم : « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وأخذوا يتعرفون عنها حتى اهتدوا اليها أكان ذلك انصرافا عن الله تعالى أم هو عين التشريع

السماوى (الالهى) لعباده ليعرفوا ان له فى كل شيء آية تدل على أنه الواحــد •

فانصراف الخلق الى الخالق ليعرفوا منها أنه سبحانه وتعالى له في أفراد موجوداته مميزات يغاير بعضها بعضا • وأمر عباده أن يأتوا من فيه أو من عنده حاجته ويطلبها منه • وهو فى هذه الحال متوجه الى الله تعالى ، وهو الموجد لها والموجد لمن عنده هذه الحاجة ، هذا والله تعالى أمر عباده أن يحبوا ويخلصوا ويطيعوا وينقادوا الى المرسلين صلوات الله تعالى عليهم وسلامه عليهم أجمعين • فقال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطــاع الله) فقدم الله تعــالى طاعة الرسول على طاعته جل وعلا • ومن المعلوم أن الرسول غير اللــه هو مخلوق له ــ فقل له هل الله أمر عباده أن يشركوا به غيره أم ماذا قال ؟ تقول يا أيها المفرق بين الله ونعمه فى مصادرها وهم خلقه • ثم قال تعالى أيضا : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وهكذا الكتاب العزيز والسنة المطهرة يدعون الى توحيد الحق عز وجــل فى كل شيء وبكل شيء حتى يصبح معنى وحده لا شريك له متحققا فى كل شيء • أو لم ينظر هؤلاء الى قوله تعالى : (ولا على الذين لا يجــدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله) وقوله تعــالى : (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال) أليس هذا توجيها للقتال وقدمنا فيه الكلام طويلا واليك البيان الشريف من حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال فى الحديث الشريف المروى عن البخارى وغيره عن الكعب ابن الأشرف والحديث الآخر (لابى رافع سر تجــار الحجاز) أليس هذا هو عين تشريع الحق عز وجل لعباده وانهم يأخذون الأمور من مصادرها وفى كل شيء بحسبه وانه تعالى هو الذى أجــرى الأسباب مع المسببات حتى يتم الأمر المعنى المراد ومن يحــد عن ذلك فقد ضل ضلالا مبينا وهو الخارج عن الكتاب العزيز والسنة • وقد سألنى سائل منهم بقوله يا سيدى الشيخ أأترك الله واذهب لسيدنا الحسين ؟ فقلت له في أية جهة تركت الله تعالى ، فسكت • فقلت : من خلق الحسين ؟ فقال : الله

فقلت له من أوجد فيه هذه النعمة والمزية التى لا يشاركه فيها غيره ؟ فقال : الله • فقلت له : من يعطنى سؤال عنده ؟ فقال : الله • فقلت من حببنى فيه ورغبنى فيه وفى التوجيه اليه ؟ فقال : الله • قلت له : اذا أنا ذاهب الى الله أى الى مصدر من مصادر نعمه التى أوجدها لعباده فى مكنوناته وأمرهم بالتوجيـــه اليها وعلى هـــذا يكون النذر والحج وغيره وسيأتى بيانه انشاء الله تعالى [1] •

(من كتاب فيض الوهاب الجزء الرابع صفحة : ١٣٧)

المـوت والحيـاة

يعتقد كل ضال من الخوارج الوهابية وغيرهم بأن الموت عبارة عن العدم • ولا قائل لـــه غير الكافرون الذين هم على مبادىء الشيطان وحزبه ، فهم على تلك المبادىء تبع لذلك الحزب ، لان العقلاء يفهمون أن الخلق فى كل شيء على حالتين أيمان وكفر ، ضلال وهدى ، حتى فى الحزبية حزب الشيطان وحزب الرحمن وهكذا كما لا يخفى على كل ذى بصيرة ــ قال الله تعالى فى عقيدة الكافرين ومن على مبادئهم (يا أيها الذين آمنوا لا تتولو قوما غضب اللـــه عليهم قد يئســـوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) فكل هــؤلاء شركاء فى العقيدة فيقولون : ان الموت عدم وفناء وعليه يبنون أن الذاهب للميت ذاهب الى عدم وفناء ، وهو معارض لصريح القرآن والسنة ، فعقلاء الامر رضى الله عنهم يقولون : ان المــوت والحياة وصفان يقومان بالموصوف فى كل شيء بحسب قوله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) الآية فموت الارض ، عــدم النبات بها ، وحياتهــا بالنبات فيها قال تعالى (والله أنزل من السماء ماءا فأحيينا بـــه الارض بعد موتها) وموت الكافر وهو حى يجرى على الارض بعدم الايمان كما قال تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات) الآية فلا يخفى أن المــوت فى الحيوان وصفه بعدم الحركة ، وفى النبات بيبسه وفى الجماد تفرق أجزائه • والحياة فى كل ذلك بضده يعنى فى الحيوان بالحركة ، وفى النبات بالخضرة ، وفى الجماد بتماسك أجزائه •

ولما كانت الحياة منها ما هو معتبر الصنعة ، ومنها غير معتبر فعد الله تعالى المؤمن به وأنبيائه وآياته حياة طيبة • ومن كان بخلاف ذلك فليس بذى حياة طيبة فحياته كحياة غيره من غير الآدميين •

ولما كان وصف الموت والحياة مشتبهان فى حالة النوم واليقظة فرق الله تعالى بينهما بقوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها

والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت فيرسل الاخرى الى أجل مسمى) الآية • فحال النائم كحال الميت سواء بسواء فى عدم الحركة فى كل فالفارق بينهما قيام الحى يسعى فى الأرض الى أجل مسمى والميت عدم الحركة مطلقا •

ولما كان الموت والحياة عنوانا لهاتين الصفتين ، ذكر الله عز وجل الفارق بينهما بالنسبة للدنيا والآخرة اذ قد سمى سبحانه وتعالى لكل منهما حياتا وموتا فبين عز من قائل ان حياة الآخرة أرقى وأعلى وأرفع من حياة الدنيا فقال تعالى : (وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع) من أن الموت عدم الحركة والحياة الحركة فهم الكافر قبل فى الدنيا موت وفى الدنيا حياة ، وفى القبر موت وبعد قيامه ودخوله جهنم حياة أخرى فقال : ربنا أمتنا اثنتين واحيينا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل) الآية • فتعرف من هنا ومما قدمنا لك أن الله عز وجل ذكر أن للدنيا حياة وللاخرة التى هى أحيا من حياة الدنيا بصريح كلام رب العالمين وبيان سنة سيد الاولين ولا فاصل ولا فارق ولو لحظة بين الحياتين بل ينتقل من حياة الدنيا الى حياة أرقى منها متصلا بها اتصال اليقظة بالنوم والجوع بالشبع والآلم بالصحة ، والفقر بالغنى والكفر بالايمان ، والليل بالنهار ، فهل يا أخا العقل فاصل بينهما أو فتور ؟ ان ربك القادر جل وعلا جعل الموجودات متصلة لا انفصال بينهما الا فى عقل المخالف ونظر أعمى البصيرة والله يهدى من يشاء الى الحق والى طريق مستقيم •

واعلم أن الموت والحياة ترق فى الوجود بالدليل العقلى المستفاد من الدليل النقلى : الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، فالعقلى هو اعتقاد أنه ما تعلقت قدرة الحق عز وجل بايجاد موجود الا ويترقى فى الحياة أبدا لا يلحقه العدم بالمشـــاهدة والعيان وذلك فى كل شىء بحسبه بمعنى أن ترقيه فى الوجود بالانتقال م نحالة الى حالة أرقى منها • اذ الموجد جل جلاله ما أوجده الا بمقتضى كماله ، وكمالاته سبحانه وتعالى لا تتناهى اذ ما من كمال ا لاوعند الله أكمل منه •

وأيضا وانه تعلقت صفته تعالى به وهى حى بالموجود ولو انعدم هذا الموجـــود لتعطلت الصفة التى هو أى الموجود بها حى ؛ وصفات الله تعالى لا تتعطل •

أما النقلى فقد قال تعالى بعد أن سمى الحياتين الدنيا والآخرة وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) وقال صلوات الله تعالى وسلامه عليه مفصلا تلك الحالتين بقوله الشريف « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » ولما كان حال الدنيا مبنيا على تفـــاوت ودرجات الموجودان فيها فقد قال تعالى فى النبات « يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل » • وفى الجمـــادات قال تعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) الآية • وقال تعالى فى الدواب والهوام والحشرات والطيور والوحوش والاسماك انهم كبنى آدم فى الاحوال الاجتماعية (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) وفى بنى آدم الذى هو محل نظر الحق عز وجل من هذا الخلق الذى خلق له تلك الاشياء جمعاء وغيرها لم يجـــعل واحدا منهم يماثل الآخر بل التفاوت فى جميع أفراده بل ما اشتمل عليه الفرد من الجزئيات فى عموم مركباته جل الصانع المبدع قال تعالى (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات) وفيما فيه فخره فى الدنيا وعزه وشرفه فيمـــا بينهم قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) وفيما فيه جاههم من حيث الغنى بالمال قال تعالى (ولـــقد فضلنا بعضكم على بعض فى الرزق) وهذا فى عموم أفراد بنى آدم فقد جعل تعالى الفروق بينهم متباينة لا ينكرها الا كل مكابر من الذين يقولون اعمل، وأنت تكون مثله •

وأما من هم أفضل بنوا آدم وهم أقسام ثلاثة الأنبياء • فقد قال الله تعالـــى فيهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وفيمن هم أفضل أفضلهم وهم الانبياء والرسل قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) وفيمن هم أفضل منهم أفضلهم وهم أولو العزم

من الرسل ــ قال تعالى (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم منك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وفى الآية الثانية فى بيان أولى العزم قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين) الآية •

فهذا حال أهل الدنيا الذى لم يجعل الحق عز وجل فى فرد منه ما يماثل الآخر لانه لا ضرورة الى الثانى وقدره الكبير المتعال صالحة للتنويع فى الابداع والايجاد فالمخالف لاجماع المسلمين يقول فى الولى هو مخلوق مثلك • اعمل وأنت تكون مثله أو أحسن منه • فهو على قدم من قال أولا للحق عز وجل (خلقتنى من نار وخلقته من طين) بل تطاول وتعدى طوره بقوله (أنا خير منه) فتجد هذا المخالف لا يحيد عن قول داعيه الاول ليكون من حزبه • أو هو يقول بقول الطبيعيني وهم على مبدأ ابليس أيضا أن الخلق مثل مصنع يصب وينتج والمعروف فى قولهم وما يهلكنا الا الدهر • مع أنه سبحانه وتعالى بين لعباده أن الحياة الدنيا على درجات وأنواع وانه سبحانه وتعالى المبدع لكل شىء حتى الذرات التى هى شىء ، قال تعالى (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) •

ولما كانت الدنيا كذلك فقد جعل كل ما فى الآخرة كالدنيا غير أنه أرقى وأرفع فى كل احوال الموجودات ، قال تعالى (انظروا كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وخاصة من خلقت له هذه المخلوقات وقد تكفلت السنة المطهرة ببيان ذلك فى كل شىء بحسبه •

وأما صريح القرآن العزيز فى بيان حال بنى آدم بعد خروج أرواحهم من الحياة الدنيا وانتقالها الى الآخرة فى كل مؤمن وكافر بأن تكون حياته مستمرة لا يعتريها ضعف و لاانفعال فقد قال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين

فيها فلبئس مثوى المتكبرين) هــذا حال الكافرين والمنافقين والضالين فحياتهم أرقى من حياة الدنيا لشعورهم بالعذاب بكافة أنواعه ولا شك أنه أشد من آلام الدنيا وأهوالها وأما حال المؤمنين فقد قال تعالى فيهم (والذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) •

فبين عز من قائل أن الدخول ما بقيت الدنيا ليس دخولا حقيقيا بل على الابواب بما يشعر به بمآله كما قال تعالى (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) وهذه الآية اغتر وضل فى فهم معناها الكثير من الضالين اذ يقولون ان بين الحياتين الدنيا والآخرة حياة برزخية وهم لا يفهمون معنى البرزخ وحقيقته هو الحائل بين الشيئين بقدرة ربه سبحانه اذ يقول تبارك وتعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبقيان) فظن هؤلاء أن البرزخ حياة بين الحياتين وهم مخطئون فى عقيدتهم غافلون عن فهم ما جاء فى الكتاب والسنة وفاتهم قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) فمن أين أتى لهم القسم الثالث وهو الحيــاة البرزخيــة ، اللهم أهد قومى انهم لا يعلمون •

وأما ما جاء فى السنة من أن الموت ترق فى الحياة فدليله ما ورد فى الصحاح من أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أو أحد يحب الموت يا رســول الله ؟ فقال صلى اللــه عليه وسلم (ان العبد اذا أحتضر : أى حضرته الملائكة لقبض روحه فى الحالة التى يغيب فيها عن الدنيا وما فيها ومن حوله ولا يرى الا الملائكة • ورأى ما أعده الله له من النعيم المقيم رغب فيه فأحب لقاء الله فأحب لقاءه وان العبد اذا احتضر ورأى ما أعده الله من العذاب الأليم كره فيه فكره لقاء الله فكره الله لقاءه • وهذا معنى قولهم فيمــا قضى الله تعالى لنا عنهم (ما كنا نعمل من سوء) فترد عليهم الملائكة بقولهم (بلى ان الله عليم بما تعملون فادخلوا أبواب جهنم) وفى الآية الاخرى (قال رب

ارجعونى لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) فصريح القرآن ان حياة بنى آدم بعد مفارقة الدنيا أحيا من حياة الدنيا اذ فى الصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « اذامات أحدكم فانه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشاء فان كان من أهل الجنــة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار » ولا يشعر بذلك ويدركه حقا الا من كان حيا وفى الحديث الآخر « اذا وضع أحدكم فى قبره فيقال له انظر فينظر الى النار فيقال هذا مقعدك فى النار وقد أبدلك الله خيرا منه فى الجنة فينظر الى الجنة فيجد مكانه ويقال له هذا مكانك من الجنة » وفى الحديث الآخر » اذا وضع أحدكم فى قبره فيأتيانه ملكان له فيقعدانه ويقولان ما علمك بهذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فاما المؤمن أو الموقن فيقول هو محمد جاءنا بالبينات والهدى فأجبناه واتبعناه هو محمد ثلاثة فاما المنافق أو المرتاب فيقول لا ادرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ويقال له لا دريت و لاتليت ويضرب بمقرعة من حديد لو ضرب بها الجبل لذاب وفى الآخر قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا أنس ولا شجر ولا حجر ولا مدد ولا شىء الا ويشهد به يوم القيامة » ومن المعلوم أن الميت شىء يشهد ضمن الشهداء والشــهادة لا تعقــل الا من حى فصريح القرآن وبيان السنة على أن ميت الآدمى حى أحيا من حياة الدنيا وناهيك بحديث أهل القليب قليب بدر وهو بعد أن انتهت المعركة وقتل فيها سبعون من صناديد قريش وأسر مثلهم فجعل يمر صلى الله تعالى عليه وســلم على الصرعى ويقول لهم يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « أتناجى موتى يا رســول الله ؟ » فقال : « ما أنت بأســمع منهم ولكن لا يجيبون » فها هم الكفرة يخاطبهم صلوات الله تعالى وسلامه عليه لعلمه بحياتهم أحيا من حياة الدنيا وها هو حديث الصحاح : بينما نحن جلوس اذ سمعنا صوتا بعد العصر فى ضواحى المدينة فقلنا ما هذا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يهود تـعذب فى

قبرها » وفى الحديث تدمناه فى الدلالة على جواز قراءة القرآن على القبر ووصول الثواب للميت أن الرسول صلى الله عليه وسلم « مر على قبرين فقال يعذبان وما يعذبان فى كبير : الحديث أليس كل ذلك من صريح القرآن وبيان السنة يكفيك دليلا على أن حياة ميت الآدمى فى قبره أحيا من حياة الدنيا وأرقى منها بصريح القرآن وبيان السنة واذا كان هذا فى الكافر أفلا يكون فى المؤمن المجرد الايمان أرقى ؟ وفى العبد الصالح أرقى منه ؟ وفى الولى أرقى منه ؟ وفى الشهيد ؟ وفى الشهيد أرقى وأرقى ؟ وفى الانبياء والمرسلين أضعاف ذلك ؟ خصوصا وقد قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ولا تنس قوله تعالى (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) حتى أن بعض المتحققين من خيرة العلمــاء العاملين الشارحين لبيان سنة سيد المرسلين عن قوله فى الحديث السابق فى سؤال الملكين للميت « ما علمك بهذا الرجل ؟ فينظر الميت فيجد أمامه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمؤمن من يراه كأنه معه بالامس فيقول هو محمد » الحديث • ولذا أجمعوا على أن ما من ميت يموت مؤمنا كان أو كافرا أو منافقا أو ضالا الا وتحضر له صورة من صور حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وقدره الله تعالى صالحه لذلك ولعلك قد فهمت من حياة الآدميين أن أحيا فيهم وأرقاها حياة الانبياء والمرسلين فما بالك بحياة سيد العاملين • أليست أعم وأشمل ؟ وأوســع من حياة جميع الآدميين ولعله يقرب لك فهم الحديث الصحيح الذى أفرد به بعض أفاضل الامة مؤلفا خاصا وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تعرض على أعمالكم بالغداة والعشى فما وجدت خيرا حمدت الله تعالى وما وجدت بخلاف ذلك استغفرت لكم » •

ويكفينا من تعليمه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارة الامــوات بيانا على حياتهم ، وعلم الزائر بقوله « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » الحديث • ففى هذا أكبر الدلالة على حياتهم اذ لا يسلم

صلى الله تعالى عليه وسلم على أمــوات ، ولا يبين للامة أن تسلم على أموات لا يحسون ولا يشعرون ولا يعرفون من المسلم عليهم ، ففى الحديث المروى عن الترمذى ما يؤيد حديث الزيارة وحيلة المزور اذ يقول صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من عبد يمر على قبر رجل كان يعرفــه فى الدنيا ويسلم عليــه فيرد عليه السلام ويعرفه » وناهيك بما رواه ابن سعد رضى الله عنه أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تزور النبى صلى الله عليه وسلم وأباهــا قبل أن يدفن معهما عمر رضى الله تعالى عنه غير مقنعة ولما دفن رضى الله تعالى عنه كانت تدخل عليهم زائرة مقنعــة لانه وجد مــع أبيها وزوجها أجنبى ، ولاى شىء يا أخيا العقل كانت رضى الله عنها تتقنع بعد عمر أما ذلك الا لأنها تعلم بحياتهم ، وأعلم بأن حياتهم بعكس الدنيــا مع ما هم فيه من النعيم أو الجحيم يدركون كل شىء عن الدنيا والآخرة .

فحيــاة أهل القبور من بنى آدم أحيا من حيــاة الدنيا بصريح القرآن وبيان السنة . ويعلمون بمن يدعو لهم أو عليهم وبمن هو راض أو ســاخط عليهم ، هذا معنى أن الحياة الآخرة أوسع وكل من مات من أهل الدنيا أصبح فى الآخرة . وأما قولهم أن الحياة الآخرة بعد القيام من القبور فهذا كذب محض وافتراء على الله ورسوله فى جميع ما بينه لعباده اذ من أكبر الدلائل على أن حياة الآخرة التى هى أكبر وأحيامن حياة الدنيا ومبدؤها بمفارقة حياة الدنيا قول الله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكــة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) فجميع عقلاء الامــة من المفسرين على أن المراد باليوم أى اليوم الذى تفــارق فيه الحياة الدنيا اذ لا يخفى أن هؤلاء لم ينظروا الا الى ما ظهر من الاحوال فى نظرهم ومعقولهم واما عقائدهم فى الاموات كعقائد الكافرين .

اذ يقولون : عظام الميت فنيت وبليت ولا أثر لحياته فهو كقول الكافرين الذين عارضوا بيــان الحق عز وجل فى قولهم (أئذا كنا

عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون) وقولهم (أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد) فحكى الحق عز وجل عنهم بقوله (أولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال فى اعناقهم واولئك أصحاب النار وهم فيها خالدون) •

فهم لم يفطنوا حتى ولا لقول أمثالهم الذين كانوا قبل الاسلام وهم يقولون شيئان لا يفنيان — المادة والروح فهذا هو الصواب بعينه وهو رأى لبعض الفلاسفة المتحققين فى علومهم بعقولهم التى ميزوا بها بعض الموجودات عن بعض فهم أحسن من الخوارج عقيدة وادراكا وتمييزا اذ عقلاء الامة يقولون بمفارقة الروح للجسد فى هذه الحياة الدنيا لا تفارقه مفارقة كلية بل تكون متصلة بمادته وجزئياته اتصال الشعاع الخاص به على كل تلك الافراد والجزئيات حتى ينطبق بذاته حتى يكون الواصل بالموصول على ما هو عليه حقيقة بينة •

فكل من تفرقت أجزاءه وتباينت أوصاله وتباعدت ذراته لا بد من اتصال الشعاع الخاص به على كل تلك الافراد والجزئيات حتى ينطبق عليه بيان ادراكه بالنعيم أو العذاب ، فيدخل فى ذلك من تقطعت أجسامهم وتمزقت أشلاؤهم وأكلتهم السباع والاسماك والطيور ، ومن أبلتهم الارض السيخة فمثلهم مثل من تحدث عنهم الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث المروى عن أصحاب السنن والمسانيد « أن رجلا ممن كان قبلكم أحضر بنيه عند وفاته وقال لهم — اذا أنا مت فاحضروا لى حطبا واحرقونى حتى امتحشت فانظروا يوم ريحا فاذرونى فيه ففعلوا به ذلك فقال الله تعالى له — لم فعلت هذا ؟ قال حياء منك يا رب فقال الله عز وجل عبدى استحى منى فاستحييت منه فغفر الله له » •

وأما من يدفنون بكامل أجسامهم فهم على قسمين فمنهم محترم الذات ومكرم الخلق فلا تمس الارض أجسادهم ولو دفنوا فى السيخة كما شوهد ذلك فهم فى قبورهم كيوم يدفنون •

ومنهم غير ذلك ويدفنون فى الارض الرمل الجافة فأجسامهم

تيبس وتجف كالخشب وغيره فأمرهم واضح ، اتصال شعاع الروح بهم اتصالا منحصرا وعليه يدركون النعيم والعذاب بالروح والجسد معا اذ الدلائل بتعذيب الروح دون الجســد ضرورة اعتراضها على خالقها لا أعضاء لى فعلت بها ولا على الجسد فقط ضرورة اعتراضه على خالقــه ولا حركة لى فتعين أن يكون العذاب والنعيم على الروح والجسد معا لاتصالهما بالفعل اتصالا مشتركا مباشرا لما يستفاد من قول الله عز وجل فى وصف أهل النعيم فلا يكون الا بالانسان الكامل بالروح والجسد • وفى أهل الجحيم كذلك قال تعالى « أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله لهم عذاب جهنم » الآية • وقال الله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » الآية بعد أن عرفت مما تقدم أن شيئان لا يفنيان أزيدك وروحا هو أن الله جعل فى تركيب ابن آدم مدارك يدرك بها الخير وضده وهى الحواس الخمس الباطنية التى مقرها الرأس وجعلها الصانع الحكيم سبحانه متصلة بالخمس الظاهرية التى هى البصر والســمع والشــم والذوق واللمس فالانسان اذا نام يرى بهذه صديقا له ويرى ما عليه من الثياب ويشم رائحة ما يطعمه ويسقيه ويرى كل أنواع الكرم وهو لم يمش ولم يتحرك ولم يتكلم ولم يأكل بل أدرك كل ذلك بالروح بالحواس الخمس الباطنية المتصلة بالحواس الخمس الظاهرية فبانتباهه من النوم تحكيه الحواس الخمس الظاهرية رأى العين والنعيم والجحيم فى القبر هكذا • لان الروح لا تفــارق الجســد أبدا وهى اتصالها بالحواس الخمس الباطنية مصداق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أن الميت يعى بمن يغسله ومن يكفنه ومن يحمله ومن يدليه فى القبر » فالذى تأكله الارض • الروح متصلة بذرات رأسه ليشعر بالنعيم أو الجحيم والله سبحانه وتعالى أعلم [1] •

(١) من كتاب فيض الوهاب صفحة : ١٥١ ــ الجزء الرابع .

بيـــان عرض اعمال الاحياء على الاموات

أخرج أحمد والحكيم الترمذى فى نوادر الاصول وابن منده عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الامـــوات فان كان خيرا استبشروا به • وان كان غير ذلك قالـــوا : اللدم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا • (واخرج) الطيالس فى مسنده عن جابر عبد الله قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : ان أعمـــالكم تعرض عـــلى عشائركم وأقربائكم فى قبورهم ، فان كان خيرا استبشروا ، وان كان غير ذلك قالوا اللهم الهمهم أن يعملوا بطاعتك • (واخرج) ابن المبارك وابن أبى الدنيا عن أبى أيوب قال تعرض أعمالكم على الموتى ، فان رأوا حسنا فرحوا واستبشروا ، وان رأوا سوءا قالوا اللهم راجع به • (واخرج) ابن أبى شيبة فى المصنف والحكيم والترمذى وابن أبى الدنيا عن ابراهيم بن ميسرة قال : غزا أبو أيوب القسطنطينية فمر بقاص وهو يقول : اذا عمل العبد العمل فى صدر النهار عرض على معارفه فاذا أمسى من أهل الآخرة واذا عمل العمل فى آخر النهار عرض على معارفـــه اذا أصبح من أهل الآخرة فقال أبو أيوب أنظر ما تقول قال والله انهم كليهمـــا أقول فقال ـــ أبو أيوب « اللهم انى أعوذ بك أن تفضحنى • عن عبادة بن الصامت وسعد بن عبادة بما عملت بعدهم ، فقال القاص والله لا يكتب الله ولايته لعبد الا ستر عوراته ، وأثنى عليه بأحسن عمله • (وأخرج) الحكيم الترمذى فى نوادره من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعرض الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا • فاتقوا الله ولا تؤذوا أمواتكم (واخرج) الحكيم الترمذى وابن أبى الدنيا فى كتاب المنامات والبيهقى فى شعب الايمان عن النعمان بن

البشير : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : الله الله فى اخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم • (وأخرج) ابن أبى الدنيا والاصبهانى فى الترغيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور • (واخرج) ابن أبى الـــدنيا وابن منده وابن عساكر عن أحمد بن عبد اللـــه بن أبى الحوارى ، قال حدثنى أخى محمد بن عبد الله ، قال دخل عباد الخواص على ابراهيم بن صالح الهاشمى وهو أمير فلسطين ، فقال له ابراهيم عظنى ، فقال قد بلغنى أن أعمال الاحياء تعـــرض على أقاربهم من الموتى ، فانظر ما تعـــرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك • (وأخرج) ابن أبى الدنيا عن أبى الدرداء انه كان يقول اللهم انى أعوذ بك أن يمقتنى خالى عبد الله بن رواحة اذا لقيته (واخرج) ابن المبارك والاصبهانى عن أبى الدرداء قال ان أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساءون ويقول اللهم انى أعوذ بك أن أعمل عملا يخزى عبد الله بن رواحة (واخرج) أيضا ابن المبارك عن عثمان بن عبد الله بن أوس أن سعيد بن جبير قال له استأذن على ابنة أخى وهى زوجة عثمان وهى ابنة عمرو بن أوس • فاستأذن له عليها فدخل فقال كيف يفعل بك زوجك قالت انه الى لمحسن ما استطاع فقال يا عثمان احسن اليها فانك لا تصنع بها شيئا الا جاء عمرو بن أوس فقلت وهل تأتى الامـــوات أخبار الاحياء قال نعم ما من أحد له حميم الا فيأتيه أقاربه فان كان خير أسر به وفرح وهنىء به وان كان شرا ابتأس به وحزن حتى أنهم يسألونه ع نالرجل قد مات فيقال أو لم يأتكم فيقولون لا خولف به الى أمـــة الهاوية • (وأخـــرج) ابن أبى الدنيا من طريق ابى بكر بن عياش عن حفار كان فى بنى أسد قال كنت فى المقابر ليلة اذ سمعت قائلا يقول من قبر يا عبد الله قال مالك يا جابر قال غدا تأتينا أمة قال وما ينفعها لا تصل الينا أن أبى قد غضب عليها وحلف أن لا يصلى عليها فلما كان من غد جاءنى رجل فقال احفر لى هنا قبرا بين القبرين اللذين سمعت منهما الكلام فقلت اسم هذا

جابر واسم هذا عبد الله قال نعم فاخبرته بما سمعت فقال نعم وقد كنت حلفت أن لا أصلى عليهما ــ فلأكفرن عن يمينى ولا صلين عليهما ــ (وأخرج) أبو نعيم عن ابن مسعود قال صل من كان أبوك يصله فان صلة الميت فى قبره أن يصل من كان أبوه يواصله ، (وأخرج) ابن حبان عن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يصل أباه فى قبره فليصل اخوان أبيه من بعده • (وأخرج) ابن حبان عن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يصل أباه فى قبره فليصل اخوان أبيه من بعده • (وأخرج) أبو داؤد وابن حبان عن أبى اسيد الشاعرى قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل بقى على من بر والدى شيء أبرهما به بعد موتهما • قال نعم أربع خصال بقين عليك الدعاء وانفاذ عهديهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا رحم لك الا من قبلهما [1] •

(١) من كتاب شرح الصدور بشرح مال الموتى والقبور صفحة (١١) طبعه بدار الكتب العربية الكبرى •

ما جاء فى تلقين الانسان بعد موته
شـــــهادة الاخـــلاص فى لحـــده

ذكر أبو محمد عبد الحق يروى عن أبى امامة الباهلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلان فانه يسمع ولا يجيب ، ثم يقول يا فلان بن فلان الثانية فانه يستوى قاعدا ثم يقول يا فلان بن فلان الثالثة فانه يقول أرشدنا رحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شـــهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رســـول اللـــه انك رضيـــت بالله ربـــا وبالاسلام دينـــا وبمحمد صلى الله عليه وســـلم نبيا ، والقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا ، وقد لقن حجته ويكون الله حجيجهما دونه ، فقال رجل يا رسول الله فان لم تعرف أمه قال : ينسبه الى أمه حـــواء •

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هكـــذا ذكره أبو محمد فى كتاب العاقبة لم يسنده الى كتاب ولا الى امام ، وعادته فى كتبه نسبة ما يذكره من الحديث الى الائمة وهذا والله أعلم نقله من أحياء علوم الدين للامام أبى حامـــد رضى الله عنه • فنقله كما وجد ولم يزد عليه وهو حديث غريب أخرجه الثقفى فى الاربعين له أنبأه الشيخ المسن الحـــاج الراوية أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن على بن فتوح بن أبى الحسن القرشى عرف بابن رواح بمسجده بثغر الاسكندرية حماه الله • والشيخ الفقيه الامام مفتى الانام أبو الحسن على بن هبة الله الشافعى بمنية بنى خصيب على ظهر النيل بها قالا جميعا حدثنا الشيخ الامام الحافظ أبو طـــاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السلفى الاصبهانى قال : اخبرنا الرئيس أبو عبد الله القاســـم بن الفضل بن احمد بن محمود الثقفى بأصبهان : اخبرنا أبو على الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدان المتـــاجر بنيسابو ــ حدثنا أبو

العباس محمد بن يعقوب الاحم حدثنا أبو الدرداء هاشم بن يعلى الانصارى حدثنا عتبة بن سكن الفزارى حمصى عن أبى ذكريا عن حماد بن زيد عن سعيد الازدى قال : دخلت على أبى أمامة الباهلى وهو فى النزع قال لى يا سـعيد اذا أنا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم ان نصنع بموتانا فقال : اذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يا فلان بن فلان فانه سيسمع فليقل يا فلان بن فلان فانه يستوى قاعدا فليقل يا فلان بن فلان فانه يقول : ارشدنا رحمك الله فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شـهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله باعث من فى القبور فان منكر ونكير

عند ذلك يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : ما نصنع عند رجل لقن حجته فيكون الله جحيجنا دونه حديث الى امامه فى النزع غريب من حديث حماد ابن زيد ما كتبناه الا من حديث سعيد الازدى قال أبو محمد عبد الحق : وقال شبيبة بن أبى شيبة : أوصتنى أمى عند موتها فقالت لى يا بنى اذا دفنتنى فقم عند قبرى وقل يا أم شيبة قولى لا اله الا الله ثم انصرف فلما كان من الليل رأيتها فى المنـام فقالت لى يا بنى لقـد كدت ان أهلك لولا أن تداركتنى لا اله الا الله فقد حفظتنى فى وصيتى يا بنى •

قال الشيخ المؤلف رحمة الله وقال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر : ينبغى أن يرشد الميت فى قبره حين يوضع فيه الى جواب السؤال ويذكر بذلك فيقال له قل الله ربى والاسلام دينى ومحمد نبى فانه عند ذلك يسأل كما جاءت الاخبار على ما يأتى ان شاء الله وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك فيقال قل هو محمد رسول الله وذلك عند هيل التراب ولا يعارض هذا بقوله تعالى (وما أنت بمسمع من فى القبور) • وقوله : انك لا تسمع الموتى) لان النبى صلى الله عليه وسلم قد نادى أهل القليب وأسمعهم وقال ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا وقد قال فى الميت انه ليسمع قرع نعالهم وان هذا

يكون فى حال دون حال ووقت دون وقت وسيأتى استيفاء هذا المعنى فى باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال ان شاء الله •

نقل من كتاب التذكرة فى أحوال المـوتى وأمور الآخرة للامام الحـافظ القرطبى شمس الدين بن عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر ابن فرح الانصارى القرطبى المتوفى فى ٦٧٦ . الطبعة الاولى القاهرة ص ١٠٩

الطـواف حول القـبور

أما الطواف حول القبور فلا شيء فيه ، لانه سنة الله في خَلْقه ، وقد أخذ قياسا من الطواف حول الكعبة والا فما فائدة القياس في الدين ، بل ان الطواف حول الكعبة عبادة وحول الضريح عادة ، ثم ان الطواف حول الكعبة ما هو الا لنيل البركة الموجودة في الكعبة كما قال تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا) الآية . فكان الطواف حول الكعبة للحصول على البركة ولتوجيه الله تعالى عباده الى جهة أو الى أي مكان ليعلم منها امتثال أمر المعبود بحق كما قال تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) وحيث كان كذلك فحرمة العبد المؤمن الصالح أحسن وأفضل ، كما يروى الترمزي ان عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وقف تجاه الكعبة وقال (أشهد أن حرمتك عند الله عظيمة ، ولكن حرمة المسلم عند اللـه أعظم منك) وحيث عرفت هذا فالطواف حول الكعبة ضريح الصالح لا شيء فيه . ولانه وما حوله مغمور بالرحمة والبركـة على الـدوام خاصـة الاماكن الطاهرة ولا تبرحها الملائكة أبـدا . وان الدعاء فيها مستجاب بنص الحديث الشريف (أحب البقاع الى الله مساجدها) الحديث ــ ولذا كان من هنا رغبة عباد الله الصالحين الدفن بالمســاجد . ثم اعلم انه لا يوجد على وجه الارض ولي لله تعــالى الا وهو من آل البيت بدليل قوله تعالى (رحمــة الله وبركاته عليكم أهل البيت) فالرحمة هي الاكرام لهم مستمرة الى يوم القيامة ، فان قال قائل . الآية لسيدنا ابراهيم عليه السلام نقول نعم . انما عادة الله تعالى أن يذكر من البيت أبرزه . وان أبرز نبي ابراهيم عليه الصلاة والسلام ــ انما هو اسماعيل وكان رسولا نبيا في بني ابراهيم ، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة « واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار خيار » هذا وقد سئل صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن أنزل الله عز وجل قوله تعالى « قل لا أسئلكم عليه أجرا

الا المودة فى القربى » من آل بيتك يا رسول الله الذين أوجب الله تعالى علينا حبهم وودهم فقال (فاطمة وعلى وما تناسل منهما) هذا ولما أنزل الله تعـــالى فى شأن ســـيدنا عيسى عليه السلام النيف والسبعين آية الواردة فى قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم) الآية ــ قالوا من الغد يا محمد فلما غدوا من الغد خرج صلى الله تعالى عليه وسلم وبيده الحسن وبالاخرى الحسين ، وخلفه فاطمة وخلفهما على رضى الله تعالى عنهمأجمعين فعرف الناس أن هؤلاء هم أهل البيت ، واليك ما رواه الترمزى عن أنس بن مالك انه أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة يمـــانية واسعة فلبسها صلى الله تعالى عليه وسلم يوما واراد الخروج ، فجاء الحسن يجرى فدخل تحتها وجاء الحسين يجرى فدخل تحتها فجـــاءت فاطمة فدخلت تحتها وجاء على فدخل تحتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) • هذه الادلة تثبت لك أنه لا يوجد ولى لله تعالى يجرى الله على يديه خرق العادات والنعم باظهار الكرامات الا وهو من آل البيت رضوان الله تعالى عليهم أجمعين • وناهيك بما رواه الائمة الثقات عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « احبوا الله لما يغذوكم به من نعمة واحبونى لحب الله واحبوا آل بيتى لحبى » أفلم يكن هذا أكبر دليل على حث عباد الله الصالحين المؤمنين على حب آل بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وودهم ، أولم تكن الزيارة لهم أحياء وأمواتا حبا وودا • وهل الزائر لهم المحب يكون مشركا ؟

قل لهؤلاء الذين ينكرون ببيان الله تعالى لعباده على لسان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم ويكرهون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآل بيته الطيبين الطاهرين •

نسأل الله تعـــالى أن يرزقنـــا حبهم وودهم ودوام عطفهم وأن يحشرنا فى زمرتهم وكل محب لهم اكراما لمن أرسله رحمة للعالمين •

من كتاب فيض الوهاب ــ الجزء الرابع ــ ص ١٤٨

القـــباب التى على القـــبور

يقولون فى القباب التى على القبور انها بدعة ــ ضلالة ــ ولا أصل لها فى الدين ولا بيان سيد العالمين قولهم هذا زور وبهتان ــ أيرضى علماء المسلمين عن فعل منكر فى الدين أو على نبى ولم يرضه الذى أوكل الله تعالى الى حضرته البيان والتبيين فى دينه المبين وكيف ذلك والله تعالى جعل لعباده المحترمين فى الـــدنيا الميزة • والتمييز عن سائر أقرانهم حتى فى أسفارهم بأن تكون لهم القباب على المحامل واذا أوضعوها فلا يجلسون الا تحتها ولا يعرف العظيم فى القوم من غيره الا بجلوسه تحتها فصار علامة على من مات منهم ليميز بها من غيره أيضا بعلامة يعرف وقد جاء فى الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله تعـــالى عليه وســـلم قال « ضعوا لى على قبر صاحبكم علامة » وهو سيدنا سعد بن عبادة الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم « اهتز العرش لمـــوت سعد » وهو الذى ارتضاه يهود خيبر أن يكون حكما بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبعد أن حكم قال فيه صلى الله تعالى عليم وسلم : ان حكمك هذا نزل من فوق سبع سماوات » فهذا العظيم لما مـــات وكان حب رسول الله صلى الله تعـــالى عليه وسلم ، قـــال لمودعيه الى مدفنه بالبقيع « ضعوا على قبر صاحبكم علامة » فصار الامر من ذلك الحين وضع علامة على قبر العظماء ليميزوا بها عن غيرهم • ثم ان أول من أحدث القبلة على القبة الفاطميون وهم من خيرة تابعى التابعين وهم من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وســـلم (خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذينيلونهم) واعلم أن الامر ما ساد وما اتبع الا من بيانه الشريف فى شأن سيدنا سعد وقد رأوا انه لا يوجد أعظم من حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم • فعملوا لحضرته ما يكون أعظم مميز له •

ودأب الناس على ذلك حتى ترقوا فى وضع العلامة على القبر بأن

يكتب عليها اسم صاحب القبر وزاد الكثير من الناس ذكر شيء من ميزاته التى كان عليها فى الدنيا حتى توسعوا الى أن وصلوا الى ما نراه الآن •

فالقباب ان لم يكن فيها الا قراءة الفاتحة والترحم على من تحتها لكفى ، وهى لبيان فضل العظماء فى الدين والدنيا والآخرة ، ولا شيء فيها الا ما ذكرنا ـ فالمنكرون والمعارضون لا حظ لهم الا الحسد لعباد الله الذين أنعم الله تعالى عليهم حتى استحقوا تلك الميزة •

ويا ليتهم اقتصروا على ذلك ، بل يبخلون بالترحم وقراءة الفاتحة لصاحب القبة مع أن الله تعالى أبان لنا فى كتابه العزيز بأنه تعالى يرحم الكافر لوجود العبد الصالح فى بلده ـ قال تعالى ـ ردا على سيدنا ابراهيم لما جادل الملائكة بقوله « أتهلكون قرية بها أربعون صالحا » ؟ فقالوا لا قال : عشرون ؟ قالوا لا ـ قال وعشرة ؟ قالوا لا ـ قال : وواحدا ؟ قالوا لا (ان فيها لوطا) الآية • والله أعلم •

كتاب فيض الوهاب ص ١٤٨ الجزء الرابع .

غير خاف أن كل من جعله الله تعالى مخالفا لاجماع المسلمين ينكر على دفن الأموات فى المساجد بل لا يصلى فى مسجد فيه قبر ميت • زعما منه أن الميت فى المسجد كالصنم فى اعتقادهم الفاسد • وزعمهم الباطل ، قائلين أنه مات وانتهى ، وهى عقيدة اليهود والنصارى كما قال تعالى مبينا لنا عقيدتهم فى الأموات (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) مع أن الله سبحانه وتعالى بين لنا أن الكافر فى قبره أحيا من حى الدنيا كما بينا من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ولما كان حالهم المخالفة ، لم يرشدهم الحق سبحانه الى الصواب أبدا كما قال تعالى فى أسلافهم المعارضين لسيد العالمين (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا) بل يعتقدون أن الصلاة بالمسجد الذى فيه ضريح باطلة وبعضهم يقول : صلى ولا تجعل القبر أمامك وهل المصلى يقول الله أكبر أم « القبر أكبر » ما أجهلهم ؟ أو لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى والسيدة عائشة معروضة أمامه كالجنازة ، فاذا سجد غمزها فى رجلها فتقبضها • واذا رفع مدتها • الحديث يرويه البخارى وغيره ، وهل الذى على وجه الأرض أبين أم الذى على التراب • نقول لهم : « ان دفن الأموات فى المساجد سنة الله تعالى قديمة قبل ظهور سيد العالمين ودعوته العباد لتوحيد رب العالمين » • ومن العجيب أن الابيكيه منهم وأن شيخهم قد كون جماعة من العلماء قاموا بشرح سنن أبى داؤود أحد الكتب الصحاح الستة وهو — أى أبو داؤود — يروى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « ما بين زمزم والحطيم تسعون نبيا موتى » فهم يتركون بيان سيد العالمين • ويتبعون الوهابية الذين أعماهم الله تعالى جميعا عن فهم حقائق الدين وما جاء فيه من أنواع النبيين وما جاء عن الأنبياء والمرسلين الذين أهلك الله أقوامهم وكانوا يرحلون الى مكة ويقيمون فى البيت الحرام حتى اذا ما انتهى أجل أحدهم دفن

حيث تخرج روحه فكلهم كانوا كذلك • وقد قال سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم (نحن معشر الأنبياء ندفن حيث تخرج أرواحنا) • وها هو حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم كان كذلك • ودفن فى بيت عائشة رضي الله تعالى عنها ، ودفن معه الصديق رضي الله تعالى عنه وان عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما أصابه ما كان سببا فى موته أرسل ابنه عبد الله الى السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها يستأذنها فى دفنه مع صاحبيه ـ قالت : نعم • انى استأذنت رسول الله صلى الله تعالى عنه وسلم أن أدفن معهما فقال : (ما هو الا موضعي وصاحبى وعيسى بن مريم) فدفن عمر معهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تزور النبى صلى الله عليه وسلم ووالدها رضي الله عنه فى قبرهما وهى مكشوفة الوجه ، ولما دفن عمر رضي الله تعالى عنه معهما كانت تزورهم مقنعة ، أفلا يعتبر هؤلاء من حياة أصحاب القبور • بل ولا من بناء مسجد حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فوق قبور المشركين ؟ والحديث يرويه البخارى وغيره « أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقبور المشركين فبنيت ، وبالطعام فغطيت وأسس مسجده الذى أسسه على التقوى » وقد قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوض » الحديث وأيضا قوله الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم : « كل ما أضيف الى مسجدى فهو مسجدى » وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم علم بأسرار الوحى أنه سيضاف الى مسجده ما سيضاف اليه سنينا شيئا فشيئا حتى صار كما هو عليه الآن ـ فقد تحقق قوله الشريف • المعروف أنه أضيف اليه الكثير حتى أصبح القبر الشريف محاطا بالمصلين ، أو لم يكفهم هذا ؟ وهذه هى الأماكن المقدسة المطهرة المدفون بها الكثير من الأموات والمسلمون يصلون فيها قديما وحديثا أفلا يقتدى بها وبهم • فالقبور فى المساجد سنة الله فى خلقه كما بينا من الأدلة (ولن تجد للسنة تبديلا) •

(نقل هذا الفاصل من كتاب فيض الوهاب ص ١٤٧ الجزء الرابع)

زيارة النبي والولي والناذر لهم

في بيـــان استدلالاتهم على أن الزائر للنبي والولي والنـــاذر لهم والمتوسل بهم مشرك كعابد الأصنام في زعمهم مستدلين بقوله تعالى : (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهـم الوسيلة أيهم أقرب) وبقوله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبــدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) . وهكذا كلما يرون شبهة ولو واهية يدلون بها نقول : لا يخفى على ذوى البصيرة ان المنحرفين عن الجــادة والطرق المستقيم من الفرق المارقة الذين يحرفون كـــلام رب العالمين وسنة نبيه الكـــريم عن مواضعهما لاهوائهم الشيطانية التي يدعون اليها ضد الحق وأهله في كل ناحيـــة من نواحي انحرافهم ففي مثل التوسل والوسيلة يجعـــلون كل زائر للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو الولي رضي الله تعالى عنه مشركا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عز وجل كمـــا يقول الداعي لهم الآن بمصر في تعليقـــه على كتـــاب (فتح المجيـــد) من صـــفحة ٤٣ الى ٢٦٩ على أنها كفر وعبـــادة أوثان وعبـــادة أصنام جـــاهلين الآيات التي أنزلها الحق عز وجل في حال الكافرين وما كانوا من عبادة غيره جل وعلا منطبقـــة على الزائرين تمـــاما فلا فارق بينهمـــا يضـــللون المستمعين لهم بقولهم الدعاء مطلقا عبادة بل هو مع العبـــادة وهؤلاء الداعون للاموات كحال الداعين للاصنام تماما لأن الداعي للنبي أو للولي يعتقد كما يعتقد الكافر العابد للصنم اذ الداعي للنبي أو الولي يقول اذا ما سألته ان الله تعالى هو الفعال وكذلك الكافر يعتقد ذلك وقد حكى الله عز وجل عنهم بقوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) فحـــال هؤلاء الزوار للأنبيـــاء والأولياء كحـــال هؤلاء الكافرين الذين يعبدون الأصنام فلا يسمع الســـامع المفتر المضلل بين الزيارة والعبادة بل لم يخجل ولم يستح من الله تعالى الرقيب عليـــه أو لم يخف أن أحدا من أهل الحق يطلع على تحريفاته وتضليلاته هذه

فيلعنه خصوصا اذا كان مستجاب الدعــوة لا يرد الله تعــالى دعوته فيستحق خسران الدنيا والآخرة • ماذا أصنع وقد قــال العليم الخبير بعباده : (ومن يضلل الله فلا هــادى له) (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدآ من الله) •

أخى أولم يفقه هذا الناسب نفسه للعلم وأهله بأن اللفظ الواحــد من اللغة العربية التى نزل بها القرآن المجيد له عدة معان بل قد يكون فى معناه التضــاد كقوله تعالى (زعم الذين كفروا) ففى لفــظ الزعم معنيان أكذب كما هنا • وقد يطلق على القول الحق والصــدق كما فى حديث ضمام بن ثعلبة المروى عن البخارى وغيره بلفظ « قال يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك قال صدق » الحديث وكذا الظن فانه يطلق على السوء من الشر والتحقيق من الخير كما فى الكتاب والسنة قال سبحانه : (لو ظننتم ظن السوء) (وتظنون بالله الظنونا) وفى الحديث عن البخارى وغيره (لقد ظننت يا أبا هريرة) وفى قول عمر رضي الله عنه المروى عن البخــارى وغيره (وذلك الظن بك يا أبا اسحق) وكما فى معنى الوفاة قال تعالى : (انى متوفيك ورافعك الى) فيفهم من لفظ الوفاة معنى الموت • وكذا يفهم منه معنى النوم اذ هما شقيقتان فى قوله تعــالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) وهكذا الكثير من معانى الألفــاظ العربيــة التى نزل القرآن الكريم وعليها بيــان السنة المطهرة فكيف بهذا المــارق المفارق يجعل لفظ يدعون فى عبــادة الزائرين للمزورين ويجعــل الكل معنى واحدا وهى العبادة بقياسه المفارق المارق • قل له لو أن الأمر كمــا تقــول لكان لفظ بيان أو أيا الموضوعين لنداء البعيــد والقريب يكون شركا وعبادة ولم يقل بها حتى المخبول فى عقله وها هو كلام العلامة الألوسي المفسر للقرآن الكريم وهو آخر مفسر يقول عليه بعد التحقق من كلامه ومعــرفة أغراضــه ومــا جئتك بكلامه الا بعــد أطلاعى ومراجعتى على جميع كتب المفسرين الآن فقد جمع رحمه الله تعــالى جميع ما قيل على هذه الآية التى يتشدقون بها فى كلامهم ولا يعقلون لها معنى ولو كان لهم أدنى اطلاع ومعرفة ما استدلو بها الى أباطيلهم

العاطلة ودعواهم الباطلة اذ الآية الكريمة لا تفهم ولا تعقل الا ببيان سابقتها وهي قوله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه أولياء فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) فها هو كلام العلامة الألوسي بل هو كلام جميع المفسرين على هذه الآية اذ لم يترك فيها قولا لقائل • قال فى صفحة ٢٩٧ جزء ثاني : ان التوسل والاستغاثة بالاحياء جائزة لا شك فيها ولا يتوقف على أفضليته من الطالب بل قد يطلب الفاضل من المفضول فقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمر رضي الله تعالى عنه لما استأذنه فى العمرة (لا تنسنا يا أخى من دعائك) وأمره أيضا أن يطلب من أويس القرنى رحمه الله تعالى عليه أن يستغفر له وأيضا أمر أمته صلى الله تعالى عليه وسلم يطلب الوسيلة له بأن يصلوا عليه وبما رواه الترمذى • وقال حديث حسن صحيح عن عثمان ابن حنيف رضي الله تعالى عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ادع الله تعالى أن يعافينى فقال : ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك • قال : فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم انى أسألك وأتوجه بنبيك صلى الله تعالى عليه وسلم بنبى الرحمة يا رسول الله انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضي لى اللهم فاشفه فى » وهو عين التوسل بالذات وفى صحيح البخارى عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس وقال : اللهم انا كنا نستسقى بنبيك صلى الله تعالى عليه وسلم فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون • ثم ان العلامة الألوسي بعد أن نفى التوسل بالأنبياء والصالحين أمواتا وأحياء ونفى أن التوسل بالذات خصوصا بعد أن ذكر الحديث السابق من توسل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه بسيدنا العباس رضي الله تعالى عنهم وحكى أنهم كانوا يتوسلون بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيا وميتا ومراده فى صفحة ٢٩٩ جزء ثان قال : وبعد هذا كله أنا لا أرى بأسا فى

التوسل الى الله تعالى بجاه النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم حيا وميتا ، ويراد من الجاه معنى يرجع الى صفة من صفاته تعالى ، مثل أن يراد به المحبة العامة المستدعية عـدم رده وقبول شفاعته ، فيكون معنى قول القائل أتوسل اليك بجاه نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم أن تقضى لى حاجتى يعنى الهى اجعل محبتك له وسيلة في قضـاء حاجتى وقال في صفحة ٣٠٠ جزء ثان : بل لا أرى بأسا بالاقسـام على الله تعالى بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى والكلام في الحرمة كالكلام في الجاه ــ يعنى بحرمه كذا ــ قال ملتمسا ومجيبا عن الصحابة في عدم توسلهم بالأموات ولعل ذلك كان تحاشيا منهم عما يخشى أن يعلق منه فى أذهان النـاس اذ ذاك وهم قريبوا عهـد بالتوسل بالأصنام شىء ثم اقتدى بهم من خلفهم من الأئمة الطاهرين وقد ترك رسـول الله صلى اللـه تعـالى عليه وسـلم هدم الكعبة وتأسسها على قواعد ابراهيم لكون القوم حديثى عهد بالكفر كما ثبت ذلك فى الصحيح وكذا التوسل بجاه غير النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم لا بأس به أيضا ان كان التوسل بجاهه مما علم أن له جاها عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحيته وولايته أ هـ • منه •

ولا يخفى على كل ذى عقـل متعقل ان قول العـلامة الألوسي فى اجابته عن عدم توسل الصحابة بالأموات كونهم حديثى عهد بكفر مـا ثبت عن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أنه قطع شجرة البيعة وثبت فيهم لكونهم كذلك • وقال العلامة فى حديث الاستشفاع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم • وقد روى أبو داوون فى سننه (أن رجـلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا نستشفع بك الى الله تعالى ونستشفع بالله تعالى عليك فغضب رسول الله صـلى الله عليه وسلم حتى رؤى فى وجهه ذلك وقـال ويحك أتدرى عن الله تعـالى ان الله تعالى لا يشفع به أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك • فهو وان كان حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم أنكر عليه قوله انا نستشفع بالله تعالى ومنه أخذ أفاضل العلماء جواز الاستشفاع به صلى الله تعـالى عليه وسلم كما هو مفاد هذا الحديث وحديث الضرير أ هـ •

---

(١) من كتـاب فيض الوهاب الجزء الرابع صفحة ــ ١٣٤

فهرس المواضيع

الفصـــل الخامس :

الرد على الوهابيــــــة .
التوســـل والوســـيلة .
فى قصرهم الوسيلة على أنواع العبادات .
فى انكارهم التوسل وان عمل الغير لا ينفع الغير فى الجواز بالتوســــــل بحق المتوسل به .

الفصـــل السادس :

الموت والحياة .
بيان عرض أعمال الاحياء على الأموات .
ما جاء فى تلقين الانسان بعد موته شهادة الاخلاص فى لحده .
الطواف حول القبـــور .
القباب التى على القبـــور .
القبـــور فى المساجد .
زيارة النبى والولى والناذر لهم .

فهرس المراجـــع

كتاب اســـعاف الراغبين فى ســـيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين : للعلامة الأستاذ الشيخ محمد الصبان طبعه المطبعة اليوسفية ـــ القاهرة .

الروض الفائق فى المواعظ والرقائق : للشيخ شعيب الحريفيش طبعه عبد الحميد احمد حنفى .

شـــواهد الحق فى الاستغاثة بســـيد الخـــلق : للسيد الشـــيخ يوسف بن اســـماعيل النبهانى ـــ طبعه شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

فيض الوهاب فى بيان اهل الحق ومن ضـــل الصـــواب : للشيخ عبد ربه بن سليمان بن محد بن سلمان الشهير بالقليوبى ـــ طبعه دار القومية العربية للطباعة بمصر .

فتـــوح الغيب : لسيدى عبد القادر الجيلانى ـــ طبعـــه مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .

الطبقـــات الكبرى : للعارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى ـــ طبعه ومكتبة محمد على صبيح واولاده بميدان الازهر .

الجواهر السنية والكرامات الاحمدية : لسيدى عبـــد الصـــمد داعى الحضرة الاحمدية ـــ طبعه محمـــد على صبيح بميدان الأزهر الشريف .

لطائف المنن فى مناقب المرسى وشيخه ابى العبـــاسى المرســـى وشـــيخه ابى الحسن الشـــاذلى : لسيدى عبد الوهـــاب الشعرانى من كتاب بهامشه لسيدى الشيخ تاج الدين احمد بن عطاء الله السكندرى .

الفتوحات المكية : للشيخ الامام العامل الراسخ الكامل خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محى الحق والدين أبى عبد الله محمد ابن على المعروف بابن عربى الحاتمى الطائى قدس الله روحه ونور ضريحه آمين . الجزء الثانى ـ طبعه دار الكتب العربية الكبرى بمصر .

قوت القلوب فى معاملة المحبوب : للشيخ أبى طالب محمد بن على ابن عطية الحارثى المكى ـ الجزء الاول ـ طبعه مصطفى البابى الحلبى .

جامع كرامات الأولياء تأليف الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى ـ طبعه شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى .

خلاصة الكلام فى بيان امراء البيت الحرام : للعلامة ناصر السنة سيدى احمد دحلان مفتى الشافعية فى مكة المشرفة

شرح الصدور بشرح حآل الموتى والقبور : للسيد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن ابن ابى بكر السيوطى .

التذكرة فى احوال الموتى وأمور الآخرة : للامام الحافظ القرطبى شمس الدين بن عبد الله محمد بن أحمد ابن أبى بكر ابن فرح الانصارى القرطبى ـ طبعة القاهرة .

الحاوى للفتاوى : الجزء الثانى ـ للسيد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكرالسيوطى طبعة مطبعة السعادة مصر .

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت